

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثامن ـ السنة الثامنة ـ صفر 1385 ـ جوان 1965

في هذا العدد

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
المملكة المغربية ـ الرباط

ثمن العدد درهم واحد

العدد الثامن
السنة الثامنة
صفر ١٣٨٥
جوان ١٩٦٥

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

**Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat**

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :

« **دعوة الحق** » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط



الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

يسرني في هذا اليوم ان اوجه اليك تشكراتي الحارة وامتناني الصادق على ما اوليتني اياه مدة سقمي من تعلق ومحبة ودعاء لي بالشفاء العاجل ، واحمد الله تعالى على ما اضفى علي من الصحة والعافية ، ارجو من العلي القدير ان يضفي على كل بيت من بيوتك العافية الشاملة ، وان يسدل على كل فرد من افرادك رداء من العافية والهناء ، واحمد الله تعالى في الاخير على هذا الالتحام وهذا الالتئام الذي ما فتىء يجمع بين الملك وشعبه ، فيحس الجميع باحساس البعض منهم ، فافراحنا واحدة واحزاننا واحدة ، لا ارانا الله في المستقبل مكروها وجعلنا دائما باعمالنا وبما نعمل في سبيل خدمة وطننا ملكا وشعبا سعداء مقروري العين .

نحو غد افضل

معشر الشباب

تحل بحلول هذا اليوم السعيد ذكرى جديدة لعيد ميلادنا وعيد الشباب في وطننا ، ومع بزوغ فجر هذا اليوم يشع في قلوب الملايين بريق الامل نحو غد افضل ، وتتطلع الى ذلك الغد نفوس شعبنا الوفي ، الذي يؤلف شبابه الصاعد الاغلبية الساحقة منك .

وتجسيما لتلك الآمال اعتاد شبابنا ان يجعل من عيدنا هذا يوما تنطلق فيه استعراضاته الفتية مرددة شعارات الشباب وهازجة بما يطفح به قلبه الكبير من مطامح ، مما يضفي على هذا اليوم حلة تتناسب مع روعة هذه الذكرى وجلال هذا اليوم .

ذلك ان عيد الشباب كبقية اعيادنا القومية ، كان قبل ان يسترجع الوطن سيادته مناسبة سعيدة يغتنمها شبابنا ليبرز ما كان يكمن في صدره من عزم لاستعادة الحرية المفقودة واسترجاع الاستقلال السليب ، وليرمز بتلك الاستعراضات الى انه في الطليعة القيادية للتحرير والانعتاق ، ثم اصبح هذا العيد منذ الاستقلال فرصة يغتنمها شبابنا لابراز اعتزازه بالمكتسبات القومية وتمسكه بالمبادىء الوطنية ، وتجديد عزمه على مواصلة السير لتحقيق التحرير الشامل والسيادة الكاملة .

ارادة العرش والشعب

ولقد شاءت ارادة العرش والشعب أن يحتفل باعيادنا الوطنية بمناسبة ذكرى احتفاء بحادث سعيد تبتهج له اسرة العرش ليصبح ذلك الحادث فيما بعد منطلقا لافراح شعبية ورمزا لامال الامة وتشخيصا للالتحام الذي انتظم بين الاسرة الملكية والشعب المتعلق بها ، وهو التحام عجمت عوده ظروف الكفاح وصبرته المحن وما يزال توالي السنين الى اليوم يؤكد صلابته ويشحذ حدته .

وتحل ذكرى عيد الشباب هذه السنة بعد ايام معدودات من اعلاننا حالة الاستثناء التي اردناها فترة نحقق خلالها تغييرا جذريا في نفوسنا وعقلياتنا ومناهج تفكيرنا واساليب عملنا ، لذلك كان من الطبيعي ان يقع العدول عن الاحتفال بهذا اليوم كما احتفل به في السنوات السالفة ، ذلك أن شبابنا في حاجة الى ان

يراجع مفاهيمه بهذه المناسبة وان ينطلق في هذه الذكرى لاستقبال السنة التي تتلوها وهو واع لدوره الجديد والمسؤوليات العديدة التي تنتظره في هذا العهد .

ثورة اوقدنا جذوتها

ان شبابنا يدرك قبل غيره ان الثورة التي اخذنا نوقد جذوتها في نفس شعبنا وفي همم المؤمنين على مسؤولياته ، تعنيه اولا وقبل كل شيء وتهم مصيره ؛ فالمغرب بلد فتي ، روحه الشباب ، وكل شيء فيه جديد جدة الشباب ، واذا كنا نعتزم ان ننفخ فيه نفسا جديدا ، قائما على شبابه تتكل وبشأنه تعمل ولم يكن لصرختنا ان يتردد صداها ولا لانتفاضتنا ان يدرك مغزاها اذا لم تنفذ الى اعماق قلوب الملايين من شباب شعبنا الذين يكونون الدعائم المتينة والركائز المكينة التي يقوم عليها صرح وطننا .

ان الاحتفال بهذه الذكرى يقام هذه السنة تحت شعار (تنمية المجتمع) ويتشخص ذلك في انصراف شبابنا هذا اليوم الى العمل في الاوراش والخدمات الجماعية من تجديد المدينة الى تنظيف القرية الى غرس الشجرة ، ومن مساعدة الفلاح في حقله الى مواساة المريض في سريره ، اي كل عمل من شأنه ان يفيد المواطن والجماعة ، ويجعل شبابنا يحس بانه عضو بناء لمجتمعه ، مفيد لوطنه ، وانه لايعيش في الحياة ليستمتع بمباهجها بقدر ما يعيش ليفيد مجتمعه ويحافظ على سلامة المجتمع واستمرار بقائه.

نحو العمل الجماعي

وفي بلاد تعاني التخلف وتجتاز المشاكل التي نعرفها يعتبر العمل الجماعي الذي يجب ان يطبع سلوك الشباب) اكبر ضمان لنجاح المشاريع ، وهو وحده الكفيل بخلق اخوة صادقة بين افراد المجتمع وخلاياه ، بل ان العمل الجماعي يعتبر ضرورة ملحة ، بينما يعتبر الانكماش على النفس والشعور الفردي جريمة يرتكبها المواطن القادر على العمل ضد دولته وامته

وكما انطلقت السواعد بعد ندائنا حاملة الفؤوس منذ ايام لبناء الاقسام واشادة المدارس ، ينطلق شبابنا هذا اليوم من المدينة والقرية والسهل والجبل ، ليشخص بعمله وحركته طموح الشباب الذي لا يقف عند حد ، وعزم الشباب الذي لايعرف التخاذل والتواكل .

انتفاضة مباركة

وهكذا تجد الثورة التي اوقدنا شعلتها محتواها العملي في هذه الانتفاضة المباركة ، التي يشخصها شبابنا هذا اليوم في مختلف اعمال التنمية الاجتماعية التي ينصرف اليها لتنتهي بغروب شمس هذا اليوم ؛ ولكن لتشكل الانطلاقة الكبرى للخدمة الاجبارية المدنية التي نعد العدة لاعلانها في اطار التعبئة الشاملة التي ستستوعبه جميع طاقات الشباب لاستعمالها في برامج العمل والبناء ، وستدخل الخدمة المدنية في حيز التطبيق ابتداء من مستهل السنة المقبلة ، وهذه هي الوسيلة العملية التي تجعل منك ايها الشباب شبابا نافعا ، وانك بها وبها وحدها ستحس بان طموحك في الخلق والابداع يفسح لك المجال في الانتاج الوطني ، وبان شعورك بالانتماء لحظيرة الوطن يتعدى مجرد احساس بحق مجرد ليصبح هذا الانتماء متشخصا في مشاهدة آثار عملك وصنع يدك ، ويندفع بك تلقائيا الى سعيك للحفاظ على ما اشدت وبنيت ، واذ ذاك تحس اكثر بانك لحمة من وطنك ، فتزداد له حبا كما يزداد الوطن لك تقديرا .

تحول جذري

معشر الشباب

ها انتم ترون ما ننتظره منكم ابتداء من هذا اليوم من تحول جذري في تفكيركم ومناهج سلوككم وها انتم تلاحظون المكانة التي يحتفظ بها الوطن بكم في تكوين مستقبله الذي هو مستقبلكم . وتحسون منذ الان برسالتكم المثيرة للحماس ، وتدركون ان غدا مشرقا بالآمال ، طافحا بالبشائر ينتظركم ، فلتتسلحوا لاستقباله بالايمان بنجاحكم ، واليقين باثمار جهودكم صابرين مصابرين ، فانت شبابي العزيز بعددك الضخم المتكاثر كل سنة ، وبحكم انبثاق نخبة الاطارات من صفوفك تشكل المحرك الرئيسي للتقدم ، فلتسر على بركة الله تحدو القافلة وتستحث خطاها لتبني كما كانت اوائلنا تبني ، ولتبذر للاجيال اللاحقة ما تجني كما بذر لك السابقون كما جنيت ، امد الله في عزمك وحمى الوطن بهممك وسواعدك ، واعاد كل سنة هذه الذكرى وقد تحقق فيك الامال ، وبارك الله الجهد والعمل ، وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اعادة النظر في: التربية الدينية في مدارسنا

للاستاذ جعفر هادي الكريم

ان احدا لا ينكر ما للتربية من تأثير في تنمية الفرد وعقله وتفكيره ، واثرها في تكوين الشخصية بما لها من ابعاد وجوانب فردية او اجتماعية .. من اجل هذا نرى ان علماء النفس والتربية على جانب كبير من الاهتمام بتربية وتنشئة الانسان الصالح ، الانسان الذي يؤثر في المجتمع تأثيرا ايجابيا ، ولما كانت التربية تهدف الى ايجاد هذا النوع من الافراد لذا نرى ان المناهج التربوية عرضة للتغيير والتبديل بين آونة واخرى كلما جدت نظريات اعتقد العلماء بصحتها ومنافعها لصالح الفرد والمجتمع .

واذا اردنا ان نلقي نظرة على اوساط التربية في العصر الحاضر وجدناها تتمثل في الاسرة والمدرسة والمجتمع وقد اصبحت المدرسة في يومنا هذا ذات تأثير كبير وفعال في نمو فكر الفرد وبلورته ومن ثم في سلوكه ولذا فانني سأقتصر في مقالي هذا على جانب واحد من التربية في مدارسنا وهي التربية الدينية وهل اعطيناها حقها ام اوفيناه .

ان المفكرين في العصر الحديث يدركون ما للدين من تأثير في عصمة الانسان عن الاهواء والشذوذ والانحراف ، ويقول علماء النفس ان للدين اثرا في تهذيب سلوك الفرد ونزعاته الضارة ، وله اثر قوي وعميق في النفس الانسانية ، فهو ينفذ حيث لا ينفذ القانون ، وهو يعاقب على الظاهر والخفي اما القانون فلا يعاقب الا على الاجرام المكشوف ، وقد يكون المجرم بارعا او متمرسا في الاجرام ، فلا يمكن ضبطه او تقديم بينة ضده ، ولكن التربية التي تنمي حساسية الضمير تجعل من الانسان رقيبا على نفسه يحاسبه على اقل ما يرتكب من الاثام ، كما يدفعه وعيه على التفكير وفعل الخير .

ومن الواضح ان المبادىء الدينية منظور فيها الى ناحية الخير الاجتماعي وفائدة وصيانة المجموعة البشرية (✱) .

والدين بما له من اطار واقعي صحيح ينفذ الى جميع المجالات الحياتية بكل ملابساتها وظروفها ، وهذا الدين لا يكون الا الاسلام لانه وحده الذي يكفل مطالب الانسان ورغباته المادية والروحية ، ونحن اذا اردنا ان نلقي نظرة عابرة على منهج التربية الدينية في مدارسنا ، واردنا ان نفتش عن مواد هذا المنهج وبنوده ، فاننا لا نجد ذلك المفهوم الواقعي للاسلام ولا تكون حصيلة تلك النظرة غير صورة مشوهة عن الاسلام ، لا تفي بغير بعض المظاهر الشكلية عن الدين ، ذلك لان حفظ بعض نصوص الاحاديث الشريفة والآيات الكريمة لا يكفي لخلق فرد مسلم مركز في عقيدته وسلوكه ، فتربيتنا الدينية تربية سطحية غير عميقة فهي لا تعتمد الجانب الفكري المؤيد بالدليل والبرهان وهذه لا شك ستكون نتائجها اقرب الى السلبية غير الايجابية ، اذ انها سرعان ما تزول وتنحسر امام الافكار والفلسفات المضادة ، وسبب زوالها هو انها تفتقد الترابط والتفاعل مع الفرد ، ان التفاعل والترابط والتجاوب كلما كان وثيقا كانت النتائج قوية وعميقة وراسخة .

ثم ان هذا التفاعل والترابط ربما تلعب العواطف فيه دورا مهما ، فعلينا في هذه الحالة ان لا نغفل تنميتها على اساس من القواعد الفكرية الاسلامية والتي تكون كقاعدة اساسية وخط عريض لتلك العواطف ، والواقع اننا لا يمكن ان نحقق اي غرض اذا اردنا ان تكون التربية الدينية معلومات نظرية فقط لان الغاية والهدف من تركيزنا على التربية الاسلامية انما هو تحقيق النتائج الايجابية التي تتمثل في السلوك العملي للانسان بجانبيه الفردي والاجتماعي ، ان المعلومات النظرية التي تحفظ ولا تطبق لا تجدي نفعا لان الاسلام دين علم وعمل .

وقد جاء في كتاب (رسالتنا) لجماعة العلماء في النجف : (ان الاسلام لا يريد المفاهيم والافكار بمعزل عن العمل والتطبيق وانما يريدها قوى دافعة لبناء حياة كاملة في اطارها وضمن حدودها ومن الواضح ان الافكار والمفاهيم لا تصبح كذلك الا حين تتخذ اشكالا عاطفية وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها لتتخذ هذه العواطف موقفا ايجابيا في توجيه الحياة العملية والسلوك العام فمفهوم المساواة مثلا الذي هو من اهم المفاهيم التي بشر بها الاسلام ، لايمكن ان تثمر في الحقل العملي ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الاخوة العامة التي عمل الاسلام لايجادها في نفس المسلم وربطها

(✱) الدكتور احمد حسن الرحيم — اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية .

بمفهومه الخاص عن المساواة ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقا لمتطلبات هذا المفهوم) .

وان تربيتنا الاسلامية يجب ان تكون تربية كاملة غير ناقصة لان التربية الناقصة كثيرا ما تكون سببا في ازدواج الشخصية وذلك ما نراه واضحا عند انصاف المثقفين – ان صح التعبير – هؤلاء الذين ياخذون جانبا او اكثر من المذاهب المستوردة كاولئك الذين يتبنون الجانب الاقتصادي من النظرية الماركسية مثلا بحجة انه لا يتعارض مع الفكرة الاسلامية وانه لا يمس العقيدة ولا يؤثر عليها او بتعبير آخر ان تبنيه للجانب الاقتصادي لا يجعله ملحدا ولكنه نسي او تناسى او جهل ان الاعتقاد بعدم صحة جانب من جوانب الاسلام انما هو كفر به ومن ثم هو كفر بالاسلام كله لان هذا الاعتقاد ما هو الا اعتقاد بعدم صلاحية الاسلام للتطبيق في هذه الحياة : (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) .

ان الايمان برسالة الاسلام يجب ان يكون ايمانا بكل ما تنطوي عليه هذه الرسالة من انظمة في كل مجالات الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والسياسية وغير ذلك ، ان الاسلام هو وحدة من الانظمة مترابطة متداخلة لا يمكن تجزئتها وتفكيكها ، والمشرفون على مناهج التربية الدينية يتحملون مسؤولية كبيرة عند ما يعتنق الفرد – الذين لم يعمقوا في نفسه جذور العقيدة – بعض الافكار والمذاهب اللا اسلامية ، لانه يدخل معترك الحياة وهو لا يحمل عدة عقيدية تمكنه من صد التيارات الفاسدة وعندها يكون نهبا لها وارضا صالحة لنموها وتثبيت جذورها .

والتركيز على الفكرة الاسلامية هو الذي يكون حاجزا منيعا امام كل هذه التيارات وامامه تنحسر وتنهزم عند ما تحس قوة هذه الفكرة وصلابتها ، وهي ماثلة في نفس الفرد .

ومن الادلة التي تدعم ما اقول ماجاء في احدى الصحف الفرنسية في تحقيقها الذي يلخص لنا تقريرا طبيا كتبه الدكتور مير وهو طبيب نفساني كان قد كلف بدراسة حالات الاسرى الجنود الامريكيين في كوريا عند عودتهم الى وطنهم ، وقد هال حكومتهم ما شاهدته من ان هؤلاء الجنود قد صاروا شيوعيين وقد سجل الدكتور مير في تقريره هذه الملاحظة الخطيرة وهي : ان الجنود المتدينين هم وحدهم القادرون على مقاومة الشيوعية ، ان هذا التقرير يؤيدنا تمام التأييد في ان التربية الدينية هي وحدها القادرة على ان تهزم كل الافكار الدخيلة والمنحرفة .

ثم ان من المفارقات التي لا تلتئم وواقع الاسلام تعريفه بانه علاقة تربط الانسان بربه ، في حين ان هذا التعريف يكاد لا يمثل الا جانبا واحدا من جوانب الاسلام ، وما هو الاشحنة من شحنات الاستعمار الفكري الذي اراد ان يحرف الاسلام عن مفهومه الحقيقي ، ان علينا ان نزيل هذا التعريف عن مدارسنا ونرده على من وضعه ثم نبدله بالتعريف الذي ينسجم وطبيعة الاسلام ، الاسلام الذي غير مجرى تاريخ البشرية ، بعد ما اضاف الى حضارتها نتاجا ورصيدا ضخما في شتى مجالات الحياة .

ان التعريف الذي وضعه الاستعمار للاسلام يمكن ان ينطبق على الدين المسيحي او غيره من الاديان الاخرى التي انتهت مهمتها في ان تكون نظاما للكون والحياة والانسان .

لقد نادى فلاسفة اوروبا ومفكروها بفصل الدين عن الدولة لما تبين لهم ان الدين المسيحي لا يصلح ان يكون منهاجا تسير في ضوئه هذه الحياة المتطورة .

فقد كان ممثلوا المسيحية يقتلون ويعذبون العلماء الذين اثبتوا بتجاربهم حقائق علمية زعزعت ما كان يزعم انه حقيقة لا شك فيها في المسيحية ، ولكننا نحن المسلمين عند ما انحدرنا في تقليد الغرب في كل شيء عدنا نلتزم بمفهوم فصل الدين عن الدولة ، وللاسف ان هذا المفهوم تجسد واقعا مرا في حياتنا العملية من قلق دائم وحيرة مستمرة .

وعليه فمناهج التربية الدينية بحاجة الى تغيير جذري اذا اردنا ان توجد مسلمين يتجاوبون مع الاسلام تجاوبا كليا ، هذا من جهة المنهج ، واما من جهة المشرفين على تدريس هذا المنهج ، والمدرسين فلا ريب ان لهم تأثيرا كبيرا في عواطف ومشاعر واذهان الطلاب الذين يتلقون عنهم الدرس فعلينا ان نختار مدرسي التربية اختيارا صحيحا ، فنختار الرجل البصير الواعي للمفاهيم الاسلامية وعيا كاملا متجاوبا معها تجاوبا نفسيا تاما ذا تجربة وخبرة في التعليم طويلة لان فاقد التجربة لا يستطيع التأثير في نفوس الطلاب لانه لا يعرف كيف يتجاوب معهم .

ومدرس مادة الدين بحاجة الى ثقافة حديثة يتابع بواسطتها الجديد في عالم الفكر والعلم وعلى صلة بالمجتمع متفاعلا معه غير منطو على نفسه .

والثقافة الدينية يجب ان لا تقتصر على مدرسي الدين وحده بل يجب ان تتخطاه الى كل مدرس في اي فرع من الفروع حتى يتمكن من النقد والمقارنة وبيان ما اثبته العلم من حقائق جاء بها الاسلام منذ قرون بعيدة ، ان هناك كثيرا من فصول كتبنا التي تدرس في مدارسنا تحدث انطباعا سيئا من الدين في نفسية الطالب .

فكثيرا من الكتب المقررة في مدارسنا وضعها مؤلفون غير مسلمين ، وهل يمكن ان نأمن على هؤلاء من الدس والتشويه والافتراء على ديننا وعقيدتنا ، وعلى الاخص في كتب التاريخ ، فعلينا ان نختار الرجل المسلم ليؤلف في تاريخ الاسلام وفق وجهة النظر الاسلامية وتحليله للحوادث ودراستها وتفسيرها بعد ان ينقيها من كل ما يشوبها من تشويه ، وفي الواقع ان هناك كثيرا من النقاط التي تتصل بدراسة الاسلام وتاريخه تحتاج الى معالجة وهي اكثر من ان تستوعبها صفحات هذه المجلة .

العراق – جعفر هادي الكريم

الفكر العربي الاسلامي في اساس البناء

للاستاذ احمد انور الجندي

لكي يتحقق قيام اساس البناء لفكرنا العربي ، على النحو الذي يحميه من دعوات الشعوبية والتغريب والغزو الثقافي لا بد من فهم عميق لفوارق دقيقة بين فكرنا العربي الاسلامي والفكر الغربي تتركز في نقاط اربع :

* وحدة فكرنا العربي الاسلامي ونظرته الشاملة .
* الفكـر العربـي فكـر اسلامـي الجـذور .
* اسلاميـة العروبـة وعروبـة الاسـلام .
* تراثنا قطاع حي من الفكر متفاعل مع الحياة والحضارة .

وحـدة الفكـر وتفتيتـه

1) النظرة الكاملة الشاملة هي قاعدة الفكر العربي الاسلامـي :

اما النظـريات الجزئية والتفتيت والتمزيـق وسياسة القطاعات المستقلة المنفصلة فهي عندنا جزء من خطة التغريب ، فنحن لا نقبل مقوما مـن مقومات الفكر العربي الاسلامي او مقومين ونرفض الباقي وندرس هذين المقومين كأنهما اشياء مستقلة لا رابطة بينها وبين الاساس ولا جذور لها مع المفهوم الكامل ، وهذا ما يجري عليه البعض حين يتنـاول اللغـة او التاريخ او التراث او الديـن .

فالواقع ان نظرية التخصص ، لا تصلح على هذا المستوى، مستوى القواعد والاسس التي تتطلب تجمعا متكاملا لكل العناصر والاجزاء والقطاعات التي ترسم بمجموعها المقومات الاساسية لامة ولفكر امة . وهذا هو خطر النظرة المستوردة في دراسة فكـرنـا .

وكما قصد الغرب الى تمزيق العالم الاسلامي الى عالمين عربي واسلامي وتمزيق العالم العربي الى قوميات ضيقة فقد قصد كذلك الى تقسيم الفكر العربي الاسلامي الى دين ولغة وتاريخ وجاء من قال ان مقومات الامة العربية تعول على اللغة والتاريخ وحدهما ورفض ما عدا ذلك من مقومات الفكر العربي الاسلامي التي لا تنفصل والتي لا تكون اللغة فيها منفصلة عن التاريخ عن التراث عن الدين ، وهي محاولة من محاولات الفكر الغربـي للقضاء على وحدة الفكر في امة ذات طبيعة وروح وضمير واحد .

فكل من هذه القيم جزء من الكل لا ينفصـل عنـه وما ذا يكون تاريخ الامة العربية بعيدا عن الاسلام .

الفكـر العربـي فكـر اسلامي الجـذور

2) ان النظرة الصادقـة القائمـة على ايمـان كامـل بمقدراتنا ومقوماتنا وامتنـا تستطيـع ان تقضي في كل خلاف حول اي شبهة من الشبهات التي يثيرها الغرب حـول وحدتنـا الفكرية كأساس للبناء وركيزة للتطور والعمل في مجال الحضارة والثقافة والحياة .

ومن هذه الشبهات ما يثيـره التغريـب بالنسبة لموقف المسيحيين من (الفكر العربي الاسلامي) محاولة لابراز معنى ان هذا الفكر هو الاسلام نفسه .

والواقع ان الاسلام دين وفكر ونظام مجتمع . ولقد كان الفكر العربي الاسلامي عصارة ثقافات الاديان والامم . وكان للمسيحيين فيه دور وعمل . هذه حقيقة لا سبيل الى انكارها . وليس في معناها جعل الاسلام كبديل للمسيحيـة ، فان مفهـوم الدين لا دخل له في هـذا الميـراث الضخم وان كان الطابـع الروحي الذي ينبثق من الاديان الثلاثة واضح في صيغة هـذا الفكر وانه يختلف عن الفكر الغربي الذي يعتمد في الاساس على الوثنية اليونانية والمادية الخالصة .

ولطالما اعلن كتاب المسيحيـة ومفكروها هذا الـرأي وايدوه ، ولم يختلف فيه احد من العرب او اهل الشرق الاسلامي وانما جاءت الشبهات من دوائر التغريب الحريصة على اثاره الخلافات لحساب الاستعمار والنفوذ الاجنبي .

ولقد اعلن كتاب ومفكري العرب المسيحيين ان الاسلام هو الثقافة القومية للمسيحيين العرب . وان هذه الثقافة متصلة بطبعهم وتاريخهـم .

فالالتقاء على عبادة الله ، وعلى ان الانسان هو سيد الكون وعلى امتزاج الروح بالمادة والعلم بالدين والعقل والضميـر وذلك فوق مفهوم انساني هي اسس يلتقي عليها فكرنا اساسا ويلتقي عليها كل من يعيش في هذه المنطقة .

والواقع ان وحدة الفكر العربي الاسلامي في العالم العربي بين المسلمين والمسيحيين واليهود مرجعها الى (1) وحدة مصادر الاديان وغلبة الطابع الروحي على المفاهيم العربية (2) اشتراك العرب جميعا في تكوين الثقافة والتراث فقد كان الى جوار ابن سينا ، الكندي وموسى بن ميمون وهكذا .. والى جوار المتنبي، الاخطل كما اشترك المسيحيون مع المسلمين في نهضة الترجمة للتراث الاغريقي والروماني .

(3) كانت اللغة العربية لغة المسيحية كما هي لغة الاسلام وقد شارك فيها المسيحيون وترجموا اليها صلواتهم وكتبهم وكان لهم جهود في انمائها وتطويرها وكفاح البستانيين واليازجيين معروف ومقدور .

(4) كان العرق العربي اصلا للمسلمين والمسلمين على السواء فهم مشاركون في الارض والوطن والعرق جميعا .

(5) المسيحيون يعتبرون القرآن وثيقة ادبية غالية ومحمد بطل عربي عظيم .

العروبة والاسلام :

3) كان هدف التغريب اساسا هو ذلك الفصل بين القومية والدين او بالاحرى بين العروبة والاسلام وخلق ذلك الجفاء بينهما . كان الاسلام يتمثل في تركيا العثمانية ، وكانت الخصومة مع الاسلام انما تستمد ذلك من وجود الدولة العثمانية والخلافة باعتبارها كانت البؤرة التي نشأت منها الخصومة بين الحركة العربية والحركة الطورانية وكلاهما حركتان قوميتان .

غير ان الحركة العربية اساسا لم تكن انفصالا عن الاسلام او الفكر العربي الاسلامي الا بعد ان اخذت تركيا النظام العلماني وخلفت الاسلام واللغة العربية ومضت تابعة للغرب تفقد شخصيتها وتلبس ثيابا على غير مقياسها .

كانت الروابط بين العروبة والاسلام روابط اصيلة جذرية فالعروبة كيان قومي يستهدف مقاومة النفوذ الغربي وتجميع الاجزاء التي فصلها الاستعمار ، ولم يكن ذلك يتعارض مطلقا مع مفاهيمها الاساسية في الفكر والثقافة . غير ان فكرة العروبة لم تلبث ان تطورت على بعض يد دعاة التغريب لتتحول من مفهومها الفطري الطبيعي الذي كان يعيش في اعماق دعاتها ومقدميها الاول ومنهم من يعيش حتى الآن كمحب الدين الخطيب والامير مصطفى الشهابي ، تحولت على ايدي من حملوا تغريبها فركزت على ذلك المعنى . معنى (قومية عربية بغير دين) اولا دينية القومية العربية .

ومن هنا بدأ الانقسام في المشرق وحده بين العروبة والاسلام وقامت مدارس وهيئات تحمل لواء هذه الدعوة وتعممها وتثير حولها الجدل غير ان المغرب العربي لم يقبل هذه النظرية ورفضها رفضا باتا وظل ايمانه بوحدة القومية والاسلام قائما اساسا .

وربما كان الاخذ بالنظرية الغربية في القومية هو مصدر هذا الاضطراب ، وعقيدتنا اننا نبني واقعنا على مقومات فكرنا . فالقومية حركة مستحدثة لم تكن معروفة في تاريخنا كالاشتراكية والديمقراطية . فنحن حين نواجهها لا نتفصل عن مفاهيمنا الاساسية او قيمنا الاصيلة ولا ندعها تفسد ملامح شخصيتنا الاصيلة او تحولنا .

ونحن نقبلها دون ان نقبل مفهومها الغربي الذي ارتبط بالظروف والاوضاع والاركان التي قامت على اساسها في اوربا . نحن نقبلها كقوة ضخمة للوحدة والالتقاء السياسي والاجتماعي ونجعل من وحدة فكرنا الاصلية مقومها الاساسي ، ولا ضرورة للوي عنق النظرية الغربية حتى نلبسها كما هي . بينما نحن نحس في اعماقنا باضطرابها ولا ضرورة لهذه التحديدات النظرية ولا لهذه المواصفات المصطنعة التي تقول بان القومية تقوم على اللغة والتاريخ ولا تقوم على الدين . فنحن لا نقول بهذا وانما نحن نقول ما هو اوضح واصرح واكثر بساطة وابعد عن التعقيد المقصود به اثارة الشبهات وتحويل الانظار عن قيمة ضخمة اساسية في فكرنا العربي الاسلامي ، نقول بأن المقومات الاساسية للفكر العربي هي اساس القومية العربية والوحدة العربية وليس معنى ان التاريخ ذاكرة الامة واللغة لسان الامة الا ان التاريخ واللغة جزء من هذه المقومات وقطاع منها لا ينفصل عنها ولا يؤخذ مطلقا كجزئية

ان من حقنا ان نؤمن بالقومية العربية وفق مفاهيمنا ومقوماتنا وليس من الضروري ان نستورد هذه المفاهيم او ان نفرض علينا ظروف ومواصفات القومية في اوربا التي كانت بلا شك نتيجة خاصة لاوضاع معينة في ازمنة معينة ليس لنا بها صلة . ولا تنطبق مع ظروفنا او زمننا وليس معنى الاصرار على هذا الا التبعية والجري وراء تيار التغريب الذي لا يحاول ان يفرض علينا النظريات وحدها بل يفرض ملابساتها ايضا .

اننا حين قبلنا العمل في مجال القومية العربية والدعوة الى الوحدة العربية انما فعلنا ذلك على اقتناع كامل بها . غير ان طريقتنا في العمل وفهمنا لهذه القومية ليس من الضروري ان يكون مستوردا من الغرب ابدا ولذلك فان الحديث حول مقومات القومية العربية على ذلك النحو الذي تفرضه بعض المذاهب والدراسات لا يمكن ان يقبل على اطلاقه ولا بد من التحفظ في النظر اليه . ذلك ان دعوة التغريب انما كانت تواجهنا اساسا بدعوة القومية العربية للقضاء على التيار الفكري الاسلامي الغالب على هذه الامة وفي محاولة لاحلال كلمة العروبة محل كلمة الاسلام . فلما اخذنا فكرة القومية العربية لنجعلها سلاحا للكفاح في مقاومة الغزو الغربي والتجمع والوحدة واعادة الاجزاء

التي قرقها الاستعمار الى الالتقاء . احست دعوة التغريب بالخطر فلم تلبث ان تقدمت بمفاهيم ومقننات تريد ان تدعيها كأسس للقومية العربية مستمدة من تاريخها هي، ولسنا نحن بحاجة اليها، فان الماء يتشكل بلون الاناء ، اذا كنا قد وجدنا في الدعوة الى الوحدة العربية قوة لنا فنحن لسنا في حاجة الى مفاهيم الغرب لها ولنا مفاهيمنا واسسنا النابعة من فكرنا والقائمة على ركائز من ثقافتنا .

ونحن في فهمنا لاسس القومية العربية نوسع افقا وارحب قاعدة فنحن نعتبر مقومات الفكر العربي الاسلامي كله اساسا للقومية ولا نكتفي بجزئي التاريخ واللغة اللذين لا يمكن فصلهما عن وحدة الفكر العربي الاسلامي ولا يمكن انفصال الفكر العربي عنهمـــــا .

وليس « الاسلام » الذي يمتزج بالعروبة فيما نذهب اليه ـ هو الدين ـ فان طابع الروحية اساس فكري لا شك فيه لامتناء ولكن الاسلام هنا هو ذلك الفكر الحي المتمثل في عصارة الثقافة العربية الاسلامية وهو فكر لم يصنعه المسلمـــون وحدهم ولكنـــه ميراث كل من عاش في هـــذه المنطقـــة . اشتركت فيه جميـــع الاجناس والاديان وان غلب عليه اسم الاسلام الذي صهـــره في بوتقة واحدة . وليس ذلك من الغريب فان « ضمير » هذه الامة قائم اصلا على اسس واحدة مستمدة من روح الاديان الثلاثة التي كانت منابعها في الشرق ، وكانت هذه المنطقة مجالها الحيوي .

والواقع ان هذا الانفصال بين العروبة والاسلام على هذا النحو ـ ليس موجودا اساسا وانما هو مصطنع ، والذين يقولون به انما يخدعون دون ان ينظروا نظرة رحبة . فقد تصادف انه لم تكن هناك مشكلة او فواصل بين العروبة والاسلام . ولا اختلاف الدماء والاجناس ولا الاقليات . وكل هذه دعوات غربية اثيرت كشبهات لتثير الخـــلاف وتحـــول دون الالتقـــاء الواضح على « فكر عربي اسلامي) موحد .

وليس هذا الذي نقوله جديدا ، ولكنه في الواقع قد جرى على اقلام الكثيرين وكون رأيا عاما حتى ان كاتبا افريقيا مثل « لويس لوماكـــي » يقول : ان الكتل العريضة لا تجتذبها مثل هذه المفاهيم فالعروبة عندها لا تنفصل عن الاسلام ، ان الاسلام لم يعد مجرد دين بل عنصرا اساسيا » .

التـــــــراث :

4) ان مهاجمة التراث والقديم في مجال الفكر والادب انما يقصد به قطع الصلة بين حاضر هذه الامة وماضيها . وهو يهدف اول ما يهدف الى طمس المعالم الاساسية لشخصيتنـــــا والمقومات الاساسية لفكرنا وروح امتنا وضميرها فيما يتصـــل بالعقيدة والقيم والجوهر الروحي والنفسي والفكـــري الـــذي لا سبيل الى اقامة بناء فكر او ثقافة لامة من الامم دون الاعتمـــاد عليه كركيزة واساس .

ومن دعوة التغريب الحملة على التراث والقديم، ومحاولة القاء الشبهات عليهما وخلق حالات الشك والسخرية والاستهانة بالتراث والتاريخ واللغة والقيم باعتبار انها « قديمة » وان دعوة التطور والتقدمية من شأنها ان تنبذ كل هذا القديم كأنـــه ركـــام ، وتدخله المتحف ولا تنظر اليه . فاذا نظرت فهي نظرة النقـــد والاستهانة بالنسبة للفكر العالمي ونظرياته وثمراته ومذاهبه .

ونحن لا ننكر الجديد ولا ننكر التطور ولا نتوقف عن الحركة ، ولا نؤمن بالجمود وقد كنا دائما قادرين على الحركة والتطور وفكرنا في اساسه ومضامينه يحمل بذرة الحيوية والمرونة والقدرة على التلقي والعطاء والامتصاص .

ولكننا لا نعتقد ان الجديد يستطيع ان يقضي على القديم او يلغيه لانه امتداد له وكل جديـــد له جذوره . وكل امـــة لا ماضي لها لا مستقبل لها .

ونحن لا نجد في قديمنا ما يعوقنا ما دمنا نؤمن بشخصيتنا الاساسية وقيمنا الفكرية والروحية التي تهدينا كالمنار في طريق النهضة والتطور .

هذه المفاهيم الاساسية هي التي تهدينا دائما الى الموقف الاصيل بالنسبة لامرين : للقديم وللجديد ، فتواجـــه عمليـــات البعث للقديم وعمليات النقل للجديـــد على نحو سليم قائـــم على اساس واضح وعلى هدى صادق اصيل قوامه الفطرة والضميـــــر الذي يتلقى ويرفض بذاتيته القادرة وروحه الواعية الشبيهـــة بالرادار الكاشف .

اما الدعوة الى نبذ القديم في مطلقها فهي دعوى شعوبية تستهدف القضاء على مقومات هذه الامة وتوهانها في خضـــم عريض لا حد له .

ونستطيع في هذا المجال ان نستهدي بما فعل الغرب نفســه بالنسبة لقديمه فهل هو الغـــاه واهملـــه ونحاه . الواقـــع ان لا وان الغرب الان في منطوق فكره يقوم اساسا على مفاهيم التراث اليوناني والروماني والمسيحي ، وان كل نظـــرة من نظـــرات الفكر او لمحة من لمحات الثقافة يمكن ردهـــا اساسا الى هـــذا التراث بالرغم من انقطـــاع الصلـــة التي بلغت بين افلاطـــون وديكارت الفي عام كاملة . فقد اعاد الغرب في القرن الخامس عشر بعد الميلاد بعث فكر افلاطون السابق للميلاد بأكثـــر من 430 عاما واتخذته اساسا لها .

اما نحن في مجال الفكر العربي فان خطوط فكرنا ممتدة منذ اربع عشر قرنا لم تنقطع ولم نكن في حاجة لان يمر زمن طويل او قصير لنعيد نظم هذه الخيـــوط وبالرغـــم من سقـــوط الدولة وانهيار النفوذ السياسي للامة التي حملت لواء هذا الفكر وتوقف الحضارة العربية الاسلامية فان الفكر العربي الاسلامـــي لم يتوقف . ولم يقف نبضه . وقد تجمد فترة ما تحـــت ضغط عوامل خارجية حالت بينه وبين حيوية الحركة ، ولكنه حتى في ظل هذه الفترة احتفظ بقواه الاساسية فلم يمت او يضيع او يذبل، ربما علاه غشاء من الضعف والتقليد . ولكنه لم يلبث ان نفض هذا الغشاء تدريجيا واتجه الى مواجهة الحياة مرة اخرى .

القاهرة : احمد انـــور الجنـــدي

من الوجهة الانسانية

للاستاذ عبد القادر السميحي

لا احسني ابتهج لشيء فى سر قلبي ، واطوي الصدر عليه وانا سعيد ، قدر ابتهاجي بالحديث الى الشباب ، وعن مستقبله المغيب بين المجهول بالف غيمة، وعن القلق الذي يزعج سكينة نفسه ، والامال التي تتلالا فى رؤاه عبر الافاق الرائعة .

صدقوني — ان رعشة من الوجل اخذت الان تهز الشعيرات الواهية من اهداب قلبي مخافة ان اكون كمن اضل وما هدى ، بسبب مرض الفضول ، فضولي انا ، مخافة ان اقصر فى ابلاغ رسالة نور انتم بها عارفون ، ولكن ، الا ترون انه لا ضير ان انا اضات ذبالة كابية ، ورفعتها بيد مرتعشة ، وقلب طروب ، امام مشاعلكم المتوهجة عبر طريق التنوير .. الا ترون انه لا ضير ان انا غرست عليقة ياسمينة ، لتنسم تحت ظلال سنديانكم الذاهب فى السماء .. الا ترون انه لا ضير ان انا انحنيت ، والتقطت حبات الحصى من طريق موكبكم المظفر بالامجاد .. فان لم يكن شيء من هذا كله ، افلا ترون انه لا ضير ان انا اقتنعت بايسر العطايا ، وسليت القلب بالمثل القائل : « تستطيع ان تاخذ الفرس الى النهر ، ولكنك لا تستطيع ان تحمله على الشرب » .

صدقوني يا اعز الاحباب على البصر « انني اسعد بالحديث اليكم ، واعلم انكم كرماء ، يكبر عليكم ان تحرموني من سعادتي ، واعلم انه ليس اعز لديكم من الحديث عن المعرفة ، التي انقذت الانسان من ظلمة الجهل ، فالمعرفة هي التي تميز انسانا عن انسان ، وانتم بدونها لن تكونوا شيئا .. انها اغنى ما تملكه البشرية من ميراث خالد حتى اليوم ، وكل الاشياء العظيمة من قيم الخير ، والحق والعدل والحرية والمساواة والجمال ، كانت من عطايا المعرفة .. وقد كان النور اول شيء اوجده الله فى بدا الخليقة ثم اوجد بعد الطين ، فخلق منه الانسان ، ووضع فى اجهزة العضوية شبكة من نبض الحياة ، ولم تكمل صورته الانسانية الا بعد ان فجر فى قلبه ينابيع الحب ، وفى عقله شعلة المعرفة ، مصدر العبقرية ، والخلق ، والابداع ، فتكلم وفكر واراد ، واستقرا العلوم والفنون ، ولم يقف طموحه عند حد معين ، فتمرد على العلم بالغيب ، ونشد المزيد من المعرفة المجهولة ، وهو الان يدق باصرار رائع على ابواب السماء .. ولن يهدا له قرار ، ما لم ياخذ الشعلة الخالدة من اجل سمو بني البشر .. انه « بروميثيوس » عصر الذرة والفضاء .

*

اعز الاحباب على البصر — دعوني اهيب بكم — وانتم تطرقون ابواب المعرفة — ان لا تدعوا فرض الغرور ينفذ الى نفوسكم ، بل احتفظوا بها جائعة الى كل جديد من المعرفة ، التي لا تكتسب مرة واحدة « لان الانسان — فيما تقول الكاتبة سيمون دي بوفوار — لا ينتهي قط من التعلم ، لانه لا ينتهي قط من الجهل » فالفكر معدة سامية تفتقر دائما الى المزيد من الغذاء .. غير انه ليس بكاف ان يعيش الانسان ، بل فى ان يجعل حياته حافلة بالانتصارات الانسانية ، بان يجعلها جديرة بان تحيا ، بان تكون مثيرة ، اكثر من مجرد حياة ، والانسان يحس دائما بالارتياح عندما يرى أن حياته لم تكن فارغة ، لانه كان يدعمها بالثقافة العلمية والفلسفية والادبية

والفنية .. ويدعم روحها بعقيدة هدفية ، وبنور الايمان ، لصالح الحياة ، فالايمان بالقيم الروحية من حب وخير وعدل ، ضمان لسعادة الانسانية وسلامتها .. فالله هو الذي يهبنا طمأنينة النفس ، ويشع السكينة في نفوسنا ، ويحتضن القلوب المرتعشة ، ويحنو عليها باجنحة من ريش .. الله الذي يجعل ايام الربيع مدفأة بالحب والقبل ، ولياليه مضاءة بالنجوم .. الله الذي ينشر المرابع المخضرة ، ويجملها بالازهار والالوان والانداء والاشذاء والطيوب « فليكن الله دائما في نفوسنا فانه السكون والمحبة والعزاء ، هو الذي يرفع الاثقال والاعباء ، وينثر الزهور عبر الطريق ، وينشر حبل الرجاء » ❋

واشدد يديك بحبل الله معتصما
فانه الركن ان خانتك اركان ❋

❋

اعز الاحباب على البصر ـ انه اذا قوي الاعتقاد بصواب اخلاقية التواضع في طلب المعرفة ، وانه طالما امكن ادراك ذلك ، فان مستقبلكم ، ومستقبل وطننا العظيم سيكون بخير ، ومصيبة المصائب في هذا الوطن ، انه اذا ما ظهرت فيه موهبة عادية على شخص من الاشخاص ، اعتقد في نفسه انه « كلومبوس » اكتشف قارة جديدة .. فاذا ظهرت موهبته ـ او ظل موهبة على الاصح ـ في الموسيقى ، وبدت انامله توقع لحنا رتيبا ممسوخا باثار اللصوصية الجزئية ، والتقليد البغائي ـ الشرقي منه او الغربي ـ عد نفسه عبقريا، يستحق ان ينقش اسمه في قائمة الموسيقيين الخالدين ويرفض ان تقارن الحانه الهزيلة ، الا مع ذلك « الميلودي » الالهي ، المتدفق بجلال ، في سيمفونية « بتهوفن » التاسعة .. وهو اذا نهق بصوته الضفدعي ، باغنية سوقية مائعة ، من مخلفات الدعارة النفسية ، والروح المرائية الانتهازية ، لن يرضى ان يقارن صوته بغير الاصوات الذهبية الخالدة في تاريخ الاوبرات العالمية ، وهو اذا سهل الله ، وكتب انشاء ركيكا مرقعا بسخافات الشكلية المزدوجة ، عد انتاجه من مقام انتاج توفيق الحكيم ، والبير كامو ، وهو اذا وصل الى معرفة ضرب الاعداد الرياضية وطرحها ، اعتبر الامر كأنه حل لمعضلة رياضية معقدة ، من قبيل المعادلات النسبية « الانيشتانية » في كل هذا لا اقصد ان اهزم الروح المعنوية ، عن طريق نقد هدام ، لغاية من الغايات التي تبررها الوسيلة ، وانما اهدف الى روح الخير ، كل الخير ، ولا شيء غير الخير ، والشباب المتعلم نفسه يدرك قيمة اخلاقية التواضع ويعلم ان العباقرة الانسانيين ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه ، الا بعد ان مارسوا العناء والشقاء والسهر ، وقبل ان يسمح لهم بالدخول الى عالم الخلود ، تركوا شيئا عزيزا من نفوسهم وابدانهم

وهذا هو الشاعر القروي ـ الذي عانى التجربة « الاسبانية » يبصرنا بهذه الحقيقة :

اني صعدت الى مجد على جبل
مما تهدم من روحي ومن جسدي

ويجيبه شاعر اخر :

اذا مر بي يوم ولم اصطنع يدا
ولم استفد علما فما ذاك من عمري

❋

اعز الاحباب على البصر ـ ليس بامكانكم اليوم ان تلوذوا بالصمت ، وتختاروا المواقف الهروبية ، فالاختيار ضروري ، ما دام امامكم ما تحيون من اجله ، وما من مبررات عادلة يمكن ان تتخذوها مركزا استنادا لرفض المسؤوليات ، بينما مجتمعنا الانساني مريض ، الاختيارات الارادية بيدكم ، والهدفية انتم على علم بجدواها ، وحتمية انتصاراتها ، فلم يبق الا تحديد المواقف الانسانية الرائعة ، عن وعي تلقائي ، لا ارتباط له باية روح نفعية ، او تأثيرات خارجية ، لتحددوا مواقفكم الشرفية ، حتى لا تنقطعوا عن القضايا الحية ، لمصير افضل للجميع للاكثرين فقرا وجهلا ومرضا .

❋

اعز الاحباب على البصر ـ انتم الان آخذون في الاهبة لرفض الوصمة المشينة باخلاقية العلم ، وهي الغرور ، لانكم ذاكرون كلمات النور ، التي وردت على لسان النبي محمد العظيم « وقل رب زدني علما »

❋ الاديب اسكاروايلي
❋ البيت للبستي

والقائلة كذلك : « اذا اتى علي يوم ، لا ازداد فيه علما ، فلا بورك لي فى طلوع شمس ذلك اليوم » والقائلة ايضا : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل »

وتكاد تكون اخلاقية التواضع هي الطابع الاكثر دلالة على رسل الانسانية ، فهذا سقراط الجليل ، رغم مكانته العلمية يقول : « كل ما اعرفه هو انني لا اعرف شيئا » وهذا الشاعر « شللي » يقول هو الاخر : « كلما ازداد علمنا ازداد ادراكنا بجهلنا» ويجيب الشاعر « جوتيه » : « اننا لا ندعي اننا نعرف شيئا معرفة دقيقة ، الا اذا كانت معرفتنا ضئيلة ، فكلما زادت معرفتنا ، كلما زاد تشككنا فى دقة معرفتنا » .

ويبلغ التواضع باحد العلماء ــ وقد كان من قبل عميدا لاحدى الجامعات ، وحين اقيم له حفل تكريم على شرفه ــ بمناسبة اعتزاله العمل ــ وبالغ الخطباء المزاؤون فى تعظيم سعة علمه ، شكرهم وقال لهم : « اؤكد لكم ان جزر المعرفة الصغيرة المتفرقة فى عقلي ، تفصل بيها محيطات من الجهل»

هذه هي حقيقة العلماء ، يحصل لهم ما يحصل لسنابل القمح ، فهي تتعالى منتصبة ما دامت فارغة ولكنها تطاطىء الراس حين تنضج ، وتصبح عامرة ، بالحبوب .. واذكروا ان العمل المتواصل هو الذي ينتصر على اليأس والعجز والخيبة والقنوط وان الصبر هو حكاية معجزة الحياة ، اما مرض الكسل ، فهو السم البارد الذي يقتل حاسة الحيوية ، ويخمد شعلة الفكر ، فقد تتلمذ شاب كسول على يد الحكيم « ارسطو » ، وقد نبهه الى هذا الكسل ، فاعتذر التلميذ قائلا : « ماذا يمكنني ان اصنع ، وليس لي صبر على القراءة ، ولا على ما يتطلبه العلم من جهد » فاجابه الحكيم : اذن فلا سبيل لك الا الصبر على الشقاء والجهل »

ولتكن كلمتي الاخيرة اليكم ، متوجة بهذه الكلمة البالغة الروعة والنفاذ ، والتي وجهها العالم المشهور « باسور » الى المحتفلين به ، فى عيد ميلاده السبعين : ايها الشباب ، ليجعل كل واحد منكم شعاره ، ان يسال نفسه اولا ، ماذا صنعت لتعليم نفسي ؟ فاذا تقدمت به السن فليسال نفسه : ماذا صنعت لوطني ؟ حتى تحين الساعة التي يحظى فيها الانسان باكبر سعادة ، اذ يشعر بانه ساهم بشيء فى تقدم الانسانية وخيرها»

الربــاط ــ عبد القادر السميحي

ظــريــــــف

قال الحافظ ابو عبيد الله الحميدي :

« من تختم بالعقيق ، وقرآ لابـي عمرو ، وتفقه للشافعـي ، وحفظ قصيدة ابن زريــق ، فقد استكمــل الظرف »

وزاد بعضهم ، ولبس البياض ، وروى بعضهم قصيدة ابن زيدون بدل قصيدة ابــن زريــق .

فراغ يجب ان يملأ

للاستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

اني ليسعدني ان ارى هذه الجذوة الهائلة تنبعث من روح شبابنا فيهتموا بالجانب الثقافي وبتكوين هذه الرابطة الادبية الروحية التي تجمع بين شتى الافراد .

واني ليسعدني ان ارى هذه الرغبة في طائفة من الشباب شعروا بواجبهم وعلموا ما يفرضه الواجب الاجتماعي والانساني على كواهلهم فالانسان لم يخلق ليحقق رغبات جسده دون ان يفكر في رغبات فكره وضميره .

وان مقياس التقدم الاجتماعي في امة ما مرتبط بما يسري في نفوس شبابها من الوعي الذي يشع على نفوس الافراد فيطهرهم من التفكير المادي الجارف الجاف ومن التفكير المتخلف المنحل .

ان الامة عند ما يهتم ابناؤها بالجانب الثقافي الروحي ترتفع عن مستوى الامم المنحطة الجاهلة وتأخذ طريقها الى المجد لانها بذلك تكون قد قضت على اسباب التخلف وفتحت امامها باب الامل والعمل ومهدت لنفسها سبيل الرقي والازدهار .

وان الركيزة الكبرى التي تقوم عليها الدول في اي عصر ليست الا الشباب الحازم مفتاح الامل والطموح ومبعث الحركة والنشاط .

فاذا توجهت حركات الشباب الى تحقيق اهداف واضحة صالحة نهضت الدولة وبرق حاضرها ومستقبلها اما اذا كانت الحركة منحرفة فان الانحلال يتسرب الى جميع مرافق الحياة فتضعف الدولة خلقيا وعلميا واقتصاديا وتصبح في مؤخرة الامم ، كلما حاولت السير الى الامام كبت لانها لا تجد مسندا تستند اليه ولا دعامة ترتكز عليها .

لهذا وجب علينا ان نهتم بتوجيه الشباب وان نملأ كل فراغ نحس به في نفسه لان الشباب ليس مسؤولا عن الانحلال اذا لم يجد من يوجهه ويهديه سواء السبيل .

يجب علينا ان نهتم بهذه الطاقة القوية التي يجب ان تمهد للانفجار ضد التخلف وضد الميع في آن واحد .

يجب علينا كلما احسسنا بفراغ في نفوس شبابنا ان نعمل بجد على ملء هذا الفراغ لان الشباب قوة حية متحركة دائبة النشاط . ومن الاخلاص لامتنا ان نجعل هذه القوة الدائبة الحية تفكر قبل ان تحكم ، وتتمكن من المواقف قبل ان ترسل قدمها لتأمن بذلك العثار وتسلم من الانزلاق والعار .

وان الفراغ الذي نحس به الآن في هاته النفوس مرجعه الى الجهل بحضارتنا وبتاريخنا وبلغتنا وبثقافتنا الاسلامية ، هذا الجهل الذي يبعث في نفوس الشباب الحيرة والقلق والاضطراب لذلك ارى من الضروري ان اشرح هاته الظاهرة التي تكاد تسيطر على اغلب الشباب .

فمن المخجل ان يكون الشاب المغربي العربي المسلم اجهل الناس بتاريخه وحضارته ومغزى مبادئه التي يعتنقها .

ان الجهل بالماضي وجلاله يبعث فينا خنوعا وذلا ويدفعنا الى الاكتفاء بما نتلقاه من العلوم الحديثة دون ان نربط بينها وبين الذين مهدوها للعالم قبل سنين .

لقد كون العرب بعد الاسلام دولا مختلفة شاركت في تطوير الفكر الانساني وعملت على تطهيره من الخرافات ومن الجمود ذلك لانها ارتكزت في حضارتها ، على المبادئ الاسلامية التي فرضت على المسلم ان يفكر ولم تحصر فكره في حدود ضيقة بل منحته الحرية للبحث في العلوم الطبيعية والميتافيزقية بشرط التقيد بحدود العقل والابتعاد عن العصبية المقيتة التي ينكرها الاسلام .

ولقد استفاد العرب من الامم التي اندمجت في الاسلام كثيرا فدرسوا ثقافة اليونان وثقافة الفرس وثقافة الهند وتأثروا بهذه الثقافات وصهروها ومحصوها واخرجوا منها ثقافة جديدة

عربية اسلامية اشعت على العالم بنورها في القرون الوسطى واحيت الفكر من سباته وعمل الاوروبيون على تلقيها فأحيتهم بعد جمودهم ووجهتهم وجهة علمية صالحة كانت من نتائجها هذه الاكتشافات الحديثة وهذه المدنية الناهضة التي يعجب الانسان المعاصر من شكلها وسرعة تطورها .

والانسان بطبعه ميال الى تقدير العلماء والمفكرين، والى تقدير العظمة في كل صورها وهذا هو السر فيما نراه الآن من تقدير مطلق من شبابنا للثقافات الحديثة التي يتلقونها ويدفعهم هذا التقدير الى ان يرتبطوا روحيا باللغة التي نهلوا بواسطتها ثقافتهم وبالجنس الذي مهد لهم سبل تلك الثقافة فيتتبعون تاريخه وحضارته في شتى نواحيها ويعجبون بكل ما يقدم اليهم من ارباب هذه الثقافات لانهم ارتبطوا بهم ارتباطا مطلقا يذكيه الحب والرضى .

وعين الرضى عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهذا هو السر في كون جميع الامم القوية تعمل جهد مستطاعها لتجعل لغتها لغة سائدة تتحكم في توجيه افراد الانسان لان السيطرة الروحية على الامم اقوى من السيطرة المادية المحضة .

وهذا هو السر الذي يدفع المستعمرين لاية دولة ان يعملوا على نشر لغتهم وفرضها وعلى القضاء على اللغة الاصلية للبلاد المستعمرة لان القضاء على لغة ما ليس معناه الا القضاء على المتكلمين بها .

وهذا هو السر الذي دفع علماء الاجتماع الى ان يربطوا حياة الامم بحياة لغتها فليس في الامكان ان تحيا امة حياة منبعثة من شعورها ومن كيانها اذا كانت لغتها مبعدة عن الاستعمال العلمي والادبي .

ونحن العرب نجد انفسنا مضطرين الى الدفاع عن لغتنا خصوصا وان اللغة العربية ليست لغة جامدة بعيدة عن التفكير العلمي ومقتصرة على الادب كما يحاول بعض المشوهين لسمعتها ان يصوروها .

ان اللغة العربية تملك اعظم المقومات الاساسية التي تجعلها صالحة للتطور قابلة للمسميات الجديدة ذلك لانها لغة تمتاز بالاوزان وبالصيغ الدالة على المعاني . هذه الصيغ هي التي تجعل الواضع حرا فيما يضع ، ليس عليه الا ان يستعمل تلك الاوزان المختصة بمعانيها فاذا باللغة تمتد واذا بها تصلح للمخترعات العلمية والصناعية على اختلاف انواعها .

لسنا ندعي قصورا في اللغة العربية ولكننا يمكننا ان ندعي ان هذا القصور يوجد في بعض الافراد الذين ما زالوا لم يتحرروا فكريا وما زالوا يرون ان لغتهم ليست صالحة للعلم وانما هي لغة الادب والشعر فقط ولقد احس علماء العرب وادباؤهم بالخطر المحدق بلغتهم وبحضارتهم اذا ظل الاهمال دائبا لذلك هبوا عاملين على احياء اللغة ونشرها بين ربوع العالم العربي ودعوا العرب الى اليقظة كما حمل الشعراء على المتهاونين الذين فتنوا عن لغتهم وانصرفوا عن العلم فضاعت لغتهم بسبب جهلهم وقصورهم ومن ذلك ما قاله حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم اجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم اجد لعرائسي
رجالا واكفاء وادت بناتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لمخترعات ؟

انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني
ومنكم وان عز الدواء اساتي

فلا تكلوني للزمان فانني
اخاف عليكم ان تحين وفاتي

ارى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز اقوام بعز لغات

اذن فاللغة العربية احدى مقوماتنا وهي كائن حي يقبل التطور ويقبل النمو ويقبل مسايرة الرقي اذا وجد من العرب من يهتم بالعلوم والفنون والآداب .

اللغة العربية صالحة للعلم لما لها من امكانيات التطور ويكفيكم دليلا على ذلك انها في العصر الجاهلي كانت لغة تقتصر على وصف الاطلال والديار وبكاء الاحباب الظاعنين وكان الشعراء يستعملونها في الوصف المادي المحسوس فاذا ارتفعت عواطفهم استعملوها في الرثاء والفخر والحماسة والتهديد والوعيد ولكنها بعد الاسلام انطلقت من عقالها واصبحت تسع كل ما كان عند الامم الاخرى فدل ذلك على ان اللغة في امكانها ان تتسع بالاستعارات والمجازات والاصطلاحات الوضعية وان تنمية اللغة لا تحتاج الا لتنمية الفكر واتساع المعارف .

والعرب حينما اهتموا بالعلوم اهتماما مطلقا في العصر العباسي وما بعده استطاعوا ان يدخلوا الى لغتهم جميع المصطلحات العلمية وان يكيفوا لغتهم لتتلاءم مع التفكير العلمي بعد ان كانت تستعمل في التعبير الادبي بل رفعوا من شأن اللغة حينما صاروا يحللون ما اخذوه من ثقافات ويضيفون الى الفكر نتائج مجهوداتهم والى الصناعات مكتشفاتهم الجديدة ومخترعاتهم العامة .

وليس السبب في استعمال اللغة راجعا الى مرونتها فقط وانما يرجع الى الهمة الكبرى التي كان يتصف بها العلماء المسلمون والى ثقافتهم الواسعة التي كانت تتصل بمختلف العلوم والى رغبتهم الشديدة في ان يصبح العرب سادة في العلم كما اصبحوا سادة في السياسة والادارة .

وانا ارى اننا في حاجة مرة اخرى الى احياء نفوسنا والى العمل على شق طريق المجد والاطلاع على المعارف الانسانية لنضيفها الى معارفنا ولنضمها الى لغتنا ، لان احياء اللغة سيرفع عنا ذلة الخضوع وسيدفعنا الى مراجعة الاوضاع التي نحياها .

ومن الضروري ان نربط بين مقوماتنا الخلقية وبين لغتنا لان اللغة العربية حينما سنعمل على احيائها واستعمالها في الدراسات العلمية كما تستعمل في ابراز الخواطر الادبية فاننا بذلك سنيسرها مرة اخرى لتقوم بمهمتها الخلقية لانها ترتبط في كيانها بكياننا وفي مظهرها بمخبرنا فهي ليست لغة العلم والادب فقط ولكنها لغة القرآن فهي ترتبط بعواطفنا وبتهذيبنا .

ولا غرو اننا في حاجة الى نمو فكري والى تهذيب خلقي فالعلم وحده لا يحقق للانسان طريق المجد اذا لم يوجه حسب الدوافع الخلقية العامة فان الاخلاق هي اساس العمران .

وليس بعامر بنيان قوم
اذا اخلاقهم كانت خرابا

والاضطراب الحاصل عند شبابنا مرجعه الى عدم تحديد معنى الاخلاق في نفوسهم والى عدم استيعاب الاوضاع الخلقية الاسلامية عامة فقد تسرب الشك والالحاد الى كثير من الشباب دون ان يتعمقوا في الدوافع التي دفعتهم الى ذلك .

فهو شك سطحي ، شك فارغ ، شك الجاهلين العابثين اللاهين .

والسبب في هذا الشك انحراف في التوجيه او اخذ لبعض المبادىء الفلسفية دون ان تصرف في وجوهها .

لقد راى الغزالي ان الشك مبدأ اليقين ولقد سار على نهجه الفيلسوف ديكارت الذي اصبح فيما بعد مستند الباحثين المفكرين الاحرار ولكنهما لم يقفا عند الشك بل جعلاه مبدأ البحث ، وحاولا ان يطلعا على مختلف الاتجاهات الفكرية والخلقية والدينية وان يستسيغاها ليبلغا بها الى الاهداف التي يقصدانها .

اما شك هؤلاء الشباب فهو شك منحرف لا يدفعهم الا المرح والملذاذة المطلقة ، يبعدهم عن التقوى وعن الالتزام بمكارم الصفات ، فلا يرون من الحرية الا ان يرقصوا او يغنوا ويتحرروا من كل الالتزامات الدينية والخلقية التي ينبني عليها كيان مجتمعنا ونظام امورنا ، لانهم لا وازع لهم يبعدهم عن هاته الموبقات ولا مانع لهم يحجزهم عن الانهماك في اللذات فهم يعتقدون انهم ان كانوا في مأمن من الشرطة فليس هناك من يعاقبهم .

وهذا ما لا نرضاه لشبابنا .

اننا نريد منهم ان يشعروا بواجباتهم وانهم ما خلقوا في هاته الحياة الا ليؤدوا عملا صالحا نافعا لهم وللبشرية كلها .

نريد من شبابنا ان يبتعدوا عن الميع وان يفكروا تفكيرا جديا في اوضاعنا العامة .

نريد من شبابنا ان يثقوا بعروبتهم وباسلامهم وبماضيهم وليس هناك سبيل الى ذلك الا اذا حرصنا على مزج ثقافتهم العلمية بتوجيههم الخلقي ، هذا التوجيه المتوقف على ربط لغة العلم والادب بلغة الاخلاق والدين .

فالشباب اليوم اصبح يقدر العلم حق قدره ، لان سلطة العلم اصبحت سلطة قاهرة . فبالعلم اصبحت السماء ميدانا للصواريخ وبالعلم اصبحت الصحراء منبعا فياضا للغنى والازدهار ، وبالعلم مهدت سبيل الحياة الى كثير من المرضى بسبب اكتشاف الجراثيم والعمل على القضاء عليها .

ولا شك ان اللغة التي ترتبط بالعلم تكتسب جلالها منه فتتوجه اليها النفوس المتعطشة الى المعرفة وتصبح ذات سلطة قاهرة ، وتضمحل امامها اللغات التي تقتصر على التعبير الشعري او التوجيه الديني لذلك نريد ان تعمل جهد مستطاعنا لتستعمل اللغة العربية في الدراسات العلمية لتكتسب من هاته السلطة العلمية وجودها فينصرف آنذاك اليها المتعلمون اضطرارا ويجدون انفسهم امام الامر الواقع فيربطون بين اللغة العربية لغة العلم وبين اللغة العربية لغة الادب والدين والاخلاق . وبهاته الوسيلة تنمو العقول وتتهذب النفوس وتستقر الاوضاع ويعود الاطمئنان الى الشباب من جديد .

ان الثقافة لها اثر في توجيه الفرد وتكييفه حسب اتجاهها ولكننا مع ذلك لا نريد ان يصبح الانسان عبدا لاتجاهه الثقافي لا يؤمن الا به ولا يثق في سواه بل نريده حرا مفكرا لا يحكم ضد ثقافة اخرى قبل ان يعرفها ويقارن بينها وبين ثقافته .

ان الحكم على الشيء فرع تصوره ولا يمكن للقاضي ان يحكم ضد المتهم قبل ان يطلع على ملفه الخاص وعلى حججه الدفاعية والا فان الحكم يكون خارجا عن حدود العدل والعقل معا لا يلبث ان يبطله حكم آخر .

كذلك الشأن مع اكثر شبابنا فانهم لا يتذوقون الثقافة العربية ولا يستلذون اساليبها ولا يعرفون مصادرها واهدافها ولا ينسجمون مع اتجاهاتها ولا يستوعبون اسسها ولا يتصلون

بتاريخها فيدفعهم هذا الجهل الى عدائها واستصغارها وتحقيرها واهمال برامجها الدراسية لانهم يظنون انها لغة لا تصلح للحياة ولا تصلح للعلم . الا ساء ما يظنون ، ويدفعهم هذا الجهل الى استصغار حضارتهم واهمال تاريخهم ونسيان ما كان للعرب من مجد في مختلف العصور وما كان لهم من فضل على تقدم العلوم وتقدم المشاريع الحضارية الكبرى سواء منها ما كان مرجعه الى الانظمة الاجتماعية او الى المناهج العلمية .

لذلك ارى من الواجب على اساتذة اللغة العربية واساتذة الحضارة ان لا يهملوا هذا الجانب في تعليمهم ، لاننا اذا استطعنا ان نصور لشبابنا ماضيهم وان نشخص لهم الدور الحضاري الذي حققه العرب والمسلمون عامة في تطوير المدنيات لارتفعت معنوياتهم ولعلموا ان ما يتداولونه الآن من علوم الغربيين ليس ملكا لهم وليس وليد مجهوداتهم فقط ولكنه مرتبط بنظريات اخرى حققها العرب ونمت في اطار التقدم الانساني ، فالسمو الفكري والكمال العقلي ليس مقصورا على الجنس الآري او على قوم دون آخرين ، بل ان التقدم الحضاري رهن بالانسان في كل مكان ، وان الواجب يفرض علينا ان نقتبس من الاوربيين احسن ما عندهم وان نعمل على تنميته من جديد .

اريد ان اقول اننا في حاجة الى مسايرة التقدم العلمي الحديث ولكن فرق بين ان نتلقى هذه العلوم ونحن صاغرون وبين ان نتلقاها ونحن نعلم انها رصيد انساني شارك في ايجاده طوائف مختلفة من البشر كان من بينهم علماء العرب الامجاد

ان النهضة العلمية العربية في عصر العباسيين دفعت العرب الى شرح الثقافات المختلفة والى تحليل الفلسفة اليونانية وتطهيرها من التزييف الذي لحقها من رجال الكنيسة الذين كانوا يرون في بعض النظريات الفلسفية ما يعاكس دينهم، فلما اتصل بها المسلمون حرروها من الجمود وابعدوا عنها ذلك التضييق وربطوا بين اجزائها ووصلوا المقدمات بالنتائج وحققوا طرق البحث وفصلوا بين العلم والخرافات ، خصوصا في علم النجوم والفلك وعملوا على تعميم الثقافة بين الناس بل دفعهم الحرص على نشر العلوم بين الجمهور ان يؤلفوا الكتب البسيطة ليقربوا الى المبتدئين في الثقافات العلوم العميقة فقد الف الخوارزمي كتبا في الحساب يقرب بها هذه المادة الى كل من اراد ان يتعلمها ويتعمق فيها ، وهكذا كان الشأن بالنسبة الى باقي العلوم حتى اننا نجد في كل علم كتبا موجزة واخرى متوسطة واخرى مطولة فينال بسبب ذلك الراغبون في العلم مقصودهم على اختلاف طبقاتهم .

ولم تكن كتب العرب في العلم مجرد نقل وتقليد بل دفعت النزاهة العلمية بعض علماء العرب ان لا يقبلوا من المعلومات الا ما بلغوا اليه عن طريق التدريب والتجارب العامة ومن هؤلاء العالم الكيماوي الشهير جابر بن حيان الذي قرر بان الانسان في استطاعته ان يعرف اسرار الطبيعة وان يعرف المواد التي تتركب منها الاشياء ونسبها العادية وبذلك يستطيع ان يحول مادة الى اجزائها وان يضيف مواد الى اخرى فتتغير اشكالها ولقد قال هذا العالم القدير : « كيف يظن العجز بالعلم دون الوصول الى الطبيعة واسرارها ؟ الم يكن في مستطاع العلم ان يجاوز الطبيعة الى ما وراءها ؟ فهل يعجز عن استخراج كوامن الطبيعة ما قد ثبتت قدرته على استخراج السر مما هو مستور وراء حجبها ؟ » . وقال : « ان اسرار الطبيعة قد تمتنع على الناس لأحد سببين ، فاما ان يكون ذلك لشدة خفائها وعسر الكشف عنها واما ان يكون للطاقة تلك الاسرار بحيث يتعذر الامساك بها وسواء كان الامر هو هذا او ذلك ، كان في وسع الباحث العلمي ان يلتمس طريقا الى تحقيق بغيته فلا صعوبة الموضوع ولا لطاقته او دقته مما يجوز ان تحول العلماء دون السير في شوط البحث الى غايته (✱) .

وليست الغاية من كلامنا عن جابر بن حيان ان اظهر الحقائق العلمية التي بلغ اليها ، ولكن الغاية ان ابرز الخطة التي كان ينهجها فهو يرى ان البحث العلمي لا يقف دونه اي حاجز من الحواجز .

انه بهذه الحقيقة يدعو الى الانطلاق الفكري ويدفع الباحثين الى عدم اليأس من الاخفاق في المحاولات الاولى بل يجب عليهم ان يدأبوا على العمل وان يجدوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وما التقدم العلمي الذي نعتز به الآن الا وليد نفوس طامحة لم يقف دون بلوغ اهدافها يأس او عجز ولكنها نفوس انطلقت تبحث عن تحقيق ما كانت ترجوه الى ان وصلت الى بعض النظريات وابطلت اخرى ولم تقف بل دأبت على العمل وما تزال تدأب لانها لا تعرف للوقوف نفعا ولا ترى للبحث نهاية فاذا وقفت الحركة العلمية عند قوم تبناها آخرون واستمروا في تقدمهم دون ان يعلنوا انهم بلغوا النهاية ، فالنتيجة الاخيرة لا يعرفها العلم وويل لمن ظن انه بلغ الكمال .

ان التفكير العلمي هدانا اليه علماء مختلفون ودفعونا الى البحث المنظم ، فما علينا الا ان نستمر في البحث حتى نكتشف من اسرار الطبيعة ما زلنا نجهله .

(✱) عن كتاب جابر بن حيان من سلسلة اعلام العرب للدكتور زكي نجيب محمود ، صفحة 42 .

الا ان الاكتشافات العلمية كما سبق لنا ان قررنا ليست كافية في خلق امم صالحة اذا لم تعتمد على الجوانب الخلقية التي ترفع النفس عن ادرانها وتهذبها وتجعلها تفكر في المصالح الانسانية الكبرى .

ان الانانية شر عظيم وان الانحلال من التقييدات الخلقية لا يدفع الا لفناء العالم ولعل سبب هذا القلق الذي نلاحظه على المدنية الحديثة مرجعه الى محاولة التحرر المطلق من القيود الخلقية والدينية والسير مع اهواء الفلسفة المادية التي تجعل الانسان في درجة الحيوانات .

وان هذا الانحلال قد دفع كثيرا من شبابنا الى التفكير الاناني فلم يعد الفرد يرتبط باي ارتباط داخلي في نفسه يوجهه توجيها صالحا وينذره ويغريه ، فان الانسان كما يوجه عن طريق العقل يوجه عن طريق العاطفة ، وليس في الامكان ان نهذب جميع الناس عن طريق عقولهم فان هناك افرادا لا يهذبون الا اذا ارغبوا او رهبوا فيتصلون بالصفات الخلقية محبة في الله او طمعا في جنته ويبتعدون عن المخالفات حياء من الله او خوفا من ناره .

ان انتظار الجزاء ليس الا عاملا على صقل الضمير واحيائه وجعله يقظا حازما فيقف دون الفرد والمعاصي ويحمله على الندم والتوبة .

الايمان بالله والايمان بالبعث طريق الى التهذيب الخلقي والى الرقي الحضاري ما دام هذا الايمان لا يحرفنا عن طريق المعرفة ولا يحجزنا عن التفكير ، فليس هناك شيء يوجهنا الى الله ويبعدنا عن العلم بل ان طاعة الله تفرض علينا ان نفكر وان نعمل بجد لنطلع على اسرار الكون ، تلك الاسرار التي كلما زدنا بها معرفة زادتنا بالله ايمانا .

فـاس : محمد بن عبد العزيز الدبـاغ

الوفـــد الارستقراطـي

ذهب وفد من اعيان مكة الى رسول الله (ص) وقالوا له :

« يا محمد ... لقد رضينا ان نستمع اليك ، ولكنا لا نجالس هذه الاخلاط من عبيدنا وصعاليك مكة الفقراء !! فاجعل لنا يوما ، ولهم يوما » .

... واستأناهم الرسول الى غد حتى ياتي امر ربه ، وسرعان ما جاءه الوحي الرشيد بآيات باهرة :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ، يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا » .



نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط

الدكتور تقي الدين الهلالي

(6)

جواب السفارة البريطانية بالرباط عن عدد الملحدين في بلادها .

الرباط في 25 مارس 1965

سيدي استاذ الدكتور تقي الدين الهلالي .

بناء على زيارتكم ، أؤكد لكم في هذه الرسالة المعلومات التي اعطيت في مسالة الملحدين في بريطانيا العظمى . من دواعي الاسف ، انه لايوجد احصاء حقيقي في هذا الصدد ، الا ان الجمعية الانسانية البريطانية اعلنت في دعايتها الالحادية ان عدد الملحدين التابعين لها يبلغ عشرة آلاف في جميع البلاد البريطانية .

ثم قالت الجمعية : ان هذا العدد يرجح انه غير دقيق ، ولكن كثيرا من الناس لايصدقونها في هذا العدد .

ومن دواعي اسفي انني لا استطيع ان اساعدكم باكثر من هذا .

اما عدد سكان المملكة المتحدة حسب الاحصاء الاخير سنة 1961 فانه يقل بقليل عن 53 مليونا من النفوس .

وتقبلوا يا سيدي بعواطفي الطيبة نحوكم .
التوقيع : ا . ف . وارد

تعليق على هذا الجواب

والآن يا ربني الحبشي ، ويامن يروجون دعاية الالحاد المنتنة في البلاد الاسلامية والعربية الا تستحون، الا تخجلون ؟ ؟ فهذه البلاد البريطانية ، ولا يستطيع احد في الدنيا كلها ان يتردد في الشهادة لها بانها في مقدمة البلدان التي بلغت في المدنية اوجها ، وفي العلوم والاعمال والسياسة والحرب والسلم الغاية القصوى فهذه جمعية الالحاد فيها ، ومنها - طبعا - جوليان هيكسلي ، الذي سرق ربني الحبشي كلامه الاعرج وادعاه لنفسه ، تدعي أن عدد افرادها بلغ عشرة آلاف من مجموع 53 مليونا ، ثم لايصدقها الناس ، كما يقول الملحق الصحفي في السفارة البريطانية بالرباط . ولنفرض ، انها صادقة في دعواها . فما هي نسبة عشرة آلاف من ثلاثة وخمسين مليونا يا مسيو ربني الحبشي ومن يعمل على شاكلته من المتهوكين ؟

والدعاوي ما لم يقيموا عليها
بينات ابناؤها ادعياء

شهادة عالم انكليزي كبير وهو ارنولد توينبي (Arnold Toynbee)

بينما انا افكر في كتابة هذه الحلقة ذكرت انني قرات كلاما مهما في الموضوع للعالم الانكليزي الكبير ارنولد توينبي في مجلة البعث الاسلامي الهندية اللكناوية بقلم الاستاذ ابي الحسن علي الندوي فاحببت اثباته هنا صفعة اضافية لربني الحبشي ومن لف لفه من المدلسين والغوغاء . نشر الاستاذ ابو الحسن الندوي في مجلته (البعث الاسلامي) مقالا قيما تحت عنوان « الاقطار الاسلامية والحضارة المصرية » الجزء السادس من السنة التاسعة تاريخ ذي القعدة 1384 الموافق مارس سنة 1965 م جاء فيه ما نصه :

ان مستقبل الانسانية يتوقف على اخوة روحية لايمنحها غير الدين ، وهو الشيء الذي يحتاج اليه النوع الانساني في هذا الوقت . الشيوعية تزعم انها تستطيع ان توحد النوع البشري ، كما ان الاسلام يثبت صلاحيته كقوة موحدة للانسان في افريقيا . المسيحية

ايضا تستطيع ان تلعب هذا الدور اذا عملت بمبادئها. ولكن القومية لاتستطيع ابدا ان توحد الانسانية ، بل انها توزعها وتشتت شملها . ومن اجل ذلك ليس لها مستقبل ، انها لا تستطيع الا ان تدفن الانسانيــــة في ركامهـــا .

انه يجب علينا ان نختار احدى النتيجتين في عصر الذرة واننا اذا اردنا ان ننقذ انفسنا من الهلاك والدمار ، فينبغي لنا ان نحتضن الانسانية كلها من غير استثناء ونتعلم كيف نعيش كأسرة واحدة . انتهى . نقل هذا الكلام من مجلة اسلامك رفيــو ..
Islamic Review - Mars 1961

نعود الى حجج الفلاسفة على وجود الباري وعموم ربوبيته سبحانه

براهيـن فنيلـون

فنيلون من كبار فلاسفة القرن السابع عشر قال في كتابه « وجود الله وصفاته » :

انما علمت ببحثي في نفسي اني لم اخلق ذاتي، لان ايجاد الشيء يقتضي الوجود قبله ؛ فيلزم على ذلك اني كنت موجودا قبل ان اوجد ؛ وهو تناقض صريح . فهل انا موجود بذاتي ؛ فلاجل ان اجيب على هذا السؤال يلزمني ان اعرف ما ذا يجب ان يكون عليه الكائن الموجود بذاته . يجب ان يكون ازليا ثابتا لانه يكون حاصلا من ذاته على علة وجوده ، ولا يكون محتاجا لشيء من الخارج عنه . فكل ما يمكن ان يأتيه من الخارج لا يعقل ان يتحد به ولا ان يكمله ، لان الحادث المتغير لا يمكن ان يتحد مع الموجود بذاته الذي لايقبل التغيير . فالفرق بين هاتين الطبيعتين يجب أن يكون لانهاية له . اذن فلا يمكنهما ان يؤلفا مجموعا حقيقيا. اذن فالموجود بذاته لايمكن ان يزاد شيء على حقيقته ولا على رحمته ولا على كماله . فهو في ذاته كل مايمكن ان يكون ولا يجوز عليه أن يكون أقل مما هو عليه . فالموجود على هذه الحالة هو على أرقى درجات الوجود

بقي علي ان اسأل هل الشيء الذي اسميه (انا) الذي يفكر ويعقل ويدرك ذاته هو تلك الذات غير المتغيرة ام لا ؟ ؟ . ان الشيء الذي اسميه (انا) بعيد جدا عن الكمال المطلق . فانا اجهل واخدع واشك ، ويكون احيانا هذا الشك الذي يعد نقصا من احسن ما يجب علي الاتصاف به . ومما هو اشد من ذلك اني قد اريد ولا اريد فارادتي تتذبذب ولا تستقر على حال، فتناقض نفسها بنفسها . فهل يصح أن أعتقد في نفسي الكمال المطلق ، وانا في وسط هذه التقلبات والنقائص ، في وسط هذه الجهالات والاضاليل غير الارادية ، بل والارادية ايضا . اذن فلست انا الكامل كمالا مطلقا ، ولست انا القائم بنفسي ؛ فلا بد اذن من قيوم اوجدني . واذا كان غيري اوجدني فلا بد انه يكون موجودا بذاته ، ويلزم من ذلك أن يكون كاملا كمالا مطلقا . فهذا الكائن القائم بذاته ، والذي انا قائم به هو الله .

وله برهان آخر مؤداه : اني وان كنت محدودا منتهيا ، الا اني احمل في ذاتي شعورا بلا نهاية وبكمال لاحد له . فمن اين حدث لي هذا الشعور الذي يعلو مداركي ويدهش لبي احيانا ؟ هل حدث من العدم ؟ لا شيء مما هو محدود يستطيع ان يبعث في هذا الشعور ، لان المحدود لايشعر بغير المحدود . ومما لا شبهة فيه اني لم اوجد لنفسي هذا الشعور ؛ لانني انا ايضا محدود ومتناه فلا مناص اذن من ان نستنتج من هذا ان الذي اوجد لي هذا الشعور هو الكائن الذي لانهاية لكماله ، وهو الله .

براهيـن بوسويت

بوسويت كان معاصرا لفنيلون المتقدم ذكره وهو فرنسي مثله . له برهان خاص به مؤداه : (ليس علينا الا ان ننظر الى انفسنا لنتحقق اننا صادرون من اصل رفيع . نرى انفسنا اهلا لان نفهم الاشياء وندرك الموجودات . وانها قد تجهل بعضها فنشك فيها ؛ او نرى الاحوط لها أن لانحكم عليها بحكم حتى نصل منها الى حقيقة ما ، وما ذلك الا لانها تعتقد ان بها نقصا يمنعها الوصول الى الحقيقة المطلقة . واذا كان في الوجود عقل ناقص يشك ويتردد ويجهل ، وهو مع ذلك موجود ، فمن باب اولى يكون موجودا عقل كامل ليس عقلنا منه الا قطرة من بحر او شعاع من شمس ؛ لانه مما لا يعقل ان تكون نحن وحدنا المتمتعين بعقل وادراك ، ويكون الوجود العظيم كله خاليا منهما اذ يقال انه اذا كان الوجود كله مكونا من مواد صماء عمياء لاعقل لها ولا ادراك ، فمن اين نشأ للانسان هذا العقل والادارك ، وفاقد الشيء لايعطيه كما هو معلوم ؟ اذن فلا بد ان يكون في الوجود عقل مطلق وادراك لا حد له .

نقول ، هذا كلام جيد ، فان الانسان معلوم انه خلق من طين ، والطين لايعقل ولا يدرك ، فمن أين ينشأ للانسان هذا الادراك ان لم يكن فوق طبيعة الطين طبيعة ارقى منها الادارك مظهر من مظاهرها. ولبوسويت برهان آخر فحواه :

كل ما هو ثابت في العلوم الرياضية وفي العلوم الاخرى يجب ان يكون من النظام الازلي الثابت . هذه الحقائق كانت ، وستكون على ممر الاحقاب حقائق مقررة ، ولو رآها الانسان في أي زمان وفي اي مكان لاعتبرها كذلك على الاطلاق ، لانه ليست حواسنا هي التي ترينا على هذه الصفة ، بل لانها هي في الواقع كذلك . ولو اتفق تلاشي الوجود كله وبقيت انا وحدي فلا ازال أتصور تلك الحقائق واعتقدها حقائق، وانها كانت حسنة نافعة . ولو زلت انا ايضا ، وزال كل عاقل في العالم ، فلم ينقص ذلك من قدر تلك الحقائق ، ولم يخرجها عن كونها كانت حقيقة ونافعة ، فاذا بحثت عن الذات التي تتركز فيها هذه الحقائق ازلية ابدية كما في الواقع كنت مضطرا للاعتقاد بوجوب وجود كائن مستقرة فيه كل هذه الحقائق ومدركة لديه . وهذا الكائن يجب ان يكون هو الحقيقة بعينها ، بل منه تشرق الحقيقة ذاتها في كل وجود .

اذا تقرر هذا ، فمن بين الحقائق المقررة الازلية التي ادركتها حقيقة جليلة القدر ، وهي انه يوجد في العالم شيء موجود بذاته ، وهو ابدي لايدركه تحول ولا يعتريه تبدل . لانه اذا فرضنا انه كان وقت ليس فيه شيء مطلقا في العالم ، اي لاشيء قائم بغيره ولا شيء قائم بنفسه من القدم ، فلم يكن غير العدم ، والعدم لايصلح لايجاد شيء . فلا يصح ان يقال ان العدم حقيقة ابدية ، وان لاحق الى الابد الا العدم ، اذن فلا بد ان يكون في الوجود شيء كان قبل كل شيء فيه من الازل ، وفيه تركزت جميع الحقائق الكونية . وان تلك الحقائق الابدية التي تدرك بالنظر في الوجود بلا تحول ولا تبدل هي صادرة من الله ، او بعبارة احسن، هي الله نفسه ، لان جميع الحقائق الابدية ليست في الواقع الا حقيقة واحدة .

براهين ليبتز

ليبتز هو فيلسوف الماني مشهور (1646 — 1716) م ومصلح اسلوب علم الطبيعة وما وراء الطبيعة الذي قرره ديكارت المتقدم ذكره وبين الجهات الضعيفة منه احسن تبيين .

ارتضى من براهين ديكارت على وجود الخالق برهانه الذي رمى به الى ضرورة وجود كائن واجب الوجود . لليبتز برهان جليل القدر على وجود الخالق اليك مؤداه . قال في كتابه (تيوديسيه) الله هو العلة الاولى لوجود الاشياء ، لان كل ما هو محدود ومتناه ككل شيء تقع عليه انظارنا وتتأثر له مشاعرنا هو من الممكنات ، أي ليس بضروري الوجود ، فقد يوجد او لا يوجد ، وليس في احدها شيء يوجب له الوجود بذاته ، والزمان والمكان والمادة المتحدة فيما بينها تستطيع ان تقبل حركات وصورا من نوع آخر غير النوع الحالي .

اذن يجب البحث عن الاولية لوجود العالم الذي هو مجموع هذه الكائنات الممكنة ، يجب البحث عنها في الهيولي التي تحمل معها علة وجودها ، فهي الواجبة الوجود والازلية . يجب ان تكون هذه العلة عاقلة ، لان الكون الموجود لما كان ممكنا اي قد يكون ولا يكون، وفي الامكان حدوث دنياوات اخرى من نوعه ، فيلزم من ذلك ان تكون علة الوجود محيطة بعلاقات اجزائه قبل ان تتمكن من احداث دنيا جديدة فيه ، ويكون تحديد تلك الدنيا على حال مناسب للمجموع فعل ارادة واختيار ، ولا شيء يجعل تلك الارادة فعالة الا القدرة التي لها هذه العلة الحكيمة يجب ان تكون غير محدودة ولا متناهية من كل وجه وكاملة كمالا مطلقا من حيث القدرة والحكمة والرحمة ، ولما كان الوجود كله مرتبطا ببعضه ومفرغا في قالب واحد فلا سبيل لفرض وجود علة ثانية معها .

براهين نيوتن

نيوتن اكبر علماء الفلك في عصره من الانجليز ، وهو يعتبر من العقول النادرة التي ظهرت في العالم (1642 — 1727) وهو مكتشف قانون الجاذبية العامة وغيره من القوانين الفلكية واساليب حلول مسائلها مما خلد ذكره في تاريخ النهضة العالمية . الذي يقارن بين مذهب نيوتن في اثبات الخالق ومذهب ديكارت الطبيعي الفرنسي المتقدم الذكر ، يجدهما على طرفي نقيض . فان الثاني كما راينا اطرح جميع البراهين الحسية المنتزعة من الوجود واعتمد على البراهين النفسانية ، فجاء نيوتن على عكسه متخطيا البراهين النفسانية وغير معتمد الا على البراهين الحسية . ذلك لان بين الفيلسوف الانكليزي والعالم الفرنسي فرقا اساسيا في الوجهة والاسلوب وكيفية التفكر والتعليل والبرهنة .

فديكارت جعل التحقق من وجود ذاته ووجود الله قاعدة بناء فلسفته ، ومنهما تحقق من الوجود واستنتج نواميسه وخواص مادته قائلا : ان غرضي من ذلك تفسير المعلولات بعللها لا العلل بمعلولاتها .

ولكن الفيلسوف جعل قاعدة فلسفته النظر في خواص المادة ونواميس الطبيعة ، واستنتج من ذلك عقيدة وجود الخالق ومعرفة صفاته . ولم يتأثر اقل تأثر بذلك النفوذ الكبير الذي نالته فلسفة ديكارت على عقول معاصريه . فكان نيوتن يقول : كل ما لم يستنتج من حوادث الوجود يجب ان يسمى فرضا ، والفروض مهما كانت انواعها لاقيمة لها في الفلسفة الطبيعية . بهذا الاصل احدث نيوتن انقلابا عظيما في عالم العلم الطبيعي واهدى للعقول المتعطشة للحقائق احسن المدركات على الوجود ونواميسه ، فلما اشتهر ببعد النظر وقوة الاقناع سأله الناس من كل مكان ان يأتيهم بدليل على وجود الخالق يكون في درجة المحسوسات ، فأجابهم قائلا : لا تشكوا في الخالق ، فانه مما لا يعقل ان تكون الضرورة وحدها هي قائدة الوجود ، لان ضرورة عمياء متجانسة في كل مكان وفي كل زمان لايتصور ان يصدر منها هذا التنوع في الكائنات ، ولا هذا الوجود كله بما فيه من ترتيب اجزائه وتناسبها مع تغيرات الازمنة والامكنة ، بل ان كل هذا لايعقل ان كان يصدر الا من كائن اولي له حكمة وارادة . ثم قال : من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لا يمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة ، لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس ، فيجب لاجل ان تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد الاهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها . ثم قال : ومن الجلي الواضح بانه لا يوجد اي سبب طبيعي استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران في وجهة واحدة ، وعلى مستوى واحد بدون حدوث اي تغير يذكر . فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه . ثم انه لايوجد سبب طبيعي استطاع ان يعطي هذه الكواكب وتوابعها هذه الدرجات من السرعة المتناسبة تناسبا دقيقا مع مسافتها بالنسبة للشمس ولمراكز الحركة تلك الدرجات الضرورية لان تتحرك هذه الاجرام على مدارات ذات مركز واحد مشترك بين جميعها . فلاجل تكوين هذا النظام مع جميع حركاته يجب وجود سبب عرف هذه المواد وقارن بين كميات المادة الموجودة في الاجرام السماوية المختلفة وادرك ما يجب ان يصدر منها من القوة الجاذبة ، وقدر المسافات المختلفة بين الكواكب والشمس وبين توابعها وساتورن وجوبيتر والارض ، وقرر السرعة التي يمكن ان تدور بها هذه الكواكب وتوابعها حول اجسام تصلح ان تكون مراكزها .

اذن فمقارنة هذه الاشياء والتوفيق بينها وجعلها نظاما يشمل كل هذه الاختلافات بين اجزائه ، كل هذا يشهد بوجوب وجود (سبب) لا اعمى ولا حادث بالاتفاق ، ولكن على علم راسخ بعلم الميكانيكا والهندسة

ثم قال : ليس هذا كل ما في المسألة ، فان الله ضروري ايضا ، سواء لادارة هذه الاجرام على بعضها وهو الامر الذي لا يمكن ان ينتج من مجرد قوة الجاذبية او لتحديد وجهة هذه الدورات لتتفق مع دورات الكواكب ، كما يرى ذلك في الشمس والكواكب وتوابعها ، على حين ذرات الاذناب تدور في كل وجهة على السواء .

ثم قال : وغير هذا ، ففي تكون الاجرام السماوية كيف ان الذرات المبعثرة استطاعت أن تنقسم الى قسمين ، القسم المضيء منها انحاز الى جهة لتكوين الاجرام المضيئة بذاتها كالشمس والنجوم . والقسم المعتم يجتمع في جهة أخرى لتكوين الاجرام المعتمة كالكواكب وتوابعها . كل هذا لا يعقل حصوله الا بفعل عقل لاحد له .

ثم قال : كيف تكونت اجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة ، ولاي المقاصد وضعت اجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم باصول الابصار ونواميسه ، والاذن بدون المام بقوانين الصوت كيف يحدث ؟ ان حركات الحيوانات تتجدد بارادتها ، ومن اين جاء هذا الالهام الفطري في نفوس الحيوانات ؟

ثم قال : وهذه الكائنات كلها في قيامها على ابدع الاشكال واكملها ، الا تدل على وجود اله منزه عن الجسمانية حي حكيم ، موجود في كل مكان ، يرى حقيقة كل شيء في ذاته ويدركه اكمل ادراك ، الخ .

جاء في كلام العالم الفرنسي بوسويت ايضاح قوله : (او بعبارة احسن ، هي الله نفسه) لا يدل على انه يعتقد وحدة الوجود ، لكن جاء في كلام بعض الفلاسفة ما يوهم اعتقاد وحدة الوجود ، كما جاء في كلام اكثرهم ما هو صريح في بطلانها ، فكل ما جاء في كلامهم مما يدل على وحدة الوجود ، فأنا أتبرأ منه واعتقد بطلانه ، وانما اوردته حجة على الخصم الذي ينفي كل شيء غير هذا الوجود الناقص المتغير المحتاج الى موجد ومدبر .

قول نيوتن (لا اعمى ولا حادث بالاتفاق) يعني ان السبب في وجود هذا العالم لا يجوز ان يكون

متصفا بالعجز ولا يجوز ان يحدث على سبيل المصادفة ، لانه واجب الوجود ، ووجوده من ذاته ، لا من غيره ، وهو متصف بالعلم الذي لا حد له ، وبالقدرة التي لاحد لها ، وبالارادة التي لا نهاية لها . فهذه صفات واجبة له يمتاز بها الصانع عن المصنوع قول الاستاذ محمد فريد وجدي (الذي يقارن بين مذهب نيوتن فى اثبات الخالق ، ومذهب ديكارت الطبيعي الفرنسي المتقدم ذكره يجدهما على طرفي نقيض ، الى قوله (ان غرضي من ذلك تفسير المعلومات بعللها لا العلل بمعلولاتها)

يقول محمد تقي الدين الهلالي : لم تظهر لي صحة ما قاله ، لان نفس ديكارت التي نظر فيها واستدل بها على وجود الله تعالى هي ايضا معلولة ، وليست علة ، لان العلة والسبب هو الله ، وما سواه معلول ومسبب . فالفرق بين العالمين فى الاستدلال على وجود الله تعالى ، هو ان ديكارت اقتصر على النظر فى بعض المعلولات ، وهي نفسه ، ومنها استنبط الدليل على وجود الباري بخلاف نيوتن ، فانه نظر فى جميع الموجودات ، وخصوصا الاجرام السماوية فاستنبط منها الدليل على وجود الخالق المدبر لها ، فليتامل .

الرباط : الدكتور تقي الدين الهلالي

الثناء بعد البلاء

قال الاحنف لزياد حين قدم البصرة ، وخطب خطبته المشهورة :

« اصلح الله الامير ! ان الجواد بشده ، وان السيف بحده ، وان المرء بجده ، وان جدك قد بلغ بك ما ترى ، وان الثناء بعد البلاء . ولسنا نثني عليك حتى نبتليك ، فاول خيرا نثن به .



وهذه الأزمة...

للاستاذ احمد زياد

ازمة القراء ليست ظاهرة يختص بها المغرب او غيره من البلاد التي هي في مستواه الاجتماعي والفكري.

بل انها ايضا ازمة تشتكي منها حتى البلاد المتقدمة وجاء المؤتمر الدولي للناشرين فاكد وجود هذه الازمة بتلك البلاد .

فالنسبة المئوية في عدد الافراد الذين يترددون على المكاتب العامة في بعض البلاد الاوربية تثبت تلك الحقيقة وتثبتها مع شيء غير قليل من الغرابة وعلامات التعجب!

واذا كانت الامية في البلاد النامية تشكل العامل الاساسي في وجود ازمة للقراء، فان هذا التعليل لايصح بالنسبة للبلاد المتقدمة التي انهزمت فيها الامية او تكاد.

والواقع ان ازمة القراء تتفرع الى صنفين اثنين . فهناك ازمة للقراء ناتجة في معظم جوانبها عن الامية التي ما تزال اصولها مستحكمة في بعض البلدان النامية ، ويبدو اقرب ما يكون الى الكيف منه الى الكم .

ويكاد يكون من المسلم به ان (الزبناء) من القراء سواء في البلاد النامية او المتقدمة لم تعد فيهم قابلية استهلاك الانتاج الدسم الذي يبعث فيهم حالة مما يمكن ان نسميه (بفقدان الشهية) .

ولكان هذه الحقبة من القرن العشرين تشكل حقبة التزم فيها عموم القراء بمتابعة (رجيم فكري) او (حمية فكرية) حتى لا يغضب مكتب التعريب .

وتشهد الاحصائيات على ان ما يستهلك من الانتاج الفكري ويكسب كثيرا من الزبناء هو الانتاج الخفيف الذي يشبه الاكلة الخفيفة ، وذلك ناتج ــ فيما يرجع ــ الى ان القراءة اصبحت تتحكم فيها سرعة العصر الحاضر فاصبح الناس يقراون بسرعة مثل ما ياكلون بسرعة .

وهذا مما ادى الى طغيان الانتاج الخفيف المسلي على الانتاج المثقف الاصيل الافادة فكان من اثر ذلك هذا الاقبال الذي نشاهده على الانتاج السطحي من طرف الجمهور ، في حين وقع الاعراض عن الانتاج الذي يتسم بعمق الدراسة وطابع البحث والاستقصاء ، حتى ان هذا اللون الاخير من الانتاج اصبح لا يستهلك الا من طرف زبناء خصوصيين او اخصائيين ما تزال اذهانهم قادرة على هضم هذا النوع من الانتاج .

وبحكم هذا المنطق الواقعي ، فان الثقافة انقسمت على نفسها الى شعبتين اثنتين : شعبة الخواص ، وشعبة العوام . وهذه الطبقية الثقافية والتلقائية . هي التي اصبحت ظاهرة بارزة في عصرنا هذا ، وتشترك فيها البلاد المتقدمة مع التي هي في طور النمو وبنسبة متفاوتة طبعا .

ومما لاشك فيه ان الحالة النفسية لجماهير العصر الحاضر هي التي كيفت اذواقهم بهذا الكيف ، وجعلتهم ينصرفون اكبر الانصراف او معظمه الى الاقبال على الانتاج الفكري الخفيف السريع الهضم الذي يناسب ــ كما يقولون ــ عهد الفضاء والصواريخ .

الا ان الشيء الذي يؤسف له جدا ، هو ان هذا الاتجاه الذي اقتضته نواميس التطور كان من شانه ان اتاح الفرصة للكثير من انواع السخف والهوس ، التي سهل عليها ان تقتحم السوق محاولة انتحال صورة الانتاج الفكري الخفيف الذي يتسم بالفائدة وان لم يكن عميقا في كنهه، فكان مما لابد منه ان يقع شيء غير قليل من هذا الخلط والالتباس الذي تشهد عليه بعض البضاعات المعروضة في الاسواق .

وهو تداخل وتضارب لابد من التغلب عليه ، حتى يتميز الانتاج الثقافي من الكلام الرخيص السخيف

ويبدو ان تدخل الدولة في هذه الحالة يصبح ضروريا وخصوصا بالنسبة للدول النامية تفاديا لما منيت به الدول المتقدمة من انحلال تسبب فيه الانتاج الرخيص والفاجر الداعر في بعض الاحيان .

وتدخل الدولة الذي نعنيه ليس معناه الكبت او التحجير ، ولكن معناه الاشراف على شؤون التثقيف حتى لا يتسرب الخبيث في احشاء الطيب ، ولا يتسلل الكلام الرخيص البذيء والفاجر الداعر وهو ينتحل اسم الانتاج الخفيف الذي يجد اقبالا من طرف جمهور القراء .

وتجيء الاحصائيات مرة اخرى لتدل على جدوى دور الدولة في الاشراف على توجيه وسائل التثقيف .

كما انها تبين بوضوح ان لهذا الاشراف تأثيرا واضحا في حل ازمة القراء وفي تربية اذواقهم وحمايتها من الطفيليات الفكرية .

ولقد آثرت ان استعمل كلمة « اشراف الدولة » على كلمة التدخل حتى تظل الحرية الثقافية متمتعة بكامل حقوقها ، ولكن في نطاق التوجيه السليم الذي من شأنه ان يساعد على حل ازمة القراء في كمها وكيفها ، وذلك بواسطة العمل على تشجيع الانتاج الذي لا يعسر هضمه من طرف الجماهير سواء من ناحية الفكرة او من ناحية الاسلوب .

وتلك وسيلة لا مناص منها لمقاومة داء التسمم الانحلالي الذي تئن منه بعض المجتمعات وحتى المتقدمة وهي شاعرة او غير شاعرة .

ثم ان اشراف الدولة على حماية الجمهور مما يسمى بالادب الرخيص اصبح ضرورة تقتضيها تيارات العصر وظروفه وملابساته .

وكما هو الشأن في حماية الجماهير من مضاربة الاحتكاريين والانتهازيين والغشاشين والدجالين فيما يخص الميدان الاقتصادي ، فان من حق الدولة ان تستعمل نفوذها في حماية الجماهير من التدليس والغش والافساد والدعارة الفكرية بالنسبة للميدان الثقافي .

حتى اذا اكتملت عناصر الوعي ونضج ذوق الاختيار ، واصبح الجمهور على بينة من جودة مواد غذائه الفكري اصبح في امكان الدولة يومئذ ان تتخلى عن اشرافها بيد انه ينبغي ان تظل في حالة استنفار .

بقي شيء آخر وهو العمل على ايجاد نوع من التقارب والتآلف فيما بين انواع الثقافتين الدسمة والخفيفة .

وهذا عمل يمكن انجازه في نطاق اشراف الدولة ورعايتها الشؤون الثقافية بواسطة جهاز يتسم بالمرونة في التوجيه والارشاد .

وعلى الكتاب والمفكرين ورواد الفكر والثقافة مساعدة الدولة في مهمة الاشراف والتوجيه وذلك بواسطة التبسيط وتجنب التعقيد ، فيما يكتب وينشر الا فيما يخص الثقافة التقنية ومواد التخصص .

وهكذا يصبح لزاما وضروريا ان تتعدد اصناف المكتوب والمنشور وان تساير اذواق القراء كلما امكنت المسايرة ولكن في حدود لا تخرج بالثقافة الرصينة والمفيدة الى جو الادب الرخيص والثقافة التي تتملق الغرائز بدافع الاتجار . ولو على حساب المستوى الفكري للجماهير .

فالمقالات المطولة يجب ان تختصر وتركز فيها الافكار تركيزا ، والشعر يجب ان ينسى عهد المعلقات والمفضليات « والشنفرى » وتابط شرا ، وذلك بالنسبة للشعر العربي .

كما ان القصة ينبغي الا يتغلب عليها اسلوب السرد والحكاية وليالي شهرزاد .

وللابحاث ذات الطابع العلمي ينبغي ان تقدم لزبنائها المختصين بواسطة منشورات مختصة وهكذا دواليك فكل انتاج يجب ان ينشر ويكتب على ان كل ميسر لما خلق له » .

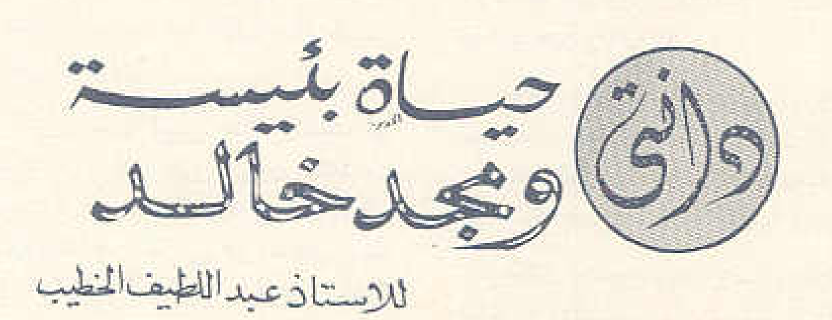
وان تنسيقا كهذا لا يمكن تحقيقه الا عن طريقة مركزة واعية مطلعة اشد الاطلاع واقواه على نفسية الجماهير ، وانها لمهمة لا يقدر على القيام بها سوى جهاز للدولة يعمل بتعاون وانسجام مع رجال الثقافة والفكر ورواد المعرفة وباشراف لا يتخذ شكل التدخل الا في حالات الاستثناء .

وانني ارجح ان هذا التدبير سيساعد على تخفيف ازمة القراء ، فيكيف اذواقهم في نفس الوقت

واذا قيل لي ان هذا الاشراف يتنافى مع الحرية فانني انتهز هذه الفرصة لاردد كلمة الصحافية الفرنسية اللامعة (تابوي) وهي : (ايه ايتها الحرية كم ترتكب باسمك من الجرائم » .

اذ الواقع ان (التلصق بالحرية) كان من اهم العوامل التي تسببت في وجود ازمة للقراء في الكم والكيف .

الرباط : محمد العلمي



للاستاذ عبد اللطيف الخطيب

لقد سبق لمجلتنا ان نشرت للاستاذ عبد اللطيف الخطيب بحثين مطولين ، كان احدهما عن ((كامويئش)) ، شاعر البرتغال وخالق لغتها ، والآخر عن شكسبير بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لميلاده في شهر ابريل من السنة الماضية .

ولقد اراد ان يسهم في الاحتفال العالمي بمناسبة الذكرى المئوية السابعة لميلاد شاعر ايطاليا الاكبر وخالق نهضتها اللغوية فخص مجلتنا بهذا البحث عن دانتي وانتاجه الادبي الخالد ، بعد مقدمة تاريخية جامعة عن العصر الذي ولد فيه

اقترن النصف الثاني من القرن الميلادي الثالث عشر بوقائع تاريخية فاصلة بمعظم اقطار البحر الابيض المتوسط او البلاد القريبة من حوضه ، فلم تمض ثمانية اعوام على انتهاء نصفه الاول حتى آلت مقاليد الامور بفاس الى ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق الذي جعل يبسط سلطانه على الاطراف القاصية شيئا فشيئا حتى دخلت البلاد كلها باستثناء الضفة الافريقية من البوغاز وسجلماسة في حكم بني مرين سنة احدى وسبعين ومائتين والف ، وكان ذلك بعد اجلائه للاسبانيين النازلين بسلا عقب حصار استمر اربعة عشر يوما . ولما كان الزحف النصراني بالاندلس قد اخذ يهدد مملكة غرناطة فقد ارسلت الى ابي يوسف سفارة تطلب النجدة من « هذا السلطان الذي كان جليل القدر عظيم الشأن وسيد بني مرين على الاطلاق» كما وصفه صاحب « الاستقصا » . وقد كان رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بني عبدالحق ، فحكم البلاد ثمانية وعشرين عاما .

واما في الاندلس فقد كانت « حملة الاسترجاع » قد بلغت اشدها على عهد « فرناندو الثالث » الملقب بـ « الملك القديس » لقاء ما حققه للنصرانية من انتصارات متوالية فاصلة على ممالك الطوائف بشبه الجزيرة ، غير ان بعض الفتور قد اصاب تلك الحملة لما آل الامر من بعده الى ابنه « الفونسو العاشر » المشهور بلقب « الملك العالم » نظرا لانصرافه الى الاهتمام بشؤون الادب والفلسفة وانقطاعه تقريبا الى العناية باعمال الترجمة . وقد اتخذت تلك الحملة خلال هذا القرن شكلا اتحاديا بين الممالك النصرانية ، وخاصة عند ما استقلت مملكة قشتالة عن مملكة ليون وتأسست ممالك اراغون وبلنسية وميورقة ، وقامت مملكة البرتغال بغرب شبه الجزيرة .

وفي نفس السنة الثامنة والخمسين من القرن الثالث عشر تمكن « هولاكو بن جنكز خان » من احتلال بغداد وتسليم سكانها للسلب والنهب والقتل قبل احراق المدينة احراقا اتى على خزائنها التي كانت تحوي مائة الف مجلد ، وقضى بهذه الصورة الوحشية على خلافة بني العباس . واذا كانت اعمال التدمير قد اصابت العراق كله وكانت جيوش « هولاكو » قد تمكنت من الاستيلاء على شرق سوريا واطراف من آسيا الصغرى فان تلك الجيوش لم تتمكن ابدا من الوصول الى البحر الابيض المتوسط كما هو معلوم ، لان سلطان مصر هزم تلك الجحافل سنة ستين ومائتين والف فوق ارض فلسطين فانقذ بقية الامبراطورية العربية من شرورها وويلاتها .

وفي هذه الاحقاب انتهت الحروب الصليبية بعد قرنين من المحن والمصائب دون ان تتمكن الدول النصرانية من تحقيق الغاية المطلوبة منها ، اذ ظلت الاراضي المقدسة في قبضة الدول الاسلامية ، ولم تخرج منها الا عند ما فرض الانتداب على فلسطين والشام عقب الحرب العالمية الاولى . واذا كانت تلك الحروب

لم تبلغ هدفها المنشود فاننا لا نستطيع ان ننكر من جهة اخرى انها اسفرت عن نتائج عسكرية وسياسية واقتصادية وفكرية عديدة لن يحيط بها هذا البحث مهما نسرف في تفصيله ، واهم تلك النتائج بالنسبة الى الدول النصرانية انها اوقفت الزحف الاسلامي عليها ، ويسرت لها اسباب الاتصال بما بلغته الحضارة الاسلامية في مجالات الفنون والآداب والعلوم جميعا .

وفي السنة الخامسة والستين من هذا القرن الثالث عشر تمرفي كنيسة « القديس بطرس » بروما تتويج « شارل دانجو » ملكا على نابولي وصقلية التي عارض سكانها العرب هذا الاغتصاب ، وفي هذه الاثناء انقرضت الامبراطورية الرومانية الغربية نهائيا . وكانت هذه السنة نفسها هي التي شهدت مولد الشاعر الايطالي الفحل ...

* * *

ولد « دانتي اليغييري » بمدينة « فلورنسة » في اواخر شهر ماي 1265 على ما جاء في الروايات المتواترة ، ويقال ان اباه كان مرابيا وان لوالدته صلات بأنبل بيوت المدينة . وسرعان ما اصبح « دانتي » يتيما ، اذ ماتت امه « غابرييلا » وعمره ست سنين ، ثم توفي ابوه بعد ذلك بخمسة اعوام . وقد حالت وفاة والديه بيننا وبين معرفة التفاصيل الدقيقة عن طفولة الشاعر الفذ ، اذا استثنينا تعارفه في عامه التاسع بالطفلة « بياطريس بورطيناري » التي كان يكبرها بسنة واحدة . وقد قضى دانتي شبابه الاول في دراسة النحو والمنطق والجدل والحساب والموسيقى والهندسة والفلك ، ثم جعل يختلف الى بعض الدروس الادبية والمحاورات الشعرية التي كان يديرها « برونيطو لاتيني » ، احد الكتبة العدول بالمدينة . وقد أكبر الفتى لهذا المعلم جميل صنعه فخصه في « الملهاة » بأبيات ضمنها تقديره له وعطفه عليه .

وكانت الصلات قد انقطعت بين الطفل وصاحبته التي الهبت جذوة الحب في قلبه على حداثة عهده بالحياة ، غير انه عاد الى لقياها صدفة بعد عشر سنين ، فاخذ يلاحقها بالقصائد يشكو فيها حزنه وبثه ، وكانت « بياطريس » زوجة وفية لبعلها ، لا تقابل توسلاته الا بالاعراض والصدود ، وان كانت تعلم علم اليقين انه يحبها حبا عذريا لا تشوبه غواية ولا تدنسه خطيئة . وتوفيت المحبوبة لما بلغت سنتها الرابعة والعشرين فرفعها خياله الخصب في ملهاته الخالدة الى مقام الجنة لتنعم بصحبة الملائكة والقديسين .

ولم تمض الا اعوام قليلة على وفاة المحبوبة حتى دخل دانتي في زمرة « مجلس المائة » بعد ان شارك جنديا فارسا في معركة « كامبالدينو » وكانت البلاد الايطالية تعيش في هذه الاثناء ظروفا صعبة، احتدمت فيها الحروب الاهلية وقوي التنافس في مدينة فلورنسة بين « البيض » و « السود » . فقد كان الاولون ينتمون الى الطبقة النبيلة العتيقة بالمدينة ، بينما كان الاخيرون ينتسبون الى الطبقة الغنية بالبادية . وكان البيض يناصرون البابا ، بينما كان السود يشايعون الامبراطور . وقد استطاع الاولون ان يسيطروا على فلورنسة بمعونة الرئيس الاعلى للكنيسة فجعلوا يتعقبون خصومهم وينزلون بهم مختلف ضروب المكر والاذى . فقد حكموا على الشاعر بغرامة مالية تبلغ خمسة آلاف « فلورين » فلما لم يستطع اداءها حكموا عليه بالنفي المؤبد وباحراقه حيا اذا عاد الى الوقوع في ايدي اعدائه . وكان هذا الحكم القاسي هو الذي اجبر الشاعر على التنقل باستمرار بين مختلف المدن الايطالية حتى لم تكتب له العودة الى المدينة ومنزله الاول بها . وقد ظل محتفظا بحنينه لهذا المنزل على كثرة المنازل التي الفها وذاق طعم الحرمان فيها .

ولقد اثبت المؤرخون ان الشاعر كان يبالغ في وصف ما اصابه من ويلات الاضطهاد ومصائب النفي ، فهو لم يهجر السياسة مطلقا ، وظل يختلف الى الحفلات التي كان يشهدها علية القوم ، حتى انه شارك في السفارات وابرام معاهدات الصلح ، وخالط الوجهاء الذين كانوا يأخذون انفسهم برعاية الادب والاحسان الى رجال الفكر . وكان اتصال « دانتي » بالامبراطور هنري السابع في طليعة الاعمال الدبلوماسية التي نهض بها ، الا انه عاد عليه بأوخم العواقب ، فلقد اغرى الامبراطور بالهجوم على فلورنسة حتى يعود اليها في ركابه ، الا ان الامبراطور انسحب من ايطاليا دون ان يستجيب لطلبه فغضب عليه اهل مدينته غضبا شديدا ، حتى انهم حكموا عليه بالاعدام في السنة الخامسة عشرة من القرن الرابع عشر لانه لم يعد الى المدينة ضمن الاجل المحدد له ولغيره من المبعدين . وقد رغب عن العودة لانه كان يحرص على ان يدخل فلورنسة شاعرا منتصرا لا عابرا تائبا .

ودخل « دانتي » في خدمة قصر « فيرونا » ثم في خدمة قصر « رافنا » الذي وجد فيه البيئة المناسبة لشاعريته فجعل يلقي بعض الدروس الادبية على ما تورده بعض الروايات . وقد فرغ خلال هذه الاعوام لانهاء كتابة « الملهاة » مترفعا عن جو النفاق والدسيسة المخيم آنذاك على ذلك القصر الذي بعثه في الشهور الاخيرة من حياته عضوا في سفارة الى سيد مدينة البندقية التي كانت تناصب « رافنا » العداء . ولما عاد الشاعر اصيب بوباء الحمى فتوفي ليلة الخامس عشر من شهر شتنبر لسنة احدى وعشرين وثلثمائة والف بعد ان عمر ستة وخمسين عاما وثلاثة اشهر ونصف .

ولقد قال « بابيني » ان حياة « دانتي » كانت سلسلة قاسية من المآسي والآمال الضائعة . فقد توفيت حبيبته وصدر الحكم عليه مرتين من المدينة التي ولد بها فأحبها ، ثم نفي

نفيا مهينا فجعل بيته بين اشخاص قصرت عقولهم عن ادراك اشعاعه حتى اضطر الى استجداء ما يقيم به اوده عند اصحاب القصور والحصون . كما انه تضرر كثيرا من وفاة هنري السابع وفشل في تتويجه اميرا للشعر والبيان .

ولقد اجاد « بابيني » في وصف الشاعر ضمن مختلف فصول كتابه « دانتي » ، « حيا » ولا شك ان الاسراف في الاعجاب بالنفس كان من خصائص مؤلف الملهاة التي عرفت فيما بعد بالملهاة الالهية . فلقد قال ان الغرور قد وصل به الى درجة جعلته يثبت سرور القديس بطرس بلقياه في الجنة ويعانقه ثلاث مرات ، غير ان هذا الغرور يناقض ما اعترف به عند ما قال انه كان وجلا وانه كان يحس بالخوف الشديد اثناء بعض المعارك التي شهدها . والغالب على الظن ان « دانتي » كان ذا شعور مرهف للغاية ، واشفاقه من المعذبين في الجحيم وبكاؤه حسرة عليهم واجادته في التعبير عن آلامهم ادلة ترجح ما ذهبنا اليه من القول في هذا السبيل .

وكانت نزعته الوطنية مما اوحى اليه بالاسلوب القوي المؤثر في الفخر بالبلاد والحماسة لها . فلقد اعتبر ايطاليا « انبل نواحي اوربا » ووصف فلورنسة بانها « اجمل بنات روما واسيرها ذكرا » . ومع ذلك ، فقد كان متشددا ، يقسو على البلاد ومواطنيه . كلما تعرض لعيوبهم ، او ابست نقائصهم . فلقد اكثر من التحدث عن الانتقام في كتابه الخالد . وكان يلقي بخصومه واعدائه جميعا في جهنم ، حتى قال بعض النقاد الاعلام ان « دانتي » ابان عن حقده على الاقوياء والاغنياء والمحظوظين وانه وجد في ذلك النوع من الانتقام متنفسا لما كان يضيق به صدره من المشاعر المتأججة . كما اجمع اولئك النقاد على القول بان الشاعر قد اصاب بعد وفاته من الصيت البعيد ما عوض له الشقاء الذي اصطلى به في حياته فحرم من التشريف والطمأنينة .

لقد خيبت آمال الشاعر كلها تقريبا . اذ خدم مدينته فحكمت عليه بالابعاد ، وطمع في المجد الادبي فرأى نفسه مضطرا الى مخالطة الادعياء المتطفلين على الشعر والاستجابة لحرصهم الشديد على مرافقته . وتطلع الى الحب العنيف فصدت عنه حبيبته وعاش عيشة زوجية ذابلة خاملة لم يعرف النقاد والدارسون الا القليل عنها ، لانه اجتهد على الدوام في اغفالها وابعاد الناس عن ان يخوضوا فيها بسبب من الاسباب . ويمكننا ان نقول ان اسم « بياطريس » قد طغى على حياة الشاعر ونتاجه الخالد معا .

ولقد كان حبه الشديد لتلك الفتاة العفيفة مما حبب اليه حياة الطهارة وبلغه نداء السماء وهداه الى تقوى الله . فلقد كتب كتابا في ترجمته بعنوان « الحياة الجديدة » وصف فيه حبيبته « بأنها المخلوق الاسمى الذي جاء الى الارض ليفرض وجوده عليه » ومعظم هذا الكتاب اشعار كتبها الى « بياطريس» خلال السنوات التي كان ينعم بلقائها العابر في فلورنسة . ومما نلاحظ في هذا الكتاب نضج شاعريته شيئا فشيئا واكتمال عقله حتى ارتفع حقا الى مقام التصوف . كما نلاحظ ان الابيات مصحوبة بكلام منثور في وصف الحوادث التي اوحت الى الشاعر بتلك القصائد العصماء البليغة . ولقد بلغ به الحب درجة جعلته يعتبر « بياطريس » رسولا سماويا نزل الى الارض ليشيع في الانسانية كلها حب الله . فلما توفي هذا « الرسول » واحس بالالم الشديد لفقده جعل يتعزى عنه بتصوره فائزا في الجنة .

وحوالي السنة السابعة من هذا القرن الرابع عشر كتب « دانتي » موسوعة فلسفية علمية ضمنها دراساته عن الادباء الاتباعيين فطغى عليها شيء من الغموض والفوضى على نحو ما كان يعتري مثيلاتها من الدراسات خلال القرون الوسطى . وكان المثقفون العارفون باللغة اللاتينية يحتقرون اللهجات العامية فجعل الشاعر يدرس امكانية الارتقاء بهذه اللهجات حتى تكون لغة علمية ناضجة كما كان شأن اللغة اللاتينية على ذلك العهد .

كما كتب « دانتي » كتابا عن النظام الملكي قال فيه بضرورة تعميم سلطة الامبراطور على جميع الاقطار فيما يتعلق بالشؤون الزمنية بينما يحتفظ البابا بسلطته فيما يرجع الى الشؤون الروحية ، وقد امرت الكنيسة بجمع نسخ ذلك الكتاب واحراقها سنة تسع وعشرين وثلثمائة والف .

واذا ما عدنا الى الملهاة التي وصفتها الاجيال التالية بالالهية كما اسلفنا وجدناها على قول النقاد المشهود لهم بسداد الرأي احد الاعمال الشعرية الكبرى واوسع عالم تخيله وخلقه شاعر من الشعراء فقد اعتبر ذلك الكتاب بمثابة عهد العصور الوسيطة وانجيل العصر الجديد في نفس الوقت ايضا . فهو « اشادة بحلبة الاقدام في الروح البشرية المؤمنة وخلاصة الحياة البشرية والالهية التي لا نزال نبحث عنها » كما قال « بيلادريس مازيني » ، احد كبار النقاد الايطاليين في عالم الفلسفة والادب .

ومن المرجح ان « دانتي » قد شرع في كتابه الملهاة حوالي سنة 1305 او بعدها بقليل ، وقد ازادها مجمعا للافكار الفلسفية والدينية والعلمية ، بغية اظهار معاصريه على ان العالم يسير نحو الضلال بينما هو يدعوه الى الهدى . وقد جعل العالم مقسما الى تسع دوائر لها مركز واحد تشغله الارض التي يوجد بداخلها غور مخروط الشكل هو الجحيم . اما السموات فتدور كلها بسرعة كبيرة حول الله بدافع الرغبة الملحة في التقرب اليه ما استطاعت .

واما في المجال الرمزي فقد جعل كتابه تحت شارة التثليث المقدس ، لانه يتألف من ثلاثة اقسام ويصف ثلاثة عوالم مستعملا بحر الابيات الثلاثية ، ويشتمل كل قسم على ثلاثة وثلاثين نشيدا ، كما ان للكتاب ثلاثة اهداف : في الادب والرمز والتصوف . وهو يصف سفرا الى العالم الاخروي استمر ستة ايام من اواسط شهر ابريل لسنة ثلثمائة والف . كما يصف

مراحل تطهر النفس المذنبة وتحررها من الخطايا الى ان يكتب لها التنعم بمشاهدة خالق السموات والارض . ان كتاب الملاة يصف غلبة الخير على الشر وانتصار الله على الشيطان ...

اننا نجد « دانتي » في مستهل الكتاب تائها في مجاهل الرذيلة فينقذه منها « فيرجيليو » الذي يعتبره المؤلف مثال الرجل العادل الفاضل . والجحيم نفسه مقسم الى ثلاثة اقسام . فأما في القسم الاول فيوجد الذين اجترحوا السيئات بدافع من غرائزهم ، واما في القسم الثاني فهناك الذين اغوتهم النفس الامارة ويوجد بينهما بئر القى في مائه المتلبخ بالخونة الذين يتوسطهم ابليس ويطغى عليهم جميعا اثما وفجورا .

واما المطهر فيمثله جبل ينقسم الى سبع دوائر يعاقب في كل منها مرتكبو خطيئة من الخطايا المحرمة السبع . وتوجد الجنة الارضية في قمة الجبل بجانب الجنة التي انعدم فيها مدلول الزمن والمسافة . وتقوم « بياطريس » بارشاد « دانتي » خلال الجنة بعد ان اقتبلته في قمة المطهر . وهو يصف حبيبته في الارض ومرشدته في الجنة بانها مثال الحكمة النصرانية ورمز الكمال الخارق للانسجام السماوي . ثم يواصل ارتقاءه في السموات محاولا وصف الفيض في الحضرة الالهية ...

الرباط : عبد اللطيف الخطيب

---

1) استندت في كتابة هذا البحث على المراجع التالية :

ا) « الملاة الالهية » لدانتي .

ب) «دانتي ، حيا » لصاحبه « بابيني » .

ج) «الادب الايطالي » لصاحبه « بول اريجي » الصادرضمن سلسلة « ما ذا اعرف » .

د) «تراجم مختصرة لكبار الشعراء » لصاحبه « بيدروفولطيس » .

« ارحة القلب من كد الفكر »

قال ابن الجوزي : « ما زال العلماء تعجبهم الملح ، ويهشون لها ، لانها تجم النفس ، وتريح القلب من كد الفكر ، وفي المعنى :

افد طبعك المكدود بالجد ، راحة
يجم ، وعلله بشيء من المزح

ولكن اذا اعطيته المزح فليكن
بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

رد على نقد:

هل من المستحيل ان يلتقي الروائي المعاصر مع

الف ليلة وليلة في أي شيء ؟

للاستاذ محمد زنيبر

لما اطلعت على التعليق القصير الذى كتبه الاستاذ الحسن السائح على مقالى فى موضوع رواية نجيب محفوظ ، تراءى لى ، بادىء ذى بدء أن الامر لا يحتاج الى جواب ، حيث ان مقالى هو الجواب نفسه ، ولو تفضل الاستاذ الفاضل وقراه بشىء من الامعان لما غابت عن فطنته البراهين التى دعمت بها رايى ولخرج به الفهم عن كل اشكال .

واجدنى اليوم فى موقف حرج ومضحك فى آن واحد موقف الرجل الذى يقص قصة طويلة على مستمع لا ينتبه اليه ، حتى اذا انتهى منها التفت اليه الآخر فى براءة قائلا : ((ماذا كنت تحكــى ؟))

لقد انتظرنى الاستاذ السايح حتى كتبت اربع مقالات طويلة ليقول لى بكل بساطة انه لم يفهم تلك المقارنة التى قمت بها بين الف ليلة وليلة وثلاثية نجيب محفوظ . اذن ، ما الحيلة ؟ هل اكرر نشر تلك المقالات من جديد لانها تحتوى على عناصر الجواب الذى ينتظره الاستاذ الفاضل ؟ ام هل التزم السكوت ، لانى اعتبر نفسي مسؤولا عن اشياء أبديتها ولم يعد من الضرورى تكرارهـــا ؟

وهنالك ملاحظة ثانية لابد من ادراجها فى الاول وهي تتعلق بطريقة الاستاذ السايح فى النقد ، فهو يكتفى ببضعة اسطر ليصدر حكمه النهائى على هــذا المقال او ذاك دون ان يتوسع فى الحيثيــات او يأتــى بالبراهين الشافية والحجج الكافية . شانه فى ذلك شأن الاستاذ المصحح الذى يضع ملاحظات موجزة فى ورقات التلاميذ مستندا الى علمه الواسع وتجربته الكبيرة ، وما دمنا نتكلم عن التصحيح ، فانى الفت نظره من طرف خفى الى غلط تسرب الى نثره القيم فى هذه الجملة الاسمية حيث يقول : ((وابطال الف ليلة وليلة ابطال شرقيــين خياليين لا ابطال مصريين واقعيين)) . اللهم الا اذا كان تطور العربية فى العهود الاخيرة اصبح يقتضى نصــب النعت بعد الخبر المرفوع وكنا نحن فى غفلة عن ذلــك لازلنا نتبع الموضة القديمة .

وللنقد قواعده واصوله التى تقتضــى التبســط والايضاح وتقتضــى الى الاقناع حسب الاسس المنطقية المعهودة من استدلال واستنباط واستقراء ، ولا يمكن للنقد ان يكتب على طريقة ابن عطاء الله فى حكمه ، وجار الله الزمخشرى فى اطواقه فى شكل لمحات مقتضبة ونفثات موجزة ، وهذا ما عهدناه لدى اساتذة النقد ، سواء فى اللغات الاجنبية ، او فى لغتنا العربية من امثال طه حسين والعقاد ومندور وغيرهم .

ومهما يكن ، فنظرا لما اظهره الاستاذ السايح من حسن نية فى ملاحظاته ، ومن براءة فى تساؤلاتــــه ، فساكون مضطرا للعودة الى الموضوع ، معتذرا للقراء عن تكرار ما كان فى غنى عن التكـرار ، وساحـاول بقنديلي الضعيف أن انير له هذه الطريق الواضحــة المعبدة التى لا يحتاج فيها الاعشى الى مرشد او دليل ، ولو كان يسير فى الليالى الحالكات .

يقول الاستاذ السائح : ((انه لا يتصور التقــاء نجيب محفوظ مع الف ليلة وليلة من الوجهة الادبيــة الفنية)) لان الف ليلة وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقى ولا تصور المجتمع المصرى وحده ، بل تصور عواصـم الشرق العربى كله . ولم تكتب لتصور مجتمعنا او تخلق حياة فى مجتمــع)) .

انى لا أتصور كيف لا يتصور الاستاذ السائح مثل هذا الالتقاء ، مع أن كل مطلع على الآداب فى سائــر اللغات يعرف أن الالتقآت من هذا النوع كثيرة . بــل ،

لربما كانت عند بعض اساتذة النقد قاعدةعامة واساسية يطبقونها فى ابحاثهم . وقديما كان نقدة الشعر عندنا ، من أمثال ابى منصور الثعالبي ، والجرجانى ، وابى هلال العسكرى ، وابن بسام وغيرهم ، يرجعون الابيات التى قيلت فى عصرهم الى اصولها فى العصور السابقة ، فيجدون مثلا شاعرا عاش فى الحضارة والنعيم مثل المعتمد ابن عباد يلتقى فى بعض معانيه مع شعراء عاشوا قبله بقرون فى صحارى البلاد العربية مثل امرىء القيس والخنساء وقيس بن الخطيم وغيرهم .

بل ان أعظم الآثار الادبية فى العالم واقواها شهرة وذيوعا لا يتورع النقاد فى البحث عن المؤثرات التىاثرت على كتابها والينابيع التى استقوا منها . فهذا دانتى الشاعر الايطالى الكبير ، صاحب الملحمة الخالدة ((الكوميديا الالهية)) يذكر عنه عدد من مؤرخى الآداب انه استوحى موضوع قصيدته من قصة المعراج الاسلامية ، وهنالك من يتساءل هل اطلع على ((رسالة الغفران)) للمعرى ورسالة ((التوابع والزوابع)) لابن شهيد . ولنا أن نقول مثل ذلك عن عباقرة آخرين مثل ((سير فانتيس)) الاسبانى ((وشيكسبير)) الانجليزى ((وموليير)) الفرنسى ((وجوته)) الالمانى وغيرهم .

وهذا التأثر او هذا الالتقاء لا يضير فى شىء قيمة الكتاب ، وانما هو دليل على وحدة الفكر الانسانى مهما تباعدت العصور واختلفت الديار . وهذا ما اشرت اليه فى مستهل مقالى الرابع عن نجيب محفوظ (انظر دعوة الحق عدد 4 يبراير 1965) حيث قلت :

((التقليد شىء ، والالتقاء شىء آخر . التقليد ينبنى على نية سابقة فيها اعتراف ضمنى بتفوق النموذج المتبع والمقلد يتخلى فى قرارة نفسه عن الدعوى التى ترافق مجهود الفنان المبتكر ، ويستسلم للمثال الذى وضعه نصب عينيه ، وقد يتوفق فى عمله فيكون لانتاجه قيمة فنية ، كما وقع لبعض الشعراء الذين قلدوا (هوميروس) فى ملحمتيه الالياذة والاوديسا ، او كما حدث للروائيين المسرحيين الفرنسيين ، امثال (راسين) و (موليير) ، حينما قلدوا الدرامات اليونانية القديمة ، فاستطاعوا ان يخرجوا من طور المحاكاة الالية الى درجة الابداع والتجديد .

اما الالتقاء ، فهو يحدث بطريقة عفوية . فقد تختلف اتجاهات الكتاب واذواقهم ومقاصدهم ، وتتباين نقط انطلاقهم ، ولكنهم يتلاقون فى بعض المواطن مدفوعين بمنطق تفكيرهم، او منجذبين نحو نفس المشاهد والحقائق انهم لم يحاولوا الاخذ عن بعضهم ، او السير على نهج واحد . ولكن أفكارهم وحاستهم الفنية تشابكت فى ملتقى لم يكن منتظرا أو ــ بالاصح ــ لم يكونوا هم يتوقعونه.

ولعل هذا ما حدث بالضبط لنجيب محفوظ ، فلست اعتقد أنه قرر فى نفسه أن يضع نصب عينيه الف ليلة وليلة كنموذج يستوحى منه وينسج على منواله . بل ، لربما كانت الف ليلة وليلة بعيدة عن تفكيره حينما كان يكتب ثلاثيته ، ولا غرو ، فان مقصده يختلف كل الاختلاف عن مقصد الف ليلة وليلة .

ولم اكتف بهذه الملاحظات العامة بل قدمت امثلة واضحة وقارنت بين نصوص من الف ليلة وليلة واخرى من الثلاثية وحللت الجوانب الاجتماعية والخلقية والنفسية التى تربط بين الرواية القديمة والثلاثية فبينت كيف أن الالتقاء يحدث فى بعض المواقف الغرامية وفى التشابه بين بعض الابطال . ثم ارتفعت من نطاق الافراد والاحداث والجزئيات الى مستوى الاتجاهات الميتافيزيقية فأوضحت كيف أن التقارب يتم فى ثلاثة مواقف من الحياة هى : الاستسلام للقدر ، والاقبال على اللذة ، والتشبث بالدين .

لكنى جعلت لهذا الالتقاء حدوده ، اذ هو كما شرحت فى الاول ليس كليا بل انه نسبى . فهو يحدث عند نجيب محفوظ كلما تسلقت القصة بتصوير المجتمع القديم، مجتمع الجيل الاول ، او بتحليل احد الاشخاص الذين ينتمون الى هذا الجيل . ومعنى هذا أن التقارب لا يحدث بصورة مصطنعة وخيالية فى اطار الرواية ، بل هو تقارب يوجد فى الواقع الاجتماعى نفسه وانما يكتفى نجيب محفوظ بالتقاطه حيا ناضجا من مشاهداته ومرئياته .

وهذا ما حدا بي الى القاء نظرة على التطور الذى حدث فى المجتمع المصرى والشرقى ، بصفة اعم ، حيث بينت ان الركود ظل هو السمة الغالبة على ذلك المجتمع الى عهد قريب . ولهذا ، فلا عجب من أن يكون بعض الاشخاص الذين يعيشون فى اوائل القرن العشرين يشبهون الى حد كبير اشخاص الف ليلة وليلة الذين عاشوا فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر ، لان الحياة الاجتماعية لم تتغير كثيرا خلال هذه الفترات .

كل هذه نقط كانت جديرة بان تستوقف الاستاذ السايح لحظات فيمنحها شيئا من وقته الثمين . ولعله لو فعل لما ذهب به التعجب كل مذهب ، بل لربما ركدت ريح الدهشةلديه ، ووصلنا الى شىء كبير من التفاهم .

على اننى لا اتمالك ، انا بدورى ، عن شىء من التعجب حينما يقول الاستاذ الفاضل : ((ان الف ليلة

وليلة تصور عقلية المجتمع الشرقى ولا تصور المجتمع المصرى وحده ، بل تصور عواصم الشرق العربى كله . ولم تكتب لتصور مجتمعنا أو تخلق حياة فى مجتمع)) .

فهل قرأ هذه الجملة بامعان ؟ وهل وزن الفاظها وعباراتها ؟ الا يشعر بشىء من التناقض والاختلال فى محتواها ؟ لننظر :

قبل كل شىء ، ما هو الفرق بين المجتمع الشرقى والمجتمع المصرى ؟ وهل المجتمع المصرى ليس مجتمعا شرقيا ؟ وهل نحن عند ما نتحدث عن الشرق اليس يخطر فى بالنا أول مرة القطر المصرى بنيله وتاريخه العريق ؟

مهما يكن ، فسننظر الى الموضوع بالاسلوب المنطقى الذى لا يقبل المهاودة . فاما ان مصر بلد غير شرقى ، واذن فانا مخطىء فى كل ما استنتجته من هذه الصفة المنسوبة غلطا . واما أن مصر بلد شرقى ، فتكون ملاحظة الاستاذ غير ذات موضوع .

حقا ، ان هنالك مجتمعا عراقيا وآخر سوريا وآخر مصريا كما ان هنالك فى الاسرة الواحدة زيدا وعمرا وخالدا تختلف طبائعهم وامزجتهم ولكنهم يتشابهون فى المسائل الجوهرية ، وفى السمات الاساسية . فالاختلافات الجزئية التى قد توجد بين هذه المجتمعات لا ينبغى أن تحجب عن انظار الروابط القوية التى توجد بينها والظروف المتشابهة التى تعيش فيها ، والتفاعل التاريخى الذى قام بينها منذ آلاف السنين . فاذا كان الفرد فى هذا البلد يلبس الكوفية وفى الآخر الطربوش وفى الثالث يمشى عارى الراس ، فلا ننسى ان الفؤاد الذى يحمل بين جنبيه فى كل هاته الاقطار واحد .

وعوامل الوحدة والتشابه بين المجتمعات العربية كثيرة . فهنالك العامل الاقتصادى الذى هو اقوى برهان على التقارب والتماثل . وهنالك الثقافة واللغة والدين والتاريخ المشترك والشعور الشعبى والمطامح القومية والتبادل المستمر فى العادات والتقاليد والرسوم والاوضاع القانونية . وكل اختلاف يأتى بعد هذا ، انما يتناول الشكل لا الجوهر .

ثم ما شأن العواصم هنا ؟ الا يوجد مجتمع الا بين اسوار العواصم ؟ والبوادى ؟ والمدن الاخرى ؟ والقرى ؟ الا يقوم فيها مجتمع ؟ ولعل الذى دفعنى الى هذه الغيرة كونى لا اسكن مثل الاستاذ فى عاصمة !

على اننى الفت نظر الاستاذ الى كون قصص الف ليلة وليلة لا تجرى كلها فى العواصم ، بل فى مدن مختلفة وفى الارياف والبوادى والبحار واحيانا فى الجو ! كما الفت نظره الى كون الامثلة التى سقتها من الف ليلة وليلة ماخوذة من قصص جرت حوادثها فى مصر مما يضع حدا لكل التباس .

ويقول الاستاذ ان الف ليلة وليلة لم تكتب لتصور مجتمعنا وهذا صحيح لان الف ليلة وليلة كتبت قبل وجود مجتمعنا بمئات السنين . ولو لم يكن الا هذا الفرق البسيط لكفى . الا ان هذا لا يمنع مطلقا من وجود التشابه والالتقاء وقد شرحت ذلك من قبل . واما قوله ان الف ليلة وليلة لا تخلق حياة فى مجتمع ، فهذا ايضا صحيح ، ولكن بالنسبة لسائر الروايات . فما ادعى روائى قط مهما بلغ من النبوغ انه سيبعث حياة جديدة فى المجتمع . وكل ما يطمح اليه هو ان يؤثر بفنه فى الشعور او ينمى الوعى بالمشاكل الانسانية ، وما اكثرها ! اما الذى يخلق الحياة فى المجتمع فهو الانسان بدؤوبه ونشاطه وعراكه من اجل الغد الافضل .

بقيت لنا نقطة اخيرة هي التى يقارن فيها الاستاذ بين ابطال الف ليلة وليلة وابطال الثلاثية فيقول عن الاولين انهم شرقيون خياليون وعن الآخرين انهم مصريون واقعيون .

لن نعود مرة اخرى الى الفرق بين المصرى والشرقى ، فقد رأينا منذ قليل انه لا يكاد يوجد . يبقى علينا ان نلقى نظرة على الفرق بين الخيالى والواقعى . واعتقد ان المشكلة هنا ترجع الى تحديد الالفاظ .

ان ابطال اى رواية مهما كان نوعها خياليون . فالروائى لا يقص علينا حياة اشخاص عرفهم واطلع على اسرارهم والا فسيصبح مؤرخا او مؤلف تراجم . ولو كان ابطال الثلاثية موجودين حقيقة لاثاروا ضجة كبرى على نجيب محفوظ لانه ما ترك شاذة ولا فاذة من حياتهم الشخصية واسرارهم العائلية الا وفضحها وجعل منها مادة خصبة لقصصه .

يبقى بعد هذا ان هؤلاء الابطال الخياليين يتفرعون الى نوعين : نوع تصدر عنه الخوارق ويقوم بالمغامرات التى لا يصدقها العقل ، مثل ما نشاهد فى ملحمتى هوميروس او فى سيرة عنترة بن شداد أو فى بعض قصص الف ليلة وليلة ، ونوع يظل فى سلوكه وافعاله ونوع حياته قريبا من المالوف والمشاهد لدينا كل يوم . وهو ما نسميه بالواقعى .

وفى الف ليلة وليلة ايضا قصص وفصول تشتمل على جانب واقعى . فهنالك تصوير لاوساط الامراء وعلية القوم والتجار ومشاهد من الحياة الاجتماعية على اختلاف صورها .

بل اننا فى الرواية الواحدة نجد جانب الواقع وجانب الخوارق يلتقيان ولولا خوف الاطالة لقدمت شواهد كثيرة على ذلك . فانا عندما قلت ان الف ليلة وليلة والثلاثية تلتقيان من بعض الوجوه لم أكن أقصد الا التقاء بين الواقع الاجتماعى كما يستشف من الروايتين .

هذا ، ولعل الاستاذ السايح لا يجهل أننى وضعت الالتقاء بين الف ليلة وليلة والثلاثية فى نطاق محدد وانني خصصت له مقالا واحدا من بحثى فى حين أننى نشرت منه الى حد الساعة خمسة مقالات . ولو تفضل فقرا الفصول الاخرى ، لتبين له أننى تحدثت أيضا عن مواطن التباعد بين الف ليلة وليلة والثلاثية . فانا لم اجعل من نجيب محفوظ مقلدا أو محاكيا . بل سجلت عنه انه رسام واقعى يرى أثر العصور الغابرة فى المجتمع فيثبتها بريشته الصادقة ، ويرى الاجيال الجديدة تصعد ساخطة ناقمة على وضعها فى القرن العشرين فيصورها ايضا بوفاء وامانة ، وهو فى كل هذه الاحوال يظل مخلصا لمهمته ككاتب يسير فى الطليعة ويتحدث عن مجتمعه .

سلا — محمد زنيبر

منطق عجيب

ذهب بصر عرو بن هذاب !! فدخل عليه ابراهيم ابن مشاجع ، فقام بين يديه فقال :

((يا ابا اسيد ، لا تجزع على ذهاب عينيك ، وان كانتا كريمتين عليك !! فانك لو رايت ثوابهما فى ميزانك يوم القيامة تمنيت ان يكون الله قد قطع يديك ، ورجليك ودق ظهرك ، وادمى ظلفك ...

في ميدان القصة الحديثة

للاستاذ محمد الامري المصمودي

لعل القراء الكرام لمجلة « دعوة الحق » المزدهرة يذكرون ما ذهبنا اليه فى المقال الاخير من سلسلة مقالات « فى شعرنا المعاصر » من «اننا اذا كنا نشكو نقصا فاضحا مخجلا فى فن من فنون الادب فلن يكون الشعر ولا المقالة بحال من الاحوال ، وانما نشكو ذلك فى الرواية والقصة بنوعيها » .

واذا كنا نعتقد ان ما كتب آنذاك حول موضوع الشعر المغربي وما كتب بعد ذلك يلقي بعض الاضواء على هذا الجانب من حياتنا الادبية ، واذا كنا نستطيع الآن ان نقول بكل صراحة واسف فى آن واحد : ليس هناك من ظاهرة جديدة تستحق الرصد والاعتبار . دون ان نغفل الاشارة الى ظهور شعراء يندرجون تحت احد تلك التيارات التي حددناها يومئذ ، ودون ان نخرج من حسابنا كذلك بعض الشعراء الذين لم يقع التعرض لهم من قبل وهم جديرون بكل عناية واعتبار، ومع ذلك نرى انه من غير المستعجل التعرض لهذه الثغرات بالنظر الى ما استجد فى مظهر آخر من مظاهر الادب هو القصة . حيث يسعنا الان ان نلقي بعض الاضواء عليها حتى نتمكن من معرفة رصيدنا من هذا الفن الادبي الجميل .

الا اننا قبل ذلك ينبغي ان نرسم بعض الملامح والمقاييس التي نعتمدها كمفهوم للقصة من جانبها البسيط العام ، وكأثر فني يعنى بتصوير المجتمع فى فترة من فترات قد تطول وقد تقصر ـ من خلال شخصية او عدة شخصيات او حادثة او مجموعة من الحوادث ، او فكرة او عدة افكار تعكس فى مجموعها طابع المجتمع ، آماله وآلامه ، قيمه واهتماماته ، خيبته ونزوعه ، وطبيعي اننا حينما نقول تصوير المجتمع لانعني بذلك مطلقا ان يكون من نوع التصوير الفوتوغرافي الذي ينقل جزءا من الواقع كما هو دون عملية تعديل تقتضيها الطريقة الفنية للعرض المناسب السليم . وانما المقصود ابتكار الصورة بشكل لا تكون معه غريبة عن المجتمع ، بل انها تبدو ولها من حظوظ الوجود الشيء الكثير ما دامت تستمد ظلالها وابعادها من المجتمع نفسه كاجزاء متفرقة يحيلها العمل الفني وحدة متماسكة ، ويطبعها بطابع الخلق والابداع ، دون ان نغفل التوازن بين القطاعين الداخلي والخارجي !

واهمية القصة تأتي من انها تسد فراغا هائلا لا يعنى به التاريخ ، لانه ليس من وظائفه كعلم يسجل الواقع كما هو وكما حدث بالفعل ، محللا ومعللا ، وانما ذلك من وظيفة الادب بصفة عامة والقصة والرواية بالاخص ، ذلك لان الادب ان كان يحلل على طريقته الخاصة ، فهو لا يعلل ، وها هنا يتضافر العلم والادب ليساعدانا على اخذ صورة تكاد تكون متكاملة عن مجتمع من المجتمعات او فترة من الفترات التاريخية ، ذاك لسرد الحوادث وتحليلها وتعليلها ، وهذا لعرض المزاج النفسي والاجتماعي بهذا المجتمع او ذاك .

واذا كان الادب بصفة عامة يقوم بهذا الدور ، فان القصة والرواية تأتيان بالنظر الى ذلك فى المرتبة الاولى ، على ان الشعر هو الآخر له دوره فى هذا الباب، وان كان فى بعض اغراضه كالمدح مثلا لايحملنا دائما على الاطمئنان ، مثله فى ذلك مثل الملاحم التي تتخذ عادة طابع التهويل والتضخيم سواء فى الاعمال او المشاعر ! .

وخلو تاريخ أمة من الامم من القصة بنوع خاص معناه حرمان البشرية من الالمام بالشيء الكثير عن

مزاج تلك الامة وجوها العام ، وفقدان عدة حلقات كانت تسعفنا بالكثير لو ان الادب سجلها فى قصص او روايات .

وكانت امتنا العربية فى ذلك كبش الفداء ! وبقطع النظر عن بعض الفترات التي صورتها بعض النوادر والحكايات كالف ليلة وليلة ، وقصص الابطال ، كالعنترية والازلية والاسماعيلية والوهابية وغيرها من النوادر وحكايات السمر ، مع ابعاد ما تحفل به هذه وتلك من خوارق واغراق فى الخيال مما لا نعدم له نظائر فى الادب القصصي عند باقي الامم ، وبصرف النظر كذلك عن المقامات على ما تتسم به من سطحية وعناية فائقة بالشكل على حساب المضمون ، فان هناك فجوات شاسعة تجسم تلك الحلقات المفقودة التي لم يكن للتاريخ من غناء فى اجلائها ، لانه غير قادر على ذلك من جهة ، ولان مهمة الاجلاء هذه ليست من وظائفه من جهة اخرى ، ومن ثم نستشعر هذه الوحشة المهولة عند تعرضنا لهذه الفجوات ، والعكس حينما نعرج على تلك الفترات السابقة ، حيث نشعر ببعض الايناس ، ونشر على بعض الصوى والمعالم التي لا ننكر انها تبدو مندسة بين خضم من المثاليات والخوارق بالنسبة لقصص البطولات والنوادر وغيرها ، وتبدو غير واضحة الملامح بالنسبة للمقامات ، ولكنها مع ذلك تسعفنا بخطوط وظلال عن المجتمع العربي والاسلامي والامر بعكس ذلك بالنسبة لبعض المجتمعات الاوربية ولا سيما فى القرون الثلاثة الاخيرة حيث نعثر على آلاف القصص والروايات الى جانب التاريخ مما يساعدنا على اخذ صورة تكاد تكون متكاملة عن تلك المجتمعات ، على ان هذا لايعني مطلقا انعدام الفجوات هنا ، ولكنها على كل حال اقل اتساعا اذا قورنت بتلك التي تمثل « الربع الخالي » فى ادبنا العربي ! .

وحتى لا يبدو ان فى الامر اشكالا ، تجب الاشارة هنا الى اننا حينما نشير الى دور القصة فى تصوير المجتمع لم يخطر ببالنا قط ان نقصر ذلك على القصة او الرواية التاريخية التي يعتمد الكاتب فيها على احداث جاهزة وقعت بالفعل ، وانما يقتصر دوره فيها على بعض التعديلات البسيطة احيانا ، والاستعانة ببعض الشخصيات او الاحداث الثانوية لسبب او لآخر ، واضفاء بعض الالوان عليها ، وانما نقصد بالدرجة الاولى خلق حوادث او شخصيات من عدم ، ان لم يكن لها طابع العصر الذي يعيشه الكاتب تماما ، فهي لاتستطيع بحال من الاحوال ان تتخلص من كثير من مؤثراته وسماته ، ومن ثم يصح الى حد بعيد ان توسم هي الاخرى بانها تاريخية ، بالنظر الى انها تمثل عقلية ومزاج فترة معينة ، لا على اساس انها تمثل حوادث وقعت بالفعل ، او شخصيات ذات كيان موجود ! .

ويبقى بعد هذا الجانب التقني والفني ، والدور الهام فى نجاح القصة او فشلها هو طريقة العرض ، هل هي طريقة السرد التي يتخذ الكاتب فيها دور الراوي المعلق ، دون ان يكون فى خضم الحوادث ، ام هي طريقة السرد التي يستعمل فيها الكاتب القصصي ضمير المتكلم على انه احد شخوص القصة وكمحور تدور في فلكه الاشياء . وهذا ما يمكن ان يسلك فى نطاق الترجمة الذاتية فى بعض الاحيان ، واما ان يكون دوره فيها بالمقدار الذي يساعد على بلورة الشخصيات او الحوادث الاخرى ليس الا ! واما ان يفعل ذلك على لسان احد شخوص القصة متخذا هو مظهر الحياد ، محاذرا ان يقحم نفسه فى الموضوع ! ثم هناك طريقة التداعي او ما يطلقون عليه « المونولوج الداخلي » حيث يجد القارىء نفسه امام افكار وخواطر تبدو كما لو كانت سجلت على النحو الذي تخطر به فى الذهن ، دون اللجوء الى التسلسل المنطقي وعملية الفرز والانتقاء اللتين يقوم العقل بهما عادة ، فمن المؤكد ان عشرات الافكار تخطر ببال كل واحد منا اثناء الحديث مع شخص او اشخاص ، ولكن احدا منا لا يجرؤ على اثارة مجموع تلك الافكار والخواطر التي تهجس في ذهنه بل لابد من عملية انتقاء وتصفية تقتضيهما حال المخاطبين وحال المتحدث وظروفه ومزاجه ، ومجموعة اخرى من العوامل المعقدة ، غير ان اصحاب هذه الطريقة يحاولون دائما ان يقوموا بدور تسجيل تلك الخواطر كما تخطر عادة بالذهن ، وليس هناك الا العلاقة الشعورية او اللا شعورية التي تقتضي اثارة خاطر او مجموعة من الخواطر كلماثير مدرك اومدركات حسية او معنوية ، وصعوبة هذه الطريقة تاتي من انعدام التلقائية فى ايراد الخواطر ذلك ان الكاتب بدون شك هو الذي يقوم باختيار الخواطر الاساسية بالدرجة الاولى ثم الخواطر الفرعية والثانوية التي تتلوها محاولا جهده ان تبدو الاشياء كما لو كانت تلقائية ، وكما تخطر عادة ، ثم ان رصد هذه الافكار والخواطر حين خطورها تبدو حقا من الصعوبة بمكان والناقد الخبير هو الذي يستطيع الى حد ما ان يقيس مدى نجاح الكاتب فى الاقتراب من التلقائية او البعد عنها لان موازنتها وحذو النعل بالنعل اعتقد انها من المستحيل .

وهناك طريقة الرسائل ، حيث يدع الكاتب فيها شخوصه يكشفون عن ذواتهم ومشاغلهم واهتماماتهم ونظراتهم الى الاخرين دون اي تدخل مباشر منه ، وصعوبة هذه الطريقة تاتي من البحث عن ايجاد الروابط المحكمة التي تستطيع ان تكون من مجموع الرسائل المقدمة قصة متكاملة لاغبار عليها

والقصاص الماهر هو الذي يجيد استعمال احدى هذه الطرق او مزجها مع بعضها مما يتناسب وموضوع القصة وطبيعتها ، ومع ذلك فسوف تبقى طريقة العرض ـ كما يقتضي منطق التطور غير خاضعة لمقاييس معينة ، ذلك ان الناقد لايهمه الطريقه الا من حيث مقدار نجاحها في اضفاء اللون المناسب على موضوع القصة ، وابراز الحوادث او الشخصيات بالقدر الملائم ، على انه اذا قدر لطريقة ان تسيطر لفترة او فترات معينة ، فانها لا تلبث بعدها ان تفسح المجال لطريقة جديدة لا تلبث بدورها ان تتخلى عن مكانها لاسلوب جديد ، وهكذا يمكن ان نشير كمثال الى قصة مدام دي لافاييت « اميرة كليف » التي تعد ثورة على الطريقة التقليدية لا من حيث البناء فحسب بل ومن حيث الاطار والاسلوب كذلك ، ومثل ذلك يقال عن « تريسترام شاندي » للورنس ستيرن الذي تحدى تعريف فيلدنج للقصة بانها « ملحمة نثرية لابد فيها من ارتباط الحوادث مع بعضها بشكل منطقي وعضوي في آن واحد »[1] ذلك ان « ستيرن » خرق في هذه القصة جميع القواعد المعروفة للقصة ، ومثل ذلك يقال عن بروست الفرنسي وجيمس جويس الايرلندي ، ومن ثم لايكون من حق الناقد ان يفرض على الكاتب القصصي أي شكل من اشكال العرض التي لاتعدو ان تكون مثل الواجهات الزجاجية بالمحال التجارية التي يتفنن اصحابها في تنسيقها بطريقة او اخرى يبدو لهم انها اكثر ملاءمة وجاذبية لعرض البضاعة على الزبناء ، على ان يبقى من حق هذا الناقد ـ وهذا دوره الاساسي هنا ـ ان يحلل تلك الطرق والاساليب ويرصد الجديد منها مع اختبار مدى نجاح هذه الطريقة او تلك في عرض القصة من الناحية الفنية .

والقصاص حينما يلجأ عادة الى طريقة معينة يخضع في ذلك الى عدة عوامل يعود بعضها الى مزاجه الخاص ، ويرجع البعض الآخر الى المجتمع نفسه ، وهنا تكمن الصعوبة التي يعانيها جد المعاناة : فاذا انتصر عليها هان عليه بعد ذلك ما تبقى من الصعاب ، وهذا ما يفسر تلك الصعوبة التي نحسها كقراء امام قصة يستعيد الكاتب فيها مزاجه الخاص ، ولا سيما اذا كان بالغ التعقيد ، فلا نلبث ان نحكم عليه بانه انسان جد متعب ، وان كنا لا نعدم المتعة نهائيا لما قد نكتشفه من دروب ومنعطفات قد تكون فريدة من نوعها وقد لاتخلو من سمات جديدة ورائعة في نفس الوقت .

« يتبع »

الرباط : محمد الامري المصمودي

[1] القصة في الادب الانجليزي للدكتور طه محمود طه . مجلة القصة عدد 2 السنة الاولى فبراير 1964



نظرة على اديان العالم

بقلم : الدكتور حسين نصر استاذ تاريخ الاديان
ترجمة : الدكتور عبد اللطيف السعداني

- 2 -

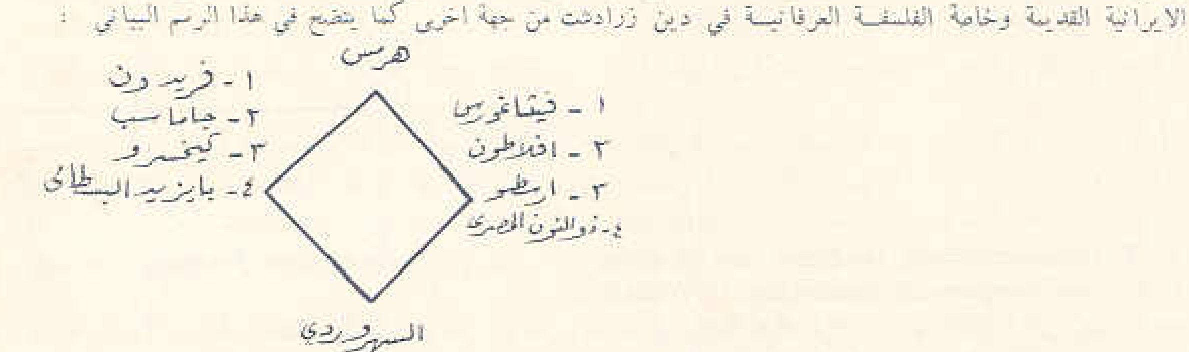
ان موازنة الاديان ومقارنة تعاليمها واصولها مع بعضها البعض يجب ان تتعلى كذلك نطاق الدين السامي والهندي وغيرهما وان تكتسي كلية شاملة ، ومن المؤكد ان هذا العمل ليس بالشيء الهين اذ انه يستلزم الانتقال من عالم ديني وروحي وجنسي الى عالم يغايره ويباينه كل المغايرة والمباينة ، فتفهم المسيحي للاسلام والمسلم للمسيحية اسهل من تفهمهما للدين البوذائي ، وبالمثل فان تفهم البوذائي لحقائق الدين الهندي اسهل عليه من تفهم اصول الدين اليهودي ، لكن بالرغم من هذه الصعوبة فان مثل هذه الموازنة والمقارنة ضرورية من كل الوجوه ، وبالنسبة للاسلام فقد هيء الجو المناسب لذلك اذ ان بعض عظماء هذا الدين بالهند في بلاط « اكبر » و « جهان كير » وبعض ملوك الجورجانيين لتلك الديار قد حققوا الاتصال الروحي المباشر بالمعنويات الهندية فنبغ اشخاص مثل « دارا الشكوه » (1) ترجموا من اللغة السانسكريتية الى الفارسية كتبا هندية مهمة في التصوف والدين مثل :

« باكا واكيتا » Bhaghava-Gita وكتب اوبانيشاد Upanishad وترجموا من الناحية الاخرى من الفارسية الى السانسكريتية « حكمة الاشراق » لشيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي (2) فنتج عن ذلك ان ظهر عارف من مثل « كبير » الذي كان مرشدا للمسلمين الهنود على السواء متعلما في معنويات كل من الدينين ، وبما ان الحاجة لم تكن ماسة لمثل هذه البحوث في بقية البلدان الاسلامية في ذلك العهد

---

1) الامير العالم دارا الشكوه اشهر ملوك الدولة الجورجانية بالهند ، ولد سنة 1024 هـ وتوفي مقتولا سنة 1069 هـ ، كان لروحه العارفة وفكره المبدع اثر كبير في اظهار الحقائق العرفانية التي تربط بين التصوف الهندي بالتصوف الاسلامي كما يتجلى في كتابه (مجمع البحرين) الذي قابل فيه الاصطلاحات الصوفية الهندية بالاصطلاحات الصوفية الاسلامية . من تآليفه (سفينة الاولياء) و (سكينة الاولياء) و « حق نما » = (مجلى الحق) . واعظم كتبه ترجمة الكتاب العرفاني الكبير (اوبانيشاد) Upanishad من السانسكريتية الى الفارسية باسم « سر الاسرار » او « سر اكبر » . (المترجم) .

2) هو الشيخ شهاب الدين ابو الفتح السهروردي المتولد سنة 549 هـ لقب ب « المقتول » او « الشهيد » لكونه اتهم بالالحاد حيث اعتمد في نظرياته وفلسفته على عقائد الدين الزردشتي (المجوسي) واقتبس منه بعض آرائه واصطلاحاته فنتج عن ذلك ان اوعز علماء حلب الى صلاح الدين الايوبي حاكم الشام ومصر يومها بقتله ، وكان ذلك سنة 587 هـ فكان شهيدا آخر من شهداء التصوف الاسلامي . كان السهروردي وحيد عصره ونابغة زمانه في الفلسفة والحكمة ، وطريقته الفلسفية المسماة « حكمة الاشراق » متأثرة بافلاطون واتباعه من الافلاطونية الجديدة من جهة وبالفلسفة الايرانية القديمة وخاصة الفلسفة العرفانية في دين زرادشت من جهة اخرى كما يتضح في هذا الرسم البياني :



رغم ان السهروردي اعدم وهو لا يناهز 38 سنة فقد خلف مؤلفات كثيرة (حوالي 49) بالعربية والفارسية اشهرها : « رسالة في اعتقاد الحكماء » و « قصة الغربة الغربية » موضوعة على غرار قصة حي بن يقظان لابن سينا و « العقل الاحمر » و « صفير العنقاء » و « لحن جناح جبريل » و « لغة النمل » و « الهياكل النورانية » . والكتب التي تظهر فيها فلسفته بوضوح هي : « حكمة الاشراق » و « كتاب التلويحات » و « كتاب المقاومات » و « كتاب المشارع والمطارحات » . (المترجم)

فقد اكتفى العرفاء والحكماء بالقول بوحدة الاديان وتوقفوا عن البحث في جزئيات الموضوع الا قليلا ، فان محققا كابن الريحان البيروني قد حاول في كتاب « تحقيق ما للهند » المقارنة بين عقائد الهنود والمسلمين .

يجب ان تبنى المقارنة العامة بين الاديان على هذا الاساس ، وهو ان حقيقتها الاصلية واحدة وان كل دين يظهر تلك الحقيقة الواحدة وفق قابليات اتباعه وطبيعتهم من دون ان ينقص من اساسها شيء ، فكل هذه الطرق تؤدي الى مبدأ واحد وحقيقة واحدة ، تلك الحقيقة التي لا يستطيع رؤيتها في عالم التجرد وراء كل تعين وكثرة الا العارف ، وقد بين « مولانا » (جلال الدين الرومي) بوضوح هذا الموضوع في كتابه « فيه ما فيه » يقول : « كنت اتحدث يوما في جماعة كان بينهم نفر من الكفار كانوا يقطعون الحديث بالبكاء منفعلين ، فسأل (3) ما ذا يفهم هؤلاء وما ذا يعرفون ؟ ان مثل هذا الكلام قد اختير للمسلمين يأخذونه بألف اعتبار ، فما ذا ادرك هؤلاء حتى بكوا ؟ قال (4) : ليس المهم ان يفهموا هذا الكلام نفسه اذ انهم يدركون اساسه ، اليسوا مقرين جميعا بوحدانية الله وبأن الله خالق رازق يتصرف في كل شيء واليه المآب وانه مصدر الغفران والعقاب ؟ فما ان سمع هذا الكلام ، هذا الكلام الذي هو وصف الحق (سبحانه) وذكره حتى اضطرب الجمع واخذ بهم الشوق والوجد كل مأخذ فان روح معشوقهم ومطلوبهم كان يضوع في هذا الكلام ، فالهدف واحد وان اختلفت الطرق ، الا ترى ان الطرق الى الكعبة كثيرة ، طريق البعض من الروم وطريق البعض من الشام وطريق البعض من بلاد العجم وطريق البعض من الصين وطريق البعض البحر من ناحية الهند واليمن فلو نظرت الى الطرق نوجدت اختلافا عظيما وتباينا لا حد له ، ولكنك — عند ما تنظر الى الهدف فان الكل متفق واحد تأتلف سرائرهم حول الكعبة وتكن لها رابطة وعشقا ومحبة عظيمة فلا مجال هناك لاي اختلاف، فلا تسمى هذه الرابطة كفرا ولا ايمانا اي ان تلك الطرق المختلفة التي ذكرنا لا تمس هذه الرابطة ، وعند ما يصلون هناك يتضح ان ما كان بينهم من الجدال والحرب والاختلاف في الطرق حيث كان يقول هذا للآخر انك من اتباع الباطل والكفر وذلك الآخر يقول له مثل قوله ، يتضح ان تلك الحرب انما كانت حول الطرق وان مقصودهم واحد » (5) .

يجب ان نجعل نصب اعيننا ان كل دين يرى الحقيقة من مرىء خاص وانه يثبت ناحية خاصة لتلك الحقيقة من غير ان يفرط في مجموع الحقيقة وكليتها ، وان كل دين يفترض سؤالا يتبلور في ثنايا الجواب عليه اساس عقائده واسلوب تفكيره ، فمثلا يبتني الدين الهندي على التمييز بين الحقيقة والامور الوهمية الخيالية . ففي كتب « اوبانيشاد » التي هي آخر اقسام الكتب السماوية الهندية بعد بحث طويل حول ماهية الحقيقة ، يصل الحكيم الى هذه النتيجة وهي ان الحقيقة ليست مادية وجسمانية ، وليست نفسانية ولا خيالية ولا وهمية، بل الحقيقة الصرفة، وما هو وراء كل نوع تعين ومحدودية مع كونها مختفية في قلب الانسان وانها ضميره الحقيقي او كما تقول الكتب الهندية المقدسة الضمير الالهي او آتمان فانها هي الحقيقة المطلقة او برهمان ، والنتيجة النهائية للسلوك المعنوي هي ان تلك الحقيقة باطنية فأساس الدين الهندي اذا مبني على التمييز بين الحقيقة وغير الحقيقة ، والتفكير والغور في ماهية الاشياء وطبيعتها ، وفي موجودات عالم الوجود ، وبالتالي اكتشاف حقيقة ما وراء كل عوامل التعينات والتنزلات (6) وعلى العكس في الدين البوذائي فقد ابتعد عن التفكير في الحقيقة المطلقة ومبدأ وجود عالم الخلق واهتم بوذا مؤسس هذا الدين بوجود الالم والعذاب في حياة الانسان وعمل على علاجه وكان السؤال الذي وضعه بوذا هو كيف يتمكن من القضاء على الالم والبؤس والفقر التي تعم سائر موجودات العالم والوصول الى نيل السعادة؟ ومن اجل البحث عن حل هذه المسألة وللجواب على هذا السؤال كان ان ترك بوذا هذه الحياة الدنيوية وانصرف اعواما الى الرياضة الروحية الى ان وصل في الاخير الى درجة الاشراق وتمكن من اكتشاف حقائق تعد اساس المذهب البوذائي (7) .

---

3) يقصد احد المريدين ، وهذه هي الطريقة التي بنى عليها جلال الدين الرومي تأليف كتابه : « فيه ما فيه » (المترجم) .
4) يقصد نفسه يعني مؤلف كتاب « فيه ما فيه » جلال الدين الرومـــي . (المترجـم) .
5) «فيه ما فيه» تصحيح العلامة السيد بديع الزمان (فروزنفر) . طبع طهران سنة 1330 شمسية هجرية . صفحة 97 .
6) راجع فصل Theology and Antology من كتاب : A. K. Coomaraswamy Hinduism and Buddism
F. Schuon, Perspectives Spirituelles... « Vedanta »
7) وردت مكررا في الكتب الهندية القديمة بشكل تاريخي اسطوري ترجمة حياة بوذا منذ عهد الطفولة الى زمن الامارة وحياة البلاط وعيشة السادة ثم ترك الحياة والسفر في البلاد الهندية والركود في الاخير الى ظل الشجرة المقدسة (بودهي) والوصول الى مقام الفناء والبقاء وازاحة حجاب الجهل ثم بداية اشاعة تعاليمه في (سارنات) قريبا من (مدينة) بنارس ، وكان ذلك باعثا لايجاد آثار فنية عظيمة .
حول ترجمة حياة بوذا رجـــع : A. K. Coomaraswamy. Budha and the Gospel Of Buddhism
القسم الاول صفحة 1 — 78 .

تبتني تعاليم بودا على القضاء على الالم والعذاب والبؤس، وقد توصل بودا الى هذه النتيجة وهي انه ليس بالامكان الحصول على هذا الهدف والوصول الى مقام الفناء « نيروانا » واحتضان السعادة الابدية الا بالقضاء على الشهوات النفسانية والاهواء والنزعات ومن بينها رغبة كسب المال ومتاع الدنيا وطلبه والتهافت عليه ، وتجنب اللذات الجسمية وكذلك محو التمييز بين « الانا » و « الغير » ولهذا السبب يحترم البوذائيون كثيرا جميع الموجودات الحية حتى لقد بلغ بهم الامر ان رهبان هذا الدين يضعون حجابا على وجوههم خوفا من ان تدخل انوفهم وافواههم حشرة فتحرم الحياة ، ويعتقد كذلك اتباع هذا الدين وبالخصوص اولئك الذين يتبعون تعاليم مدرسة الشمال او « ماهايانارا » ان بودا هو مبدأ ومنشأ الرحمة والمحبة والمساعدة والرأفة ويؤمنون بملك يطلق عليه « بالسانسكريتية» او « اكيلوتشوارا » او « كوانيين » باللغة الصينية وهو ملك الرحمة الذي قطع جميع مراحل التكامل ووضع قدمه الاولى في عالم « نيروانا » ولكن لما له من التعلق والمحبة التي لا نهاية لها نحو سائر الموجودات وبما ان رحمته تشمل جميع الكائنات فقد اقسم بينه وبين نفسه ان قدمه الاخرى لن تترك عجلة عالم الطبيعة وانه لن يدخل « نيروانا » نهائيا حتى ينجي الى الابد آخر عشب صحراوي .

ان الدين البوذائي – على الرغم مما كتب عنه البعض – لا ينكر الاله والمبدأ غير ان بودا وقف همه على وسيلة نجاة الخلق ولم يخض في التفكير في الخلق والخالق ، لا انه ينكر وجود الخالق ، وقد اختار السكوت حتى عن ماهية « نيروانا » التي يعتقدها البوذائيون غاية الكمال والمقام المطلوب والهدف النهائي لحياة الانسان ، واكتفى بتشويق الاتباع للوصال بها متجنبا التفكير في الحقيقة الصرفة ، وقد بين العارف الشهير محمود الشبستري في غاية الوضوح هذا العجز عن التفكير في مقام ذات الباري تعالى في كتاب « كلش راز » (8) :

1) « ان التفكير في نعم الله (9) هو شرط السلوك
اما في ذات الحق فانه اثم صراح »

2) « فتيقن ان التفكير في ذات الحق لغو
وان تحصيل الحاصل محال » (10)

كما جاء في قول بودا ان : « الانسان يشبه طائرا محبوسا في قفص ، سجين عليه ان يسعى في هذا العمر القصير ليتحرر من قيد هذا السجن ، فعبثا يضيع هذه اللحظات الثمينة في التفكير في كيفية بناء القفص وماهيته ، بل يجب ان يسعى بكل قواه لهدم قيد ذلك الشرك والقضاء عليه ، وان يحاول التفكير في التحرر الحقيقي الذي هو الخلاص من دورة الحياة والتعينات الجسمية والنفسية . »

وتشبه المسيحية الدين البوذائي في ان اساس وجهة نظرها كذلك هي كيفية نجاة الانسان من حياة هذه الدنيا المليئة بالعذاب ، والموت الذي يسدل ستار النهاية على النشأة ، فتضع الانسان امام اكثر تجارب الحياة الما ، وذلك كما يعتقد القديس اغوسطينوس احد الاباء المسيحيين المشهورين ، ان مرحلة الحكمة والمعرفة الاولى هي ادراك هذه الحقيقة وفهمها تلك هي ان الانسان سيموت يوما ما (11) ومن المؤكد ان الحديث عن مبدأ الوجود قد ورد مرارا في تعاليم السيد المسيح كما اشير كذلك الى خلق العالم ، فقد قال في اول انجيل يوحنا: (في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة عند الله ، هكذا كان في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان) .

ولكن المسيحية اهتمت اكثر بتحرر الانسان من حياته المؤلمة في هذه الدنيا ، ومن اجل الخلاص من هذه الحالة التي تثير الشفقة ، ومن هذا العالم المليء بالجور والظلم ترى المسيحية ان الطريق والعلاج الوحيد هو المحبة الالهية والعطف على الجار والقريب ومحبتهما ، ولهذا فان « الله » في اعتقاد المسيحي محبة قبل اي شيء ، وان السيد المسيح قبل خطايا ابناء العالم بتحمله الم وتعذيب الصلب ، ولذلك فان بالتوسل اليه – وهو مثال المحبة والرحمة الالهية بالمخلوقات – يستطيع البشر ان ينجو من هذه الديار المليئة بالآلام والمآسي .

والصليب الذي يصعب فهمه غالبا على اتباع الديانات الاخرى هو مظهر هذه الحقيقة عند المسيحي يستوحي منه تلك الحقيقة التي ضحى بها من اجل هذا العالم عله يستطيع العودة اليها ، ان الصليب لا يمثل الانسان الكامل فقط انه ايضا مثال رحمة الخالق ولطفه اللذين لا حد لهما ، الخالق الذي فدى هذا عالم

---

8) الشيخ محمود الشبستري عارف ايراني كبير توفى سنة 720 هجرية ، اشتهر في زمانه برسوخ قدمه في التصوف والارشاد كما عرف في تاريخ التصوف بمنظومته « كلشن راز » (حديقة الاسرار) وهي جواب مختصر ل 15 خمسة عشر سؤالا في التصوف في الف بيت ، جمعت اصول التصوف الاسلامي موضحة بالشواهد والامثلة . (المترجم) .

9) « نعم الله » يعني اسماءه وصفاته .

10) در الا فكر كردن شرط راه است | ولي درذات حق محض كناه است
بود درذات حق انديشه باطل | محال محض دان تحصيل حاصل

11) اشار «سانت كوستن» مرارا في «اعترافاته» وكذلك في رسائله الاخرى مثل رسالة «الاديان والامل والمحبة» الى هذا الامر .

الظلمة هذا بالحقيقة المقدسة للروح كي تتبدل به هذه الظلمة نوراء وبذلك يذوب القلب المتجسد للبشر ، رقة في حرارة المحبة الالهية ، ويتساقط الجدر الذي يفرق الموجودات عن بعضها ويفصل المخلوقات عن الخالق .

وفي الاسلام على الرغم من ان المحبة والمعرفة متلازمان دائما لا انفصام بينهما فان اصل الوحي المحمدي واساسه هو المعرفة بوحدانية الحقيقة والتمييز بين الوجود والعدم او بين الحقيقة وغير الحقيقة هذا الاصل الذي يعبر عنه الجزء الاول من الشهادة بابلغ وجه واوضحه ، وان معنوية الاسلام في الواقع عرفانية اي مبنية على المعرفة ودعاء اولياء هذا الدين هو : « ربي ارني الاشياء كما هي » (12) فغاية المعرفة ادراك هذا الامر بان لا حقيقة الا الله ، وان « لا اله » نفي لاي نوع من الاثنينية والكثرة عنه ، وما يتراءى للناظر بصورة الكثرة ما هو الا وهم لا غير ، كما يقول « كلشن راز » :

1) « هناك ، عالم الخلق والامر واحد
تعدد الواحد وتوحد المتعدد »

2) « صورة الغير هذه ، خليقة وهمك لا غير
فان النقطة تصبح دائرة بسبب سرعة الحركة»

3) « الطريق من البداية الى النهاية واحد
وقد عبره خلق العالم جميعا » (13)

* * *

على الرغم من هذا التباين بين المذاهب في وجهات النظر وفي الطريق الخاص الذي اختاره كل واحد منها للوصول الى الحقيقة ، فانها متفقة في الاسس والاصول والحياة المعنوية ، تبرز كل منها الحقائق الاصلية بشكل من الاشكال ، والواقع ان اساس جميع الطرق هو ازاحة الستار الذي يبعد الانسان عن الحقيقة فيحجبها عن بصره ، فيجب القضاء على ذلك الحجاب الذي يعبرون عنه بالنفس الامارة او الضمير البشري او ابليس الباطن ، وفك عقال الروح والعقل وكما يقول العرفاء : «تسليم ابليس الباطن » (جعله مسلما) . او بعبارة اخرى يجب القضاء على الخطأ الذي ارتكبه البشر بسبب ضعف القوة المعنوية ونقصان قوة الذوق (المعنوي) والنزول من مقام كماله معتقدا انه حقيقة مستقلة ووجود منفصل ، حتى يتأكد له ان وجوده من غيره ، وانه بنفسه وذاته لا شيء كما يقول عبد الرحمن الجامي في مناجاة « تحفة الاحرار » (14) :

1) « يا من صغر معه العلم بوجودنا
كل موجود ، معدوم بنفسه موجود بك »

2) « ذاتك موجودة موجدة
هي الموجدة للعالم الحادث والقديم »

3) «انت،انت الموجود،وانت انت الوجود المطلق
وانت الموجود الذي كان وجودا »

4) كلما في دار الفناء من الوجود
مفتقر بلا ريب الى وجود »

5) «من هو الانسان نفسه، واي عالم يعتبران معك
اذ ليس لغيرك رسم الا الاسم »

6) « مع ان الاغيار قد ظهروا في كثرة
فليس في هذه الدار سواك »

---

12) ورد هذا الدعاء المنسوب الى نبي الاسلام (ص) مرارا في مؤلفات العرفاء، كما يقول الجامي : « الهي الهي خلصنا عن الاشتغال بالملاهي وارنا حقائق الاشياء كما هي ، وازح غشاوة الغفلة عن بصر بصيرتنا ، واجل لنا كل شيء كما هو ، لا تظهر لنا العدم بصورة الوجود ، ولا تخفي جمال الوجود بستار العدم ، واجعل هذه الصورة الخيالية مرآة تجليات جمالك ، لا سبب الاحتجاب والبعد، واجعل هذه الاشكال الوهمية اساسا للعلم و (نورا) للبصر لا آلة للجهل والعمى ، ان كل ما بنا من الحرمان والهجران هو منا فلا تتركنا لانفسنا ، واكرمنا بتخليصنا منها ، وامنحنا عطاء معرفتك » . « لوائح » . طبع وترجمة ميرزا محمد خان قزويني .

13) جهان خلق وامر انجا يكى شد — يكى بسيار وبسيار اندكى شد
همه ازوهم تست اين صورت غير — كه نقطه دائره است از سرعة سير
يكى خط است زاول تابه آخر — برو خلق جهان كشته مسافر

14) نور الدين عبد الرحمن الجامي خاتم فحول شعراء ايران ، جمع بين الشاعرية الرقيقة والتحقيق الدقيق في مؤلفاته في مختلف الموضوعات والمقام الاسمى في العرفان فهو من اقطاب الطريقة النقشبندية ، ولد سنة 817 هـ وتوفى سنة 898 هـ من مؤلفاته : 1) منظومة تحفة الاحرار في 1710 بيتا . 2) نفحات الانس وهو ترجمة مشايخ الصوفية من جميع البلاد الاسلامية ، ويشتمل على معلومات قيمة حول 614 من كبارهم . 3) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص شرح فيه عقائد العارف المغربي الكبير الشيخ محي الدين ابن العربي في كتابه فصوص الحكم ومختصره نقش الفصوص ، وجمع فيه الى جانب ذلك اقوال الشراح الاخرين لفصوص الحكم خصوصا عقائد عقائد الشيخ صدر الدين القونيوي مريد وملازم الشيخ محي الدين . (المترجم) .

7) « ايخفـــى عنـــه وجـــوده
مـن وجـدك فـي هـذا العـالـم ؟ » (15)

من الاصول الاخرى التي تتفق فيها الاديان ، الوحي والنبوة التي يحملها الرسول والنبي في الاديان السامية وتكتسي في الاديان الهندية شكل « آفاتارا » الذي هو مظهر الالوهية فيها من دون ان يغير ذلك من اساس هذه الحقيقة شيئا ، وجميع الاديان تعتقد ايضا ان البشر سينحط من الناحية المعنوية والاخلاقية عند آخر كل عهد تاريخي ، وبما انه بالفطرة في حالة نزول وبعد عن المبدأ فهو يتحرك الى الاسفل كالحجارة (الملقاة من اعلى) فانه لا يستطيع من تلقاء نفسه ان يوقف هذه الحركة النزولية والانحطاط المعنوي والاخلاقي ، فمن الضروري اذا ان تظهر يوما ما شخصية معنوية عالية المقام تستقي من مبدأ الوحي والالهام فتحرر العالم من ظلمة الجهل والغفلة والظلم والاستبداد ، وقد اشير حول هذه المسألة في تعاليم كل دين بكيفية رمزية الى حقائق تناسب الاديان الاخرى وتتلاءم معها ملاءمة كاملة وتلك احدى الادلة القاطعة على وحدة الاديان . (16)

وبالطبع فان الحقائق لا تظهر على وتيرة واحدة في سائر الاديان ، فبالرغم من ان المعنى واحد فانه جاء في بعض الحالات بصور واشكال مختلفة ، فالكلام الالهي مثلا هو في الدين اليهودي التوراة وفي الاسلام القرآن الكريم ، وفي الدين الهندي كتب « فيدا » في حين ان المسيحية تعتبر الكلام الالهي هو حقيقة السيد المسيح ، وهو شخصية بوذا في الدين البوذائي ولهذا يجب ان لا يقارن بين الكتابين المقدسين لهذين الدينين اي الانجيل ومجموعة الـ « سوترا » البوذائية ، وبين القرآن الكريم فان منزلتهما في هذين الدينين اشبه بالاحاديث والروايات في الاسلام ولذلك فان لكل من الدين اليهودي والاسلامي والهندي لغة مقدسة هي صورة الكلام الالهي وبوتقته وهي العبرية ، والعربية والسانكسريتية ، اما في الدين المسيحي والبوذائي فلا وجود للغة مقدسة بالمعنى الحقيقي فيمكن قراءة الكتب المقدسة البوذائية باللغة السانسكريتية او بالي او تميل (17) او باللغة الصينية او اليابانية ، ويمكن اداء الطقوس المذهبية وتلاوة الكتب الدينية المسيحية في الكنيسة باللغة اللاتينية او اليونانية او بلغة من اللغات الاوربية الحديثة كما هي العادة في احدى كنائس باريس او حتى باللغة العربية ، ففي هاتين الحالتين تظهر الشخصية الرئيسية لذلك الدين وهو مؤسسه وبانيه بصورة الكلام الالهي فلا تبقى حاجة الى اللغة المقدسة .

اما بالنسبة للاسلام او الدين اليهودي والهندي فان اللغة المقدسة ضرورية للحياة الدينية والمعنوية ، وتعد صورة الكلام الالهي ومظهره الخارجي ، فلا يمكن اداء الصلاة باللغة الفارسية او التركية او الكردية ولا اداء الـ « فيدا » باللغة الاردية او الهندية الحديثة، ولا ترتيل التوراة باللغة الانجليزية، اذا كان القصد هو القيام بالعبادات لا مطالعة الكتب السماوية من الناحية الادبية او التاريخية ، لذلك فان اولئك الذين يسعون للقضاء على هذه اللغات المقدسة متعللين بتيسير العبادة ، او بسبب تعصبات مختلفة يهيئون الجو للقضاء على الاديان التي ظهر فيها الكلام الالهي بهذه اللغات .

بناء على ما ذكر فان بعض الحقائق كالكلام الالهي والوحي موجودة في سائر الاديان ، اما وان الفرصة محدودة ، والتحقيق في هذا الميدان يستلزم بيانات وايضاحات ضافية ، فاننا اكتفينا في هذا البحث بالمقدمات فقط ، وذلك بذكر عدد من هذه المناسبات ، ونأمل ان لا يكون قد اقتصر في هذا المقال المختصر ــ الذي يعد كمدخل للبحث في الاديان والمقارنة بينها ــ على كسب اطلاع مجمل حول الشرائع المهمة في العالم فقط بل ان تكون قد اتضحت للجميع ضرورة هذا النوع من البحوث وتبادل المعلومات بين الامم ، من الناحية المعنوية والعقلية والدينية .

---

15) اي علم هستي ما با تو يست
ذات تو هم هستي وهم هست كن
هست تو نيـ • هستي مطلق تو نيـ
هرچه ز هستي بسراي مجاز
با تو خود آدم كه وعالم كه ام ؟
گرچه نما يند بسى غير تو
كيست به پيدائى تو در جهان
نيست بخود ، هست بتو هرچه هست
هست كن عالم نوي وكهن
هست كه هستي بود ا • الحق تو نيـ
باشدش البته بهستي نياز
نيست ز غير تو نشان غير تام
نيست درين عرصه كسى غير تو
ما نده به پيدائي خويشي نهان

16) مثلا في الدين الهندي يوجد في كتب (بورانا) شرح مفصل حول عهود آخر الزمن كالي يعني آخر عهد قبل ظهور آواتاراي ويشنو وفي المسيحية ايضا فان كتاب المكاشفة ليوحنا مشهور . وفي الاسلام بالاضافة الى القسم الاخير من القرآن الكريم الذي يتحدث كله عن زوال العالم وتجديد الخلق، هناك احاديث وروايات كثيرة في هذا الموضوع موثوق بها عند اهل السنة والشيعة معا .

17) ان لغتي بالي وتاميل اللتين كانتا منتشرتين جنوب الهند ولا زالتا متداولتين الى اليوم في هذه النواحي ، قد اصبحتا بعد انتشار المذهب البوذائي من اللغات الاساسية لهذا الدين حتى ان كثيرا من الكتب الهندية المهمة تقرأ بهاتين اللغتين .

يسعى الكثيرون اليوم لايجاد تفاهم اكثر بين امم العالم ومدنياته ، فيعرفنا كل قوم بتاريخ القوم الاخرين وجغرافيتهم واديهم واحوالهم السياسية والاقتصادية ، غير ان هذه المطالعات لا تكفي وحدها لنيل هذا الهدف ، بل يجب السعي بادىء ذي بدء لفهم الاديان والمذاهب المعنوية للامم التي لبثت قرونا منشأ الهام المفكرين والفنانين ، والدليل الاخلاقي والاجتماعي لسائر سكان العالم ، وهي اليوم كذلك ترسم خط التفكير العام لكثير من افراد كل قوم وامة ، وتعتبر الدافع الاصلي لهم ، كما يجب الاهتمام بايجاد التجانس بين هذه المذاهب ، ولن يكون هذا الامر ميسرا الا بالاعتقاد بالوحدة السماوية والمعنوية للاديان فيجب العمل بهذه الحقيقة ـ التي كان العلماء يعتقدونها منذ القديم اكثر في عصر تلح فيه حاجة التعايش للتفاهم بين الامم والمدنيات لان بقاء المعنويات وتماديها في عالم يزداد بعده كل يوم عن عالم المعنى ، مرتبط بسعة افق التفكير والبعد عن التعصب وقبول الحقيقة الشاملة للمذاهب المعنوية كلها وتعاضد الاديان وارتباط بعضها ببعض .

دعشق خانقاه وخرابات فرق نيست
هرجاكه هست برتوروي حبيب هست
ادين بدين الحب انى توجهت
ركائبه فالحب ديني وايماني

فاس : الدكتور عبد اللطيف السعداني

الغنى يغير الاخلاق

كان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق ، قد نالته عسرة ، ثم ولى عملا ، فأتاه محمد زائرا ، ومسلما عليه ، فراى منه تغيرا !!! فكتب اليه :

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة — واصبحت ذا يسر ، وقد كنت ذا عسر
لقد كشف الاثراء منك خلائقا — من اللؤم، كانت تحت ثوب من الفقر

حياة المعتمد بن عباد في الاندلس كشاعر

للاستاذ ابراهيم حركات

اشبيليـــــة —

عاش المعتمد بن عباد ، اكثر حياته الادبية ، فى اشبيلية التى وصفها ياقوت فيما بعد ، بانها مدينة كبيرة عظيمة ، وليس بالاندلس أعظم منها ، وكانت تدعى حمص أيضا ، وقال عن مقام بنى عباد بها ، انه كان سببا فى خراب قرطبة ، لان مركز الثقل فى الحياة السياسية تحول بعد سقوط دولة الامويين الى اشبيلية، وتطور الحضارة تقدما او ضعفا : يتبع تطور الحياة السياسية .

وكانت اشبيلية بحكم موقعها على ضفة الوادى الكبير ، تنعم بخيرات سهوله الفسيحة ، وتشكل ميناء نهريا نشطت فيه حركة السفن التجارية ، كما كانت مركزا لكور (أى دوائر) كثيرة ، ونزلت بها طائفة من جند الشام خلال الفتح الاسلامى ، وكانت تجارتها واسعة ، خصوصا فى انتاج الزيت ، اذ كانت ناحيتها مكسوة باشجار الزيتون ومن اكبر المدن التابعة لها فى القرن الخامس الهجرى باجة التى ولد بها المعتمد ، واشتهرت بصباغة الجلود ، وصناعة الكتان ، وشلب مسقط راس ابن عمار ، وشنتمرية التي هي اليوم من مدن البرتغال .

وكانت اشبيلية خصبة التربة ، معتدلة الهواء وحولها جبل الشرف الذى يمتد حوالى 50 كم مكسوة باشجار التين والزيتون ، ولم تكن مدينة تفوقها عظمة ايام ملوك الطوائف ، وكانت فيما بعد مركزا لولاة المرابطين فى الاندلس .

وقد جمع المجتمع الاشبيلى بين حياة الجد التى تتمثل فى نشاطه التجارى والصناعى ، وحياة اللهو التى جعلت منه مجتمعا مشهورا بالخلاعة والطرب كما يقول صاحب نفح الطيب ، وكما عبر ابن رشد بقولته المعروفة : (اذا مات عالم باشبيلية ، فاريد بيع كتبه ، حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، واذا مات مطرب فاريد بيع كتبه حملت الى اشبيلية) .

امـــارة بنى عبـــاد :

المعتمد اشهر ملوك بنى عباد الذين كانوا ينتسبون الى لخم اليمنية الاصل ، ويشك دوزى فى صحة هذا النسب مؤكدا انهم كانوا يوعزون الى الشعراء برد نسبهم الى لخم والتغنى بمحامد هذه القبيلة ، ولا اوافقه على هذا كما سيتبين .

وقد عطاف جد بني عباد الى الاندلس فى جيش بلج القشيرى ، ثم استقر على ضفاف الوادى الكبير قرب اشبيلية ، ومن اشهر حفدته : اسماعيل بن محمد قائد حرس هشام الثانى ، وامام مسجد قرطبة فيما بعد واخيرا قاضى اشبيلية فى عهد المنصور بن ابى عامر ، وقد وصفه ابن عذارى بانه آية من آيات العلم ، وكان مثريا ولكنه كان ورعا فقيها حافظا ، وفى ايام الفتنة ضد الامويين نقل كثيرا من جالية قرطبة الى اشبيلية ، وتولى مشيخة هذه المدينة الى ان توفى سنة 414 هـ وقد تولى ابنه ابو القاسم محمد خطة القضاء ، وورث اباه فى علمه وجاهه ومنصبه ، ولما خشى اهل اشبيلية من خطر تدخل الحموديين طلبوا اليه ان يتولى امارة البلد فامتنع اولا ، ثم قبل بعد ان اشترط ان يحيط نفسه بمجموعة من المستشارين ، فيهم ابوبكر الزبيدى ابن الزبيدى اللغوى وعيسى بن حجاج الحضرمى ، ومحمد بن عبد الله البوزنى ، ونلاحظ ان اكثر هذه المجموعة من اصل يمني ، مما يمكن ان يؤكد ان بني عباد من أصل يمني ، فاقطعهم أراضي ضخمة، واستغل ثروته الطائلة فى شراء عدد ضخم من المماليك ، وانضم الى جنده مسيحيون ،

ومحاربون من النوبة والسودان ، ولاجئون من مختلف امارات الطوائف ، وقد كان ابو القاسم شاعرا رقيقا وتوفى سنة 433 فخلفه ابنه عباد الملقب بالمعتضد ، وكان قاسيا حقودا ، قتل بيده عددا كبيرا من حاشيته ليستبد بالامر وحده ، وفيهم كما يقول عبد الواحد المراكشي من اماته فقرا وخمولا او نفاه عن البلاد .

ومن اغرب ما رواه هذا المؤرخ الاديب ان سكان اشبيلية تسامعوا بظهور بعض الامراء من بقايا بني امية كالمستظهر والمستكفي فرغبوا في ان ينصبوا احدهم خليفة، وحينئذ لجا المعتضد الى حيلة تدل على مبلغ حبه للسلطة فادعى ان هشام الاموي يعيش في قصره ، واخذ يحكم باسمه ، ويدعو له على المنابر الى ان اعلن موته سنة 455 هـ وادعى انه عهد اليه كتابة ، بتولي الامر بعده على كل بلاد الاندلس .

وكان المعتضد مع ذلك ، يتذوق الشعر ويطرب لسماعه وينشىء منه الجيد ، وشغل نفسه بالخلاعة والمجون اوقات فراغه حتى كان في قصره العديد من الغلمان والجواري ، وكان عارم الشهوة ، سفاكا للدماء حتى قتل بيده وزيره البورني العالم المحدث ، واستضاف مرة ، عددا من امراء المراكز المجاورة كرندة ومورو واركش وادخلهم حماما ثم اغلقه عليهم حتى اختنقوا وماتوا ، فاستولى على مراكزهم ، وقيل انه اتخذ من رؤوس بعض قتلاه اواني للازهار ، وصفها في قصره ، وكان يقول : في مثل هذا البستان فليتنزه — وكان كثير الحروب ولكن قلما شارك فيها بنفسه ، بل يوجه العمليات من بعيد ، ويترك القيادة لابنائه او قواده ، وكان مما ضمه الى مملكته ، قرمونة ولبة وشلب ومرتولة والجزيرة الخضراء وشنتمرية ، وكان يسالم المسيحيين ، ويقدم اليهم الجزية اتقاء لخطرهم .

وقد قتل المعتضد ابنه اسماعيل بيده ، بعد ان استصفى أمواله ، لانه حاول ان يفتك به في جماعة من الاراذل الذين تسوروا عليه قصره ليلا باشبيلية ، ومات المعتضد من الذبحة الصدرية سنة 464 بعد ان حكم 28 سنة ، وكان ابن اخيه يسمى اسماعيل ايضا ، وهو جامع ديوانه .

ثم خلف المعتضد ، ولده وولي عهده ، محمد المعتمد .

المعتمد بن عباد :

تولى العهد بعد مصرع اخيه اسماعيل ، وقاد الجند ، كما ورث عن والده كلفه بالشعر والنساء ، وكان اشعر ملوك الاندلس يتذوق الادب ويقرض الشعر، حتى كان الشعراء يتحامونه ولا يتقدم منهم لمدحه ، الا المجيد الواثق من شعره ، وكان الى ذلك سخيا ، جمع ببلاطه كثيرا من الشعراء ، فيهم عبد الجليل بن وهبون وابو الوليد بن زيدون الذى ساعده على فتح قرطبة وابو بكر ابن عمار ، وامتدحكم المعتمد الى مرسية وقرطبة التي استخلف عليها ولده عباد الملقب بالمامون .

وفي سنة 478 هـ استولى الفونسو السادس على طليطلة من يدبني ذى النون وطمع في الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة ، فاجتاز المعتمد بنفسه الى المغرب مستنصرا بيوسف بن تاشفين سنة 479 هـ .

وبدات العلاقة حسنة بين الملكين بعد معركة الزلاقة، ولكن المعتصم صاحب المدية اوغر صدر يوسف على المعتمد وشارك الفقهاء بدورهم في ذلك وقد نقموا على المعتمد اسرافه في اللهو واهماله شؤون الملك .

وهكذا استولى المرابطون على طريف سنة 483 هـ واشترك البربر والاندلسيون الحانقون على المعتمد في الاستيلاء على قرطبة وقتل المامون سنة 484 هـ ثم حضر سيد بن ابي بكر بن تاشفين ونهبت جيوشه اشبيلية بما فيها قصور المعتمد الذي اخذ قبضا باليد بعد ان دافع دفاع اليائس وتم نقله الى طنجة ثم اغمات التي لم تطل بها اقامته حيث مات سنة 487 او 488 هـ وقيل غير هذا التاريخ .

المعتمد والادب في اشبيلية :

عنى اهل الاندلس بالدراسة واقتناء الكتب ، واشتد ميلهم الى الادب وقرض الشعر ، وكان للموسوعات الادبية الشرقية اثر لا ينكر في تكوينهم الادبي ، واشترك في قرض الشعر مثقفون وعوام ، ولم يكن المثقفون من الموظفين والاساتذة فقط ، بل كان في طبقة الصناع والفلاحين كثير ممن ادركتهم حرفة الادب كابن عمار قبل اتصاله بالمعتمد وابن جامع الصباغ ببطليوس ويحيى القصاب بسرقسطة وابى تمام غالب بن رباح الحجام ، وعبد العزيز اخو ابن اللبانة وكان تاجرا يقرض الشعر .

ولعل اخصب مشاركة في الحياة الادبية هي كمايقول بيريس ، مشاركة طبقة الفلاحين الذين استمدوا من الطبيعة وخصب التربة وجريان المياه اجود ما يمكن ان يستلهمه شاعر ، ولقد تفتحت براعم شاعرية ابن عمار في وسط هذه الطبقة ، وبين الحقول والمزارع .

وكان حظ اشبيلية من الادب ورجاله لا يضاهى في سائر الاندلس ، فقد نزل ببلاط المعتمد ابرز الشخصيات

الادبية التى عرفها القرن الخامس الهجرى كابن زيدون وابن حمديس وابن اللبانة وابن القصيرية ، فضلا عن الشعراء الذين لولا هذا البلاط لظلوا نسيا منسيا ، كابن عمار وابن وهبون وابن جخ ، وحتى الرميكية التى ان لم تخلف ادبا يذكر ، فان زواجها من المعتمد ، لم يكن الا بسبب بداهتها الشعرية النادرة .

والحق ان طبيعة الاندلس وخصوصية تربتها وقصورها وثروة اهلها ومتنزهاتها كل اولئك ساعد على خلق جو من اللهو والطرب ، حيث تتسع آفاق الادب والشعر ، ويجد الكتاب والشعراء المجال لتتفتح نبوغهم.

وكان للمعتمد وسط هذه المجموعة شخصية الاديب المتذوق والشاعر الاصيل : يروى ان عبد الله بن ابراهيم الحجازى زاره لمدحه بعد غزوة الزلاقة بقصيدة مطلعها :

لا روع الله سربا فى رحابهم
وان رمونى بترويع وابعاد

فلما وصل الى قوله :

ولا سقاهم على ما كان من عطش
الا ببعض ندى كف ابن عباد

قال له المعتمد : لاي شيء بخلت عليهم ان يسقوا بكفه ؟ فأجاب : اذا ، كان يلحقني من النقد ما لحق ذا الرمة فى قوله : ولا زال منهلا بجرعائك القطر .

فظهر السرور فى عينيه ، ثم كافاه ، وهو يرى ان ما اعطاه قليل فى حقه اذ قال : انا لله على ان لم يعننا الزمان على مكافأة امثالك .

ولقد تناول الشعراء فى اشبيلية كل فنون الشعر المعروفة فى هذا العصر ، ومن استعراض هذه الفنون باختصار ، يتجلى لنا الى اى حد ، ساهمت اشبيلية ورجلها المعتمد فى ميدان الادب :

1 — وصف القصور :

نالت قصور اشبيلية حظا من وصف الشعراء خصوصا قصور المعتمد التى شهدت من ليالى الانس والمطارحات الشعرية ما حفظت المصادر الكثير منه .

كان المعتمد مقيما فى بعض الايام بقصر البستان فبلغه ان عددا من الوزراء والكتاب فيهم ابن زيدون وابو الحسن بن سراج ، اجتمعوا بالزهراء فتنقلوا بين قصورها يتعاطون الكؤوس بين شرفاتها حتى استقروا بين الازهار والجداول ، وبينما هم كذلك اذا وافاهم رسول المعتمد برقعة فيها :

حسد القصر فيك الزهراء
ولعمرى وعمركم ما اشاء
قد طلعتم بها شموسا صباحا
فاطلعوا عندنا بدورا مساء

على ان قصر البستان المذكور لم يكن باشبيلية بل بقرطبة التى حكمها المعتمد مدة قصيرة .

وكان للمعتضد والد المعتمد قصر على ضفة الوادى الكبير يدعى بقصر الزاهر ، الا ان المعتمد ترك فيه حريم والده بعد موته ، وبنى هو لنفسه عدة قصور منها الوحيد والمبارك والزاهى فضلا عن قصر الزاهر وكل هذه باشبيلية ، وحينما كان المعتمد فى اغمات تذكر قصريه الزاهر والزاهى فقال فيهما :

فيا ليت شعرى هل ابيتن ليلة
امامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلى
يغنى حمام أو تدن طيور
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا
تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده
غيورين والصب المحب غيور

وسعد السعود فى البيت الاخير تورية فلكية يقصد بها قاعة فخمة كانت تدعى بسعد السعود .

وهناك قصة مشهورة عن جارية مغنية اهداها ابن تاشفين الى المعتمد فقعد فى قصر الزاهر واخذت تغنيه أبياتا ظنها تعريضا به ، وهى :

حملوا قلوب الاسد بين ضلوعهم
ولووا عمائمهم على الاقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية
امضى اذا انتضيت من الاقدار
ان خوفوك لقيت كل كريهة
او امنوك حللت دار قرار

فرمى بها فى النهر فهلكت .

اما المكرم والمبارك ، فكانا داخل المدينة وبهما حريمه ومكاتب موظفيه ، وقد حفظ ((المبارك)) حتى اليوم تحت اسم ((القصر)) وفى غرفة عليا منه قتل المعتمد ابن عمار بيده .

ولقد بالغ ابن حمزيس وهو يصف احدى دور دور المعتمد بقوله :

ويا حبذا دار قضى الله انها
يجدد فيها كل عز ولا يبلى
مقدسة لو ان موسى كليمه
مشى قدما فى ارضها خلع النعلا

2 — المتنزهات والطبيعة :

كان فى ضواحى اشبيلية اماكن كثيرة للتنزه كمرج الفضة الذى يقع على ضفة الوادى الكبير ، والذى كان يقصده للنزهة افراد المجتمع على اختلاف طبقاتهم ، ووادى الطلح الذى يقع بين شعاب جبل الشرف ، وكان يتوسط الوادى الكبير عدد من الجزر الصغيرة التى تتخذ للنزهة . هذه الطبيعة الناعمة هى التي اوحت الى ابن زيدون قوله :

مجتنى مدن وظل برود
ونسيم يشفى النفوس مريض
ومياه قد اخجل الوردان عا
رض تذهيبه لها تفضيض
كلما غنت الحمائم قلنا
معبد اذ شدا اجاب الغريض

وكانت الرياحين والازهار التي تزين الجنائن والحقول ، متنوعة ، وبينها الياسمين والبنفسج والنرجس والاقحوان والسوسن والورد والخرم والنيلوفار وزهر الباقلاء .

ولعل اروع ما وصفت به طبيعة اشبيلية ونهرها الشهير ، قول ابن اللبانة ؛ وقد ورد فى عرض قصيدة طويلة يتاسف فيها على بنى عباد وضياع دولتهم :

ارض كان على اقطارها سرحا
قد اوقدتهن فى الاذهان انبات
وفوق شاطىء واديها رياض ربى
قد ظللتها من الانسام روحات
كان واديها سلك بلبتها
وغاية الحسن اسلاك بلبات

3 — البحر والسفن :

على الرغم من ان المعتمد كان يملك اسطولا بعضه بالوادى الكبير ، وبعضه بميناء الجزيرة الخضراء فان قليلا من الشعر حظى به هذا الاسطول الذى كان خير مساعد لابن تاشفين على الاستيلاء على سبتة ، وهى آخر ما ضمه الى ملكه من المغرب ، قبل ان يقبل المغامرة الحربية فى الاندلس ، والى هذا الحين ، نجد الاندلسيين شأن آخرين من العرب حينئذ ، ما يزالون يخشون اهوال البحر ، حتى لنرى ابن حمديس واصله من صقلية (التى يحيط بها البحر من كل جهة) يقول بعد ان استقدمه المعتمد :

لا اركب البحر اخشى
علي منه المعاطب
طين انا ، وهو ماء
والطين فى الماء ذائب

على ان ابن حمديس التحق ببلاط المعتمد فيما بعد ، ومن شعره فى الموضوع يخاطب ابن تاشفين :

اراك ركبت فى الاهوال بحرا
عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا
وتدفع من صباه الى جنوبه
واصعب من ركوب البحر عندي
امور الجاتك الى ركوبه

وقد احرق المرابطون شوانى المعتمد التى كانت راسية بالوادى الكبير ، ومن اجود ما وصف به اسطول المعتمد قول ابن اللبانة :

ملأ الكماة ظهورها وبطونها
فاتت كما ياتي السحاب المغدق
عجبا لها ما خلت قبل عيانها
ان يحمل الاسد الضواري زورق
هزت مجاذيفا اليك كانها
اهداب عين للرقيب تحدق

4 — موصوفات اخرى :

لم يكد يشذ شيء لم يتناوله الشعراء بالوصف فى هذه الحقبة ، فكما وصفوا القصور والمتنزهات والبحر والسفن ، وصفوا كذلك الانواء وادخلوا الكواكب وحركتها وضياءها فى تشبيهاتهم ، كما وصفوا الشموع والجواهر والمطر والسقايات وغير ذلك ، ووصف المعتمد النجوم بمناسبة نزهة ليلة رائقة فقال :

لما اراد تنزها فى غربه
جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه
لالاؤها فاستكمل اللالاء

ووصف ابن مرزقان الاشبيلى شمعة اهديت للمعتمد فقال :

مدينـــــة فى شمعـــــة صـــــورت
قامـت حمـاة فـوق اسوارهـــا
تصـــير الليـــل نهـــارا اذا
مـــا اقبلـت ترفـل فى نارهـــا

5 ــ اللهو ومجالس الانس :

شغف المعتمد بحياة اللهو واللذة ، وان لم يتفرغ لها كليا ، ويؤخذ عليه انه لم يحاول أن يخلص نفسه من ضغط الممالك المسيحية التى ارغمته على دفع الجزية ، فاكتفى بالاستنجاد بملك المغرب ، ولكنه غير مسؤول وحده عن هذه الاهانة ، فهناك ملوك الطوائف الاخرون.

وكانت مجالس الانس تجمع بين الطرب والشعر والخمر ، وقد اشتهرت اشبيلية كما ذكر آنفا ، باقبال اهليا على الطرب ــ حتى لقد كان الرشيد ولد المعتمد يضرب على العود بمهارة فائقة .

لم يكن المعتمد يفرق بين ايام السنة من حيث الاقبال على اللهو ومجالس الانس ؛ فكان يضم ندماءه فى اى وقت ممكن من السنة ، وذات مرة جمع مجلسه بعض ندمائه من الادباء ، وكان الجو غائما ، وقد جلس بين الورد والنرجس والجلنار (فى روض قد بث رياه وبث الشكر لسقياه ، فكتب الى الاديب الطيب ابى محمد المصرى) (نفح 6) :

ايهـا الصاحـــب الـــذى فـــ
ـــارقت عينى منه السنى والسنـاء
نحن فى المجلس الذى يهـب الراحــ
ــة والمسمع الغنـــى والغنـــاء
نتعاطى التى تنســى مـن الرقـــ
ـــة واللـذة الهـوى والهـواء
فاتـه تلـــف راحـــة ومحيـــا
قــد اعــدا لــك الحيـا والحيـاء

وقدم الاديب المصرى ، فازداد المجلس به طربا ، واجازه المعتمد اجازة سنيــة .

واحتجب المعتمد مرة فى يوم غيم مع الرميكية التى كانت تدعى كذلك ام الربيع واعتماد والسيدة الكبرى فكتب اليه ابن عمار :

تجهم وجه الافق واعتلت النفـــس
لان لم تلح للعين انــت ولا شمـــس
فان كان هذا منكمـــا مـــن توافـــق
وضمكما انس فيهنيكمـــا الانـــس

فاجابه المعتمد يخاطبه بخطاب التثنية وهـــو استعمال جرى منذ الجاهلية :

خليلى قولا هـــل علـــي ملامـــة
اذا لم أغب الا لتحضرني الشمـــس
واهدى باكواس المـدام كواكبـــا
اذا ابصرتها العين هشت لها النفس
سلام ســلام انتما الانـس كلـــه
وان غبتما ام الربيع هي الانـــس

6 ــ الخمـــريـــات :

موضوع الخمريات يرتبط بطبيعة الحال بمجالس الانس واللهو ، ولكن له خصائصه ومميزاته الادبية ، وقد كان لتناول الخمر فى المجالس الملكية عادات خاصة، فالخمر يقدم بعد الطعام ويطوف الساقى بنفس الكأس على سائر الحاضرين ، وقد يتناول كل منهم كأسا على حدة ، والساقى يختار من ذوى القوة والجمال ، اذ يتحمل مهمة السقى الى وقت متأخر من الليل عنـــد الاقتضـــاء .

لم يكن امراء البلاط العبادى وعلى راسهم المعتمد، يتحرجون من شرب الخمر بين الندماء ، بله وصفهـــا شعرا ، وقد حضر ابن عمار مجلس انس للرشيد بن المعتمد ، وبين الحاضرين كذلك المطرب ابو بكر بـــن الاشبيلى فقال ابن عمار بهذه المناسبة :

ما ضر ان قيل اسحق وموصلـــه
ها أنت أنت ، وذى حمص وأسحـــق
أنت الرشيد فدع من قد سمعت بـــه
وان تشابه اخـــلاق وأعـــراق
للـــه درك داركهـــا مشعشعـــة
واحضر بساقيك ما قامت بنا ســـاق

ولقد وصف المعتمد الساقى باوصاف عادية لا نجد فيها خروجا عن المألوف مما نلمسه فى شعر ابى نواس فقـــال :

للـــه ســـاق مهفهـــف غنـــج
قـــام ليسقـــى فجـــاء بالعجـــب
أهدى لنا مـــن لطيـــف حكمتـــه
فى جامـــد المـــاء جامـــد الذهـــب

وفى مجلس ضم المؤتمن بن المعتمد ، وابن عمار ، وصف هذا الشاعر الساقى باروع مما تقـدم ولو ان

وصفه لا يخرج عن التشبيهات المعتادة من تمثيل بالقمر والغصن ، غير ان البيت الاخير مما يلي يشبه فيه انامل الساقي بالسوسن وعينيه بالنرجس ، ذلك ان الازهار لعبت دورا في الادب الاندلسي اكثر مما مثلته في الادب الشرقي :

وهويته يسقى المـدام كانـه
قمر يـدور بكوكـب فى مجلـس
متارج الحركـات تندى ريحـه
كالغصن هزته الصبـا بتنفـس
يسعى بكاس فى انامـل سوسـن
ويدير اخرى من محاجر نرجـس

ومما يؤثر عن المعتمد انه كان كثير المراسلـة بواسطة الشعر ، وشملت مراسلاته ، الاخوانيات من من اشتياق وتشك وما الى ذلك ، فضلا عن الخمريات والغـزل :

حضر ابو بكر الداني المعروف بابن اللبانـة ، مجلس انس للمعتمد ، فاطربه بشعره ، ثم اجزل صلته، وبعد ان انصرف ابو بكر الى منزله لحق به رسـول المعتمد برقعة وكأس بلار ملئت عقارا وورد في الرقعـة قولـه :

جاءتك ليلا فى ثيـاب نهـار
مـن نورهـا وغلالـة البـلار
كالمشترى قـد لـف مـن مريخـه
اذ لفـه فى المـاء جـذوة نـار
لطف الجمود لـذا وذا فتالقـا
لـم يلـق ضـد ضده بنفـار

7 ــ الغـزل :

كان وصف جمال المراة في الاندلس احيانا عنيفا في الشعر وقد خصص المعتمد لحظاياه كثيرا من الشعـر الرقيق كالرميكية التي كان يلقبها بأم الربيع، وكجواريه سحر وجوهرة ووداد ، وهذه ربما كانت كلها القابا او اسماء استحدثها المعتمد وهي تناسب رقة الحضـارة التي عرفها عصره .

والظروف التي تعرف فيها المعتمد الى الرميكيـة مشهورة ، فقد رووا انه ركب زورقا مع ابن عمـار في نهر اشبيلية وقد زرد الريح النهر ، فقال المعتمد : اجز :

صنع الريـح مـن المـاء زرد

فاطال ابن عمار التفكير فلم يحر جوابا ، وكان على ضفة النهر ، الرميكية مع جماعة من الصبانات وكانت تسمع ما يجرى بين الرجلين ، فاتمت على الفور :

اى درع لقتـال لـو جمـد

وسرعان ما دعاها المعتمد الى الالتحاق بحريمـه وقد اعجب ببداهتها وثقافتها الادبية واصبحت اعـز نسائه حتى رافقته الى سجنه بالمغرب ودفنت الـى جانبه بعد موتها .

وكانت الرميكية قد اشتهت يوما ان تمشـي في الطين فامر بسحق انواع كثيرة من الطيب ونثرهـا في ساحة القصر ، ثم خاضت فيه هي وجواريها ، والى ذلك اشار في احدى قصائده وهو في الاسر :

يطان فى الطين والاقدام حافيـة
كانها لم تطـأ مسكـا وكافـورا

وقال في جوهرة وقد عبر عن تمكن حبها من قلبه :

جوهـرة عذبنـي	**منك تمادى الغضب**
فزفرتي فى صعـد	**وعبرتى فى صبـب**
يا كوكبالحسن الذى	**ازرى بزهر الشهـب**
مسكنك القلـب فـلا	**ترضى له بالوصـب**

وقال في وداد :

اشـرب الكـاس فى وداد ودادك
وتأنـس بذكـرهـا فى انفـرادك

وفي سحر :

عفا الله عن سحر على كل حالـة
ولا حوسبت عما انابهـا واجـد
اسحر ظالمت النفس واخترت فرقتى
فجمعت احزانـى وهـى شـوارد

ولم يخل بلاط ملوك الطوائف من الغزل المذكـر الذي سبق ان عرفه الشرق قبل ذلك بثلاثة قـرون ، وتوفر من دواعيه بالاندلس قريب مما توفر بالمشرق ، فان ملوك الاندلس وامراءها اولموا باقتناء الغلمان من الصقالبة يربونهم ويؤدبونهم ، ثم يتخذونهم سقاة وندماء وجندا ومسؤولين في الدولة ، ومن اعجبما يذكر في هذا الموضوع ما كان بين المعتمد وابن عمار في شبابهما من علاقة شاذة اشار اليها هذا الاخير في قصيدته التـي مطلعها :

الا حى بالغـرب حيـا حـلالا
اناخوا جمـالا وحـازوا جمـالا

وفى هذه القصيدة عرض ابن عمار بالرميكية اذ قال :

تخيرتها مـــن بنـــات الهجـــان
رميكيـــــة مــــا تساوى عقـــــالا

اما عن العلاقة المذكورة فلا يجمل نقل الابيات التى تتناولها .

ولقد تهتك عدد من الشعراء فى غزلهم حتى انحطوا بهذا الفن الادبى فى اللفظ والمعنى على السواء واعتمدوا على الاوصاف المادية وتذللوا فى حبهم وعبروا عن لوعة النفس وفرقة الحبيب واعجبوا بالشعر الاشقر والعيون الزرق وجمال القامة كما وصفوا الثغر وشبهوه بالازهار والرياحين .

ومن الطف ما ارتجله المعتمد بداهة وقد كانت تسقيه جارية فلمع البرق فارتاعت ، قوله :

روعهـــــا البـــــرق وفى كفهـــــا
بـــــرق مـــــن القهـــــوة لمـــــاع
عجبت منها وهى شمس الضحـــــى
كيـــف مـــن الانـــوار ترتـــــاع

وارتابت اعتماد مرة فى حبه فقال :

تظن بنـــــا ام الربيـــــع سآمـــــة
الا غفر الرحمن ذنبـــــا تواقعـــــه
أأهجر ظبيا فى ضلوعـــى كناســـــه
وبدر تمام فى جفونـــى مطالعـــــه ؟

8 ــ الالعـــاب والطرديـــات :

اسهر لعبة عرفها الاندلسيون فى هذا العهد هى لعبة الشطرنج ، ويروى عبد الواحد المراكشى فى هذا الموضوع قصة طريفة ، ذلك ان الفونسو السادس قرر مهاجمة اشبيلية ، فصنع ابن عمار مائدة شطرنج من الذهب والفضة والاحجار الكريمة ، وكان يتقن لعب الشطرنج ويعلم ان الفونسو مولع به كذلك ، وبلغ الى الفونسو خبر هذه المائدة عن طريق حاشيته ممن اوعز اليهم ابن عمار بالحديث عنها امام الفونسو ، فرغب فى الحصول عليها ودعا ابن عمار الى اللعب معه فاشترط هذا الاخير فى حالةانتصاره ان ينزل الفونسو عند اى رغبة يعبر له عنها ، وبعد ان تردد الملك المسيحي طويلا قبل بناء على الحاح حاشيته ، وتم انتصار ابن عمار فعلا فدعاه الى العدول عن مهاجمة اشبيلية فلم يســـع الفونسو الا ان يتخلى عن هذا الهجوم وعاد مع ذلـــك بجزية سنتين اداها المعتمد .

وعند ما رثى ابن اللبانة المعتمد اشار الى بعـــض مجالســه التى كان يلهو فيها بالشطرنج اذ قال :

ونحن من لعب الشطرنج فى يـــــده
وربمـــا قمـــرت بالبيـــدق الشـــــاة

ومطلع القصيدة :

لكل شىء من الاشيـــــاء ميقـــــات
وللمنـــى مـــن مناياهـــن غايـــــات

وكان الصيد من ملاهي ملوك الطوائف ، فوصفوا جيادهم وانطلاقهم بها فى اثر الطرائد ، وكلابهم وبأسها كما عنوا بوصف الجوارح ، ونجد من الفنون الشعرية نوعا يدعى بالمطيرات كاد يستقل به ابن زيدون والمعتمد فى مراسلات شعرية شبيهة بالالغاز تتناول وصفالطيور اذ كان المعتمد شديد الولع بالصيد ، وله فى ذلـــك مراسلات شعرية الى والده يستأذنه فيها ، فى مباشرة الصيد ، ومن مطيرات ابن زيدون الى المعتمد :

فاسال الشاهين والصقرين والعنقاء تخبر
ثم بعد الديك عد للنسر والزال المنفـــر
والحبارى والسمانى والشقراق المحبـــر

واستعمل المعتمد الحمام الزاجل فى مراســـلات الدولة ومراسلاته الخاصة الى اصدقائه وجواريه .

9 ــ البطولـــــة والفخـــــر :

ان التفاصيل التي يقدمها الشعر الشرقي فيهذاالموضوع أكثر على العموم مما يقدمه الشعر الاندلسى ، الا ان الشعر الاشبيلى اغتنى كثيرا بما زودته به المناسبات الحربية التى لم تكد تنقطع خلال هذا القرن ، وتناولت البطولة وصف الانتصار والصمود واحيانا طريقة القتال مع التعرض لبعض ادوات الحرب واسلحته ، واتخـذ موقفالوداع صورا غاية فى التأثير واثارة الاشفاق، سواء اكان الوداع من اجل الحرب او لسبب آخر ، قال المعتمد

ولمـــا التقينـــا للـــوداع غديـــــة

وقد خفقت فى ساحة القصر رايـــات

بكينا دما حتـــى كـــأن عيوننـــــا

تجرى الدموع الحمر منها جراحـــات

انما من المؤسف ان الشعراء انفسهم ، لم يكونوا فرسانا يخوضون معا مع القتال ، فكانوا اشبه بالمصور الذى يتخيل منظر الحرب ولا يصطلى بنارها ، وهذا عبد الجليل بن وهبون يتحمس للحرب وهو لا يشارك فيها :

سارمي بهماتي قصاري مراتبي
وان كان ادناها يطيل طلابي
لتعلم اطراف الاسنة انني
كفيل بها عند الصدى بشرابي

ومن حسن الحظ ، فاننا نلمس في شعر المعتمد صدق العاطفة ، فقد كان يقود الكتائب بنفسه ، وكان معجبا بالبطولة العسكرية ، ولكنه يظل دائما ، نفس الرجل الذي يفتنه الجمال حتى في ظروف الحرب ، قال يخاطب فتى :

ولما اقتحمت الوغى دارعا
وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى
عليها سحاب من العنبر

وهكذا يشبه المعتمد قرطبة بعد احتلالها ، بعروس تزوجها بحد السيف :

خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت
من جاء يخطبها بالبيض والاسل

وقد جرت العادة في هذا العصر ، بتوجيه الانذار الى الخصم قبل مجابهته بالحرب ، وعندما سعى المعتصم بن صمادح بالمعتمد ، لدى يوسف بن تاشفين ، قال المعتمد ينذره :

يا من تمرس بي يريد مساءتي
لا تعرضن فقد نصحت لمندم
من غره مني خلائق سهلة
فالسم تحت ليان مس الارقم

وفي معرض الفخر ، يعبر شعر المعتمد عن شمم ورغبة في الجهاد اذ يقول :

غزو عليك مبارك — في طيه الفتح القريب
لله سيفك انه — سخط على دين الصليب

ولم يرض المعتمد بالاستسلام للبربر المرابطين حتى قاتلهم بحد السيف ، وقد فاجاوه ولم يكن عليه درع :

قالوا الخضوع سياسة
فليبد منك لهم خضوع
قد رمت يوم نزالهم
الا تحصنني الدروع
ما سرت قط الى القتا
ل وكان من املي الرجوع
شيم الالى انا منهم
والاصل تتبعه الفروع

10 — المدح :

لم يشذ الشعر الاندلسي عن طريقة المشارقة في الاستهلال بالغزل والتملق وذكر المحامد وبما ان البلاط الاشبيلي جمع في القرن الخامس اشهر شعراء الاندلس ، وان بني عباد كانوا اغنى واكرم ملوك الطوائف ، فقد وجد المجال للمدح والتغني بكرم هذه الاسرة الملكية ونضالها في الحروب وتشجيعها للادب ، ولكن ظاهرة التملق ، طغت على هذا الشعر حتى كاد يكون استجداء ، وممن مدحوا المعتمد ، ابن زيدون وابن حمديس وابن عمار وابن وهبون وابو بكر الداني وآخرون .

ومن شعر المدح نستفيد ان المعتمد كان يلقب بالمؤيد ايضا ، وقيل ان هذا اللقب لم يتخذه الا بعد ان اصبحت اعتماد الرميكية في عداد حظاياه ، وقد ورد ذكر المؤيد في شعر ابن عمار اذ يقول :

الا ان بطشا للمؤيد يتقى
ولكن عفوا للمؤيد ارجح

وكذا في شعر الداني :

كان المؤيد بستانا بساحتها
يجنى النعيم وفي عليائها فلكا

ومدح ابن زيدون المعتمد ، فاذا هو يبالغ ، حتى ليعتبر عصيانه كفرا :

وطاعة امرك فرض ارا
ه من كل مفترض او كدا
هي الشرع اصبح دين الضمي
ر فلو عصاك لقد الحدا

ومن اطرف ما يذكر هنا ، ان المعتمد نفسه كان مادحا فمدح والده وابن زيدون وابن عمار فقال في ابن زيدون :

لك العلم مهما ارد بحره
لاروى به ، احمد الموردا
وفيك تجمعت المأثرا
ت طرا فصرت بها مفردا

وقد حاول كثير من اعداء ابن زيدون ان يوقعوا به لدى المعتمد ، حسدا له وبغضا على مكانته عنده .

ومن محاولاتهم في ذلك ، ان رموا اليه برقعة يحرضونه فيها على البطش بابن زيدون وغيره ممن كانوا سابقا في بلاط والده ، ومما ورد في هذه الرقعة :

يا أيها الملك العلى الاعظم
اقطع وريدى كل باغ ينام
واذكر صنيع ابيك اول مرة
فى كل متهم فانك تعلم

وكان المعتمد اذكى واكرم من ان يستجيب للوشاة، بل وقع على ظهر هذه الرقعة ابياتا منها :

كذبت مناكم صرحوا وجمجموا
الدين امتن والسجية اكرم
انى رجوتم غدر من جربتم
منه الوفاء وظلم من لا يظلم
كفوا والا فارقبوا لى بطشة
يلقى السفيه بمثلها فيحلم

وقد امتن ابن زيدون لهذه المكرمة من المعتمد ، فمدحه بقصيدة من خمسين بيتا ، ومنها :

امطيتنى متن السماء برتبة
علياء منكب عزها لا يزحم
لي منك ، فليذب الحسود تلظيا
لطف المكانة والمحل الاكرم
الفخر ثغر من حياضك باسم
والمجد برد من وفائك معلم

ومن الطبيعى ان ينوه مادحو المعتمد بادبه وتذوقه للشعر ، وقد اعجب المعتمد مرة ببيت المتنبى بمحضر عبد الجليل بن وهبون فقال هذا بالمناسبة :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما
تجيد العطايا واللهى تفتح اللها
تنبا عجبا بالقريض ولو درى
بانك ترويه ، اذا لتالها

ولابن وهبون مع هذا صور رائعة فى مدح المعتمد، كقوله :

ما القفر الا مكان لا تحل به
وحيثما سرت سار البدو والحضر

ومدح المعتمد والده فى عرض قصيدة استعطاف ، ولكنه لم يات بجديد ، فصفات الهمام والسميدع والكرم التى وصفه بها مالوفة الى حد الابتذال :

من مثل قومك من مثل الهمام ابى
عمرو ابيك له مجد ومفتخر
سميدع يهب الآلاف مبتدئا
ويستقل عطاياه ويعتذر

11 — الرثاء :

لا يختلف رثاء الميت فى اشبيلية عنه فى سائر الاندلس ، وهو مستمد من الرثاء الشرقى الذى يتناول دعوة المفجوع الى التصبر ووصف الميت بمحامده ومآثراته ، وقد رثى ابن زيدون المعتضد بقصيدة القاها بين يدي المعتمد فاحسن اذ جمع بين رثاء الاول ومدح الثاني :

لك الخير ان الرزء كان غيابة
طلعت لنا فيها كما طلع البدر
فقرت عيون كان اسخنها البكا
وقرت قلوب كان زلزلها الذعر

وعندما قتل المامون والراضى (ولدا المعتمد) رثاهما ابوهما فسبر عن لوعته بقوله :

فما لى لا ابكى ، ام القلب صخرة ؟
وكم صخرة فى الارض يجرى بها نهر

ثم عزى نفسه بقوله :

غدرت اذا ، ان ضن جفنى بقطرة
وان لؤمت نفسى فصاحبها الصبر

وفى رائية اخرى يتذكرهما فتسيل عبراته وهو فى الاسر :

يقولون صبرا ، لا سبيل الى الصبر
سابكى وابكى ما تطاول من عمرى
توليتما ، والسن بعد صغيرة
ولم تلبث الايام ان صغرت قدرى

ولعل اروع ما رثيت به دولة اختفت من الوجود بالاندلس ، هى دولة بنى عباد ، ومن المعلوم ان شعراء الاندلس كانوا ابرع من اخوانهم المشارقة فى وصف الدول البائدة ، ومما ورد فى قصيدة ابن اللبانة التى مطلعها :

(تبكى السماء بدمع رائح غادي
على البهاليل من بني عباد) ،

قوله يصف وداع السكان للمعتمد وهو يركب سفينة ضمن الاسطول المرابطى :

حان الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من مفداة وفاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها
كانها ابل يحدو بها الحادي
كم سال فى الماء من دمع ، وكم حملت
تلك القطائع من قطعات اكباد

12 ــ الهجــو والتهكــم :

كان ابن عمار قد استطاع ان يستولى علــى مرسية ، ولكنه امتنع من اطلاق سراح حاكمها ابــن طاهر ، على الرغم من اوامر المعتمد بذلك ، وقد امكن لابن طاهر ان يفلت بمساعدة امير بلنسية ، وقد اغضب ذلك ابن عمار فقال فى قصيدة له :

كيف التفلت بالخديعة مــن يــدي
رجل الحقيقة من بنــي عمــار
كشاف مظلمة وسائــس امــة
نفــاع أهــل زمانــه ضــرار
شراب اكواس المــدام وتــارة
شراب اكواس الــدم المهــدار

وكانت هذه اول فرصة للمعتمد ، حتى يعبر عن كرهه لهذا الرجل الذي طالما احسن هو اليه ورفعه من الذل الى المجد ، فقال يتهكم عليه معلقا علــى قوله : **(رجل الحقيقة من بني عمار)** ومعددا محاسن بني عمار على سبيل السخرية :

الاكثريــن مســودا ومملكــا
ومتوجــا فى سالــف الاعصــار
والمؤثرين على العيــال بزادهــم
والضاربين لهامــة الجبــار

ولم يسكت ابن عمار عن الرد بقصيدة كان فيهــا حتفه ، لانه عرض فيها باولية بني عباد وزوجة المعتمد الرميكية وباشياء اخرى لا يليق ذكرها هنا ، ومما قاله فى هجو الرميكية :

تخيرتها مــن بنــات الهجــا
ن رميكيــة ما تســاوي عقــالا

وكان المعتمد قد وجه ابنه الراضي لفتح مرسيــة فعجز عنها ، فعيره بالجبن والتقاعس عن الحــرب والاشتغال بالمسائل الفكرية التي لا تغني فى مثل هذه الظروف :

الملــك فى طــى الدفاتــر
فتخــل عن قــود العساكــر
واضــرب بسكــين الــدوا
ة مكــان ماضــي الحــد باتــر
واقعد فانــك طاعــم
كاس وقل هل مــن مفاخــر ؟؟

13 ــ الحوار (الاجازة) :

اولع شعراء الاندلس وخصوصا شعراء اشبيليــة واسرها المعتمد بالحوار الشعري المرتجل : يبدا هــو بشطر ، ثم يدعو جلساءه من الشعراء الى اتمامــه ، ويتعلق هذا النوع من الحوار القصير بمناسبة معينة .

خرج المعتمد الى ظاهر اشبيلية بخيله متسابقا ، ثم راى شجرة تين قد برزت منها ثمرة قد اينعت فقذفها بعصاه فعلقت بها ، فاعجب المعتمد بهذا المنظر وطرب له ، ثم تلاحق به اصحابه وفيهم ابن جامع الذي كــان صباغا ثم ارتفع قدره عنده ، فقال له المعتمد : اجز :

كانها كوق العصا ــ فقال : **هامة زنجي عصى**

ولما بنى المعتمد قاعة سعد السعود فوق قصر الزاهى احتفل بذلك ، وطلب من يجيز :

سعد السعود يتيه فوق قصر الزاهي

فعجز الجميع ، واتم احد بنيه :

وكلاهمــا فى حسنــه متناهــي

وغنى بين يديه بقول ابن المعتز :

وخمارة من بنــات المجــو
س ترى الزق فى بيتها زائــلا
وزنا لها ذهبــا جامــدا
فكالت لنا ذهبــا سائــلا

فقال يجيزه على الفور :

وقلــت خذي جوهرا ثابتــا
فقالت خــذوا عرضــا زائــلا

وسمع المؤذن يؤذن ، فقال يستجيز ابن عمار الذى كان برفقته :

	هذا المؤذن قد بدا باذانــه
فقال ابن عمار :	**يرجو بذاك العفو من رحمانه**
المعتمــد :	**طوبى له من شاهد بحقيقــة**
ابن عمار :	**ان كان عقد ضميره كلسانه**

ويدخل فى باب الحوار ، المطيرات او المعميات التى هى مساجلات والغاز شعرية تراسل بها المعتمد وابن زيدون ، وقد مر منها نموذج فى الطرديات ، وقصدهما منها ترويض الذهن واختبار البديهة ، وتتضمن اسمــاء طيور كثيرة .

ابراهيم حركات

أضواء على الأدب الاسباني

للأستاذ : حسن الوراكلي

(4)

هل اسهم جيل الاحفاد في حقل المسرح ، وبيدر القصة ؟

نقول ، نعم ، ولكننا نردف بان الرصيد المسرحي والقصصي الذي تركه لنا هذا الجيل يبدو ضئيلا و (متواضعا) اذا قيس برصيده الغنائي ، وهو ، اي الرصيد المسرحي والقصصي ، يبدو بعين الصفة وذاتها اذا نحن وضعناه بجانب ما خلفه لنا جيل 98 من تراث مسرحي وذخيرة قصصية .

فلم تكن لجيل الاحفاد اصوات في المسرح ، تطغى على اصوات المسرحي العظيم «بنافنتي» (1) الحامل لجائزة نوبل (1922) والذي قال عنه احد النقاد الانجليز : لا اتردد في ان اصرح بانه ليس حاليا في اوربا من اقصاها الى اقصاها مؤلف مسرحي يضاهي بنافنتي من حيث الاتقان والجودة والبراعة) ؛ والاخوين كينطرو الاشبيليين (2) اللذين قادا ، مع كتاب آخرين ؛ قافلة الفن المسرحي منذ اواخر القرن الماضي الى ما بعد الحرب الاهلية (1936) .

كما يذهب النقاد الى القول بان الكتاب المسرحيين الاحفاد لم يستطيعوا ان يصرفوا الناس عن مسرح بدرومونيوثتكا (3) (1881 — 1936) وكارلوس ارنيتس (4) (1866 — 1943) فهذان المسرحيان ومعهما الاخوان كينطرو وبنافنتي واتباعه ، اولئك جميعا ولا سيما في الفترة الاولى من حياة جيل الاحفاد ، كانوا لا يزالون مفضلين عند الجمهور ، يتهافت على مسرحياتهم ويصفق لها (5) .

على ان الفترة الثانية من عمر هذا الجيل شهدت انتصارا باهرا يحققه في عالم المسرح ، واحد من افراده هو الشاعر الشهيد فدريكو كارسيا لوركا (6) ، فقد الف مسرحيات فذة عظيمة من مثل : (ماريانا بيندا Mariana Pineda و « اعراس الدم » Bodas de sangre و (يرما او العاقر Yerma وغيرها من الروائع المسرحية التي نالت رضى الجمهور واعجابه وادمت اكفه بالتصفيقات وظفرت باعجاب النقاد المسرحيين واهتمامهم ، فذهب بعضهم الى

---

1) كان اسبق افراد جيل 98 الى الفوز والشهرة والظفر بذيوع صيت شعبي كبير ، حتى غدا ، في عبارة بايسطير ، الطفل المدلل من طرف الجمهور ، وتعتبر مسرحيته : ليلة السبت La nachedel s'abado الفوز المسرحي الاول لجيل 98 ، وقد ترجمت مسرحيته : المصالح المستحدثة Los interes creados الى العربية مرتين ، مرة على يد الاستاذ نجيب ابي ملهم ، واخرى على يد الدكتور لطفي عبد البديع .

2) هما خواكين وسرافين ، ينتميان تاريخيا فقط لجيل 98 ، اما فكريا وايديولوجيا فلا علاقة تربطهما بالجيل الحاضر .

3) تشهد اعماله المسرحية بانه كان يحمل مواهب هزلية ومأساوية عظيمة ، واشهر مسرحية له هي : ثار السيد مندو Venganza de Don Mendo

4) كان مسرحه مسرح عادات ، تمت اشكاله بصلة كبيرة الى مسرح اواخر القرن الماضي ، وبذلك ظل بمبعدة عن التجديد المسرحي الذي حمل بيرقه بنافنتي واشياعه .

5) انظر كتابي : G. Torrente Ballester, «Teatro Espanol contemporaneo» y «Panorama de la Literatura Espanol contemporaneo»

6) انظر كتاب : Jesus Cizano - Federico Garcia Lorca - Edicion G.P., Barcelona, 1963

القول بانه ليس يمكن التصدي لذكر الاتجاهات التي مرت بالمسرح المعاصر دون الوقوف طويلا امام شخصية عظيمة قدمتها للعالم اسبانيا في مطلع هذا القرن هي شخصية كارسيا لوركا ، واكد ناقد امريكي بان لوركا يعد من بين أهم خمسة كتاب شرفهم المسرح العالمي في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين وهم : بيتس ، اليوت ، كوكتو ، اوبي ، لوركا ، وزعم ناقد آخر بان لوركا ، لعله يكون انبغ كتاب المسرح في عصره .

اما الاصوات المسرحية الاخرى لجيل الاحفاد فانها لا شيء ينتظمها ويسلكها في خيط واحد الا كون اصحابها بداوا في التاليف المسرحي قبل الحرب الاهلية ، ولكن جل اعمالهم التي كان لها شان وذيوع انما ظهرت فيما بعد الحرب السالفة الذكر .

ولعل من الملح اسماء الكتاب المسرحيين واعظمها شهرة في جيل الاحفاد ، هذه التي تفرض لاصحابها باللمحة الموجزة فيما يلي :

لوكادي طينا 1897 :

ينحدر من اصل اشبيلي ، صحافي قدير ، ظل مدة طويلة مديرا لصحيفة أ . ب . ص A.B.C. ثم عين سفيرا لبلده في جمهورية الشيلي بامريكا اللاتينية ، رمى بذاره الاولى في حقل المسرح ، وهو في مطلع شبابه ، ينتمي الى مدرسة بنافنتي ولكنه يتميز بالبساطة المتناهية والتركيز الدرامي ، كانت المسرحية التي جلبت له الشهرة هي : من انا ؟؟ Quien soy yo 1935 ملهاة تعالج بعمق موضوعا كان يشغل بال الناس يومئذ هو موضوع الشخصية La personalidad وقد كتب فيما بعد قسما ثانيا لهذه الملهاة سماه انا برندل Yo soy Borendell ولكنه لم يظفر بما ظفر به القسم الاول من نجاح ومن اشهر مسرحياته : مما هو مرسوم الى ما هو حي De lo pintado a lo vivo و : امراتان في التاسعة Dos mujeres a la nueve و : ضون خوسي ، بيبي و Don José Pepe y Pepito

خوسي ماريمان 1898 :

قادسي ، اشتغل بالسياسة منذ شبابه المبكر ، وفي الدفاع عن مثله كتب اكبر جزء من اعماله الادبية، الشعرية منها والمسرحية ، وكان صحافيا وخطيبا ، انتهت اليه رئاسة الاكاديمية الاسبانية للغة ، وقد بدات شهرته ككاتب مسرحي حينما عرضت تراجيديته الشعرية المأساة اللاهوتي الجزوع El divino impaciente 1933 ، ومن اهم اعماله المسرحية : مطرنيست Metternich وجوليت وروميو Julieta y Romeo والذئبة La loba وادبيو Edipo

خوسي لوبيث روبيو 1903 :

واحد من ابناء غرناطة الذين ظفروا بالشهرة البعيدة في عالم الفن والادب ، وقد ظل يزود المكتبة المسرحية الاسبانية بروائع الاعمال التي كتبها او ترجمها عن الادب الاجنبي اعواما طويلة ، وظهر اسمه ضمن المؤلفين المسرحيين المرموقين منذ عام 1928 ، الذي تم في غضونه عرض مسرحيته : من الليل الى الصباح De la noche a la manana التي اشترك تاليفها الكاتب اوكارطي وفازت بنجاح باهر اثناء عرضها ، ومن احسن مسرحياته : الضفة الاخرى La otra orilla والايدي طاهرة . Las manos son inocentes

الخندور كاسونا 1900 :

فاز بجائزة لوبي دي فيكا عام 1933 على ملهاته : بنت البحر الجانحة الى الشاطىء La sirena varada وهي مسرحية متماسكة البناء ، رائعة الحوار ، استقبلت باعجاب حماسي ، واكدت لمؤلفها مستقبلا مشرقا في عالم المسرح وقد ترك وطنه واستقر بالجمهورية الارجنتينية منذ سنة 1939 ، وهنالك واصل الاسهام في حقل المسرح .

ومن اشهر اعماله المسرحية : الشيطان مرة اخرى Otra vez el diablo 1934 ، و : الانتحاب ممنوع في الربيع Prohibido suicidarse en primavera 1946، والزورق بلا صائد La barca sin pescador 1945 ، و : سيدة الفجر La dama del alba

وبالرغم من ان الذخيرة التي قدمها كاسونا للمسرح الاسباني الحديث تعتبر جيدة ورائعة فان الناقد الكبير ك . طورنطي بايسطير (7) يرى ان هذا المسرحي لم يستطع ان يرق سلم العظمة والخلود ، نتيجة لعدم استطاعته تجسيد اعمق ما في الحياة الانسانية واحزن ما في طياتها في شخصيات درامية كاملة ، ومن ثم يصح الزعم ، في راي بايسطير ، بان

(7) انظر كتابه : Panorama de la literatura espanola contemporanea, edicion Guadarrama, T. I, p. 338 y 339.

مسرح كاسونا ليس اعظم مسرح وانما هو احسن مسرح .

ماكس اوب 1903 :

ناثر وباحث ، حرر في مجلة (الغرب) الشهيرة ، ونشر دراسة حول القصة الاسبانية المعاصرة ، كما اصدر منتخبا للنثر الاسباني في القرن التاسع عشر Antologia de la prosa espanola en el siglo XIX.

وصدرت له عن الحرب الاهلية الاسبانية ثلاثية قصصية هي :

1) حقل مسدود Compo cerrado
2) حقل مفتوح Compo abierto
3) حقل الدم Compo de sangre

كما نشرت له ثلاثية اخرى تحت عنوان مشترك ، هو : المهمه السحري . El laberinto magico

ومن اشهر آثاره المسرحية : نرجس Narciso وقاعة الانتظار Sala de espera والحياة الزوجية La vida conjugal والموت باغماض الاعين Morir por cerrar los ojos وسان خوان San Juan وموضوعها الهجرة الاسرائيلية ، ويرى بعض النقاد المسرحيين انها من بين اعمال ماكس المسرحية الاخرى بالاصالة وامتلاؤها بالحيوية .

يضاف الى اولئك كاتبان آخران ، اصاب عطاؤهما المسرحي نجاحا عظيما ، وهما : ادكار نيفيل 1899 ، وانريكي خارديل بونثلا 1901 — 1952 ، ومن اشهر ما كتب الاول : اشباح البيت المهجور Los fantasmas de la casa deshabitada وانت لك عينا امراة شريرة Usted tiene ojos de mujer fatal ومن ابدع ما ذبج يراع الثاني : الرقص El bail وقد مثلت سبعمائة مرة .

❋

نريد بعد ذلك ان نتخلص الى الحديث عن حظ القصة ونصيب الرواية عند جيل الاحفاد ، والحقيقة التي تجدر الاشارة اليها في البدء ، هي ان القصة والرواية لم يظفرا على يد الاحفاد بما ظفرا به على يد الكتاب السابقين من اهتمام وتخصص ، هؤلاء الذين ظلوا ، طول عمر جيل الاحفاد ، يرفدون القصة والرواية ، بما يكتبونه في بيدرهما ؛ فباروخا ظل يكتب قصصا حتى بعد الحرب الاهلية ، بل حتى بعد 1940 ، وكذا بريل ميرو ورامون بريث دي ايالا وانورين ، كل هؤلاء نشروا بعضا من اعمالهم القصصية والروائية اثناء حياة جيل الاحفاد .

ويرى الاستاذ الناقد ك . طورنطي بايسطير انه اذا كان كل من يكتب قصة او قصتين يعتبر قاصا ، فان كثيرين من الكتاب الاحفاد يجب ان يعتبروا كذلك اما اذا كانت شخصية القاص والروائي تنطبق على سبيل امثال ، على بيوباروخا ، الذي كرس نفسه لكتابة الرواية ، وكان اعظم روائي في جيل 98 فانه يجب علينا ان ننتظر خوان انطونيو دي ثونثونكي Juan Antonio de Zunzunegui كي نلمس فيه ملامح الشخصية القاصة وسماتها ، فهو الكاتب الوحيد من بين الكتاب الاحفاد ، الذي سخر قلمه وكرس نفسه لكتابة القصة ومعالجتها ، اما الباقي من اولئك الكتاب فهم قصاصون تارة ، مسرحيون اخرى ، شعراء غنائيون او مدبجو مقالات واحاديث ثالثة ، وبكلمة موجزة : هم ادباء عالجوا انواعا شتى دون ان يختصوا بواحد منها ، هم كتاب لا مختصون (8) .

ومن المع القصاصين ، غير المختصين ، في جيل الاحفاد يمكننا ان نذكر : بنخامين خارنس 1888 — 1950 وفالنطيس اندريس الفريث 1891 ورفائيل ديسطي 1900 وبوطيس بولانكو 1898 وكلاوديودي لا طوري 1902 وانطونيو اسبينا 1894 وماريثيو باكاريسي 1895 — 1931 وراساكاثل 1898 ومكيل فيلالونكا 1891 — 1946 ورفائيل سانتس ماناس 1892 ولويس دي سانطا ماريا 1898 .

خوان انطونيو دي ثونثونكي 1902 :

نشا في مدينة البلباو Bilbao وشغف بالادب وهو يخطر في غلائل الشباب ، وتردد على نادي اكيليور Eguilior الشهير ، فكان من بين الكتاب الذين تم تكوينهم الادبي فيه ، وسافر عبر فرنسا وانجلترا وايطاليا حيث كان يزاول دراسته ، ولقد كان اغلب افراد جيله شعراء غنائيين او كتاب مقالات ودراسات على حين انه لم ينظم شعرا ولا كتب دراسات ، وانما انصرف الى القصة الاسبانية والاوربية يقراها ويتعمق في معرفة تراثها حتى استوى كاتبا قاصا مبدعا ،

---

8) انظر : G. Torrente Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 362 y 363.

ينسج في اطار المدرسة الواقعية ويترسم خطوات اساتذة القصة عظام ، وفي طليعتهم شون بنيطوبريث كالدوس 1843 — 1920 .

نشر ثونتونكي ستة اجزاء من الاقاصيص القصيرة وصدرت له اربعة عشر قصة طويلة ، من اشهرها : « امراة فوق الارض » Una mujer sobre la tierra و « الحياة كما هي » La vida como es وغيرهما ومن آثاره الروائية الخالدة التي حملت اليه تاج الشهرة وجعلته من اكبر القصاصين المقروئين في الكلمة الاسبانية .

❋

ان في الكلام المتقدم ما يوضح لنا بان جيل الاحفاد لم يكن جيلا من المسرحيين والقصاصين ، وانما كان جيلا من الشعراء الغنائيين الذين كانت تضمهم مقاهي اشبيلية وغرناطة ويظلهم سقف بيت الطلبة في مدريد وكان من شان اجتماعهم ان تتوطد بينهم اواصر الصداقة وتشد افكارهم وآراءهم الى بعضها روابط التقارب ووشائج التجاوب ، ويرى الاستاذ الناقد بايسطير ان قائمة غنائي هذا الجيل لا تحوي غير اسماء اولئك الذين بدت وبرزت شخصياتهم الادبية فيما بين سنتي 1920 — 1935 ، ثم يضيف الى ذلك بان هؤلاء الغنائيين فريقان . فريق يتالف من شعراء الاندلس (9) وهو الذي يطلق عليه اسم : (المجموعة الاندلسية) ، ومن اعلامها (10) : فرناندو فياليون 1881 — 1930 ، فدريكو كارسيا لوركا 1899 — 1936 ، رفائيل البرطي (ولد في 1902) ، فيثنطي اليكسندري ولد في 1900 ، لويس ثرنودا (ولد في 1904) اميليو برادوس (ولد في 1899) ، منويل الطولاكيري (ولد في 1904)، واما الفريق الثاني فهو الذي يتالف من شعراء اشتغلوا بالتدريس الرسمي — ثانويا وجامعيا — ومعالجة الدراسة والنقد الادبيين في مختلف اشكالهما ومتعدد انواعهما ، ويسميه بايسطير فريق : (الشعراء الاساتذة) (11) وسنتحدث عن اعلامه في الحلقة المقبلة بحول الله .

تطوان — حسن الوراكلي

---

9) تعد اشبيلية وغرناطة ومالقة في مقدمة المدن الاندلسية التي كانت مركزا للادب والشعر في حياة جيل الاحفاد .

10) سنترجم لهؤلاء نماذج من شعرهم في كتاب لنا ، نحن بصدد اعداده ، سيحمل عنوان (عنادل من الاندلس)

11) انظر : G. T. Ballester, Panorama de la literatura espanola contemporanea, T. I, p. 298

مرض الروح

قيل للشعبي :

هل تمرض الروح ؟

قال : نعم . تمرض في ظل الثقلاء .

ومر به بعضهم فوجده بين ثقيلين فقال له :

كيف الروح ؟

فقال : « في النزع الاخير ! ! » .



الكتلة الافريقية الاسيوية وعلاقتها بالقضايا العربية ـ صورة هذه العلاقة في عهدها القديم وصورتها في الاونة الراهنة على ضوء الاهتمامات التي تشغل الذهن العربي اليوم ـ التطور في علاقة العرب بالكتلة يوازيه التطور في بنية الكتلة نفسها وصلتها بالعالم ـ عوامل التماسك والانفصام الآن داخل الكتلة ، وصلة ذلك بمشال فلسطين ـ الالتزام العربي داخل الكتلة ، والالتزام الافريقي الاسيوي فيها ـ هل ادت المؤتمرات الافريقية الاسيوية المتعاقبة دورها بهذا الصدد ؟

سمع العالم كثيرا ـ منذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ـ عن الكتلة الافريقية الاسيوية ، او كما كانت تدعى احيانا الكتلة العربية الافريقية الاسيوية ، وقد كانت هذه الكتلة ـ كما يدل عليه اسمها ـ تضم عددا من الدول الاسيوية المستقلة ، وقليلا جدا من الدول الافريقية ، لان معظم دول القارة (قبل سنة 1956) كان لا يزال آنئذ غير مستقل ، هذا بالاضافة الى دول المشرق العربي ، اذ ان اقطار المغرب العربي لم تكن وقتها محرزة على مقاليد السيادة ، والكتلة هذه ما انفكت تعبر عن وجودها في ميادين دولية عدة ، بيد ان ابرز ميدان كانت تظهر فيه هذه الكتلة ذات فاعلية تذكر ، هو ميدان الامم المتحدة ، والمنظمات المتفرعة عنها ، وخصوصا المنتظم العام لهذه الهيئة ، فقد انقضى وقت طويل (منذ اوائل الخمسينات بصورة اخص) والقوة السياسية التي تتمثل في الكتلة الافريقية الاسيوية ، يقام لها اعتبار ما داخل اروقة الامم المتحدة ، حيث ان الاغلبية في التصويت داخل اللجنة السياسية لهذه المنظمة ، كانت تتأثر في عدة حالات بالموقف الذي تتخذه الكتلة في هذه المسألة او الاخرى ، وخصوصا في القضايا التي تتعلق بحركة مناواة الاستعمار ، والاتجاه العالمي الى تصفيته ، وفي ضمن هذا الاعتبار يلاحظ ان المغرب قد اقترن ذكره في بعض الظروف ، بذكر الكتلة الافريقية الاسيوية ، وذلك عند ما عرضت قضية النزاع الفرنسي المغربي على الامم المتحدة لاول مرة في شهر دجنبر سنة 1951 ، فقد احتضنت الكتلة هذه القضية احتضانا مباشرا ، وتولى المندوبون الافريقيون الاسيويون شرح وجهة النظر المغربية ، واقناع الملأ الدولي بالجوانب القانونية والاعتبارات السياسية التي تسند وجهة النظر هذه ، وتعطيها الاحقية الكاملة ، وعند ما نظرت الامم المتحدة ـ مرة اخرى ـ (شهر نونبر 1952) في نفس القضية (القضية المغربية) انفقت الكتلة جهودا ملحوظة ادت الى حمل المجتمع الدولي المتمثل في الهيئة الاممية ، على الاعتراف باختصاصه في النظر في القضية ، وبذلك حصل المغرب على نوع من الاقرار الدولي العلني بدولية قضيته وما يستلزمه ذلك من اضفاء الاعتبار عليها ، كحالة نزاع بين دولتين ، وان كانتا غير متساويتين آنئذ في درجة تمتعهما بخصائص السيادة ، وقد برز مجهود الكتلة كذلك ـ فيما يتعلق بالقضايا العربية عند ما اتجه التفكير الى عرض القضية التونسية على انظار مجلس الامن بعد التطورات العنيفة التي عرفتها تونس سنة 1952 نتيجة انقطاع اي تفاهم بين الحركة الوطنية ، وبين سلطات الحماية السابقة ، وقد اريد عرض القضية على المجلس باعتبار انها تشكل حالة تهديد للامن والاستقرار الدولي .

وبذلت الكتلة الافريقية الاسيوية جهودا واسعة لتحقيق هدف من هذا القبيل ، وعلى الرغم من فشل المساعي المبذولة بهذا الصدد ، فقد كان لهذه المحاولة بعض الفائدة تذكر ـ على الاقل من الناحية السيكولوجية ـ السياسية حيث ان القضية

التونسية اكتسبت — نتيجة لذلك كله — شهرة دولية واسعة ، واصبح وضع الحماية السابقة في تونس ، معرى على حقيقته امام الرأي العام العالمي والدولي ، وهناك عدة قضايا اخرى من هذا القبيل ، تقترن ذكرها احيانا بذكر الكتلة الافريقية الاسيوية ، وكان لهذه الكتلة في شانها مواقف دولية لها اهمية — ولو نظرية — في تلك الظروف قبل ان يعرف العالم مجمل التحولات العظيمة التي حدثت بعد سنة 1955 اي بعد انعقاد مؤتمر (باندونغ) وتطور الاوضاع السياسية في افريقيا وآسيا ومختلف انحاء العالم .

والان تلتفت حوالينا ، لنجد ان هذه التطورات قد اتت بالفعل على كثير من الاحوال التي كانت سائدة في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات اي في وقت ازدهار نشاط الكتلة الافريقية الاسيوية ، فالاهتمامات الموجودة اليوم تختلف في كثير من مناحيها عن الاهتمامات التي كانت سائدة آنئذ ، وان كان الجوهر في كل ذلك ، لم يتغير بصورة تذكر والوسائل التي كان يلجأ اليها آنئذ في خضم الصراع بين الوطنيات الافريقية والاسيوية ، وبين الانظمة الاستعمارية ، والتي كانت تعتمد في جملة ما تعتمد عليه ، رفع القضايا الشكائية الى الامم المتحدة والسعي للحصول ، مجرد الحصول على ما يلفت نظر الرأي العام الدولي الى القضية المرفوعة ، هذه الوسائل قد حلت محلها الآن ، حالات النضال العنيف المباشر وهذا بالنسبة للشعوب التي لم تستقل بعد) واحيانا اخرى حالات المقاطعة ضد اية دولة معتدية ، ومصادرة مصالحها ، واستعداء الرأي العام عليها ، والتكتل ضدها ضمن مجموعة من الاقطار التي تقف نفس الموقف من الدولة التي تعتبر معتدية (وهذا ما يحدث بالنسبة للدول الصغيرة المستقلة التي تكون ضحية اعتداء ما) في خضم هذه التحولات التي عرفها العالم خلال السنوات العشرة الماضية ، توجد البلاد العربية اليوم ، وقد احرز معظمها على مقاليد السيادة الدولية ، وتشرف الاجزاء القليلة الباقية من العالم العربي كمناطق الجنوب والخليج — على حالة نيل الاستقلال ، وقد تقدمت فكرة التضامن العربي خطوات لا بأس بها ، وحققت الدول العربية — على نسب متفاوتة — مقادير من التطور في ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها ، ولكل هذا ، فان مجمل الاهتمامات التي تسيطر على العقلية العربية اليوم ، هي — في كثير من الاحيان — اهتمامات اقتصادية وانسانية قبل كل شيء ، فالفكر العربي المعاصر ، لم تعد تعنيه حالات التصارع اللفظي داخل الامم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ، بقدر ما اصبح يعنيه الصراع ضد التخلف ، والحرص على استباق ركب التقدم والحضارة المعنوية والتقنية ، مع كل ما يقتضيه ذلك من رغبة في السلام والتعايش والتعاون ضمن نطاق عالم ايجابي خير متطور ، واذا كان هناك من مبادرات صراع يخوضها العرب احيانا في حظيرة الامم المتحدة ، كما في غيرها ، فذلك فقط في اطار الاتجاه العام الذي يجتاح العالم اليوم ، والذي يحدو الشعوب للتعاون من اجل تصفية النظام

الامبريالي ورواسبه في مختلف القارات والجزر ، والحركة العالمية هذه ، المناوئة للاستعمار لا تعتمد في ستراتيجيتها السياسية والعملية على مجرد الاسلحة والعمليات المسلحة ، بل اننا اذا استثنينا حالة الصراع الذي ينشب داخل قطر معين ، والذي يستعمل فيه السلاح من اجل الحصول على استقلال او وحدة ، او مساواة او تخطيط حدود او ما الى ذلك ، اذا استثنينا حالات الصراع من هذا القبيل ، فاننا نجد ان الحركة العالمية المناوئة للامبريالية في شكليها القديم والجديد ، تكاد تستبعد جانب القوة المسلحة من عملياتها النضالية ، وهي تعتمد عوض ذلك على وسائل الكفاح السياسي على نطاق عالمي ، بكل ما يدخل في ذلك من الاعتماد على وسيلة التكتل الفكري والسياسي ضد الاوضاع التوسعية ، وما بقي من مخلفاتها في العالم ، والعرب — باعتبارهم جزءا من العالم الثالث — المعني قبل كل شيء بمحاربة التخلف ، وتصفية الامبريالية عن طريق العمل الدولي المتضامن — ان العرب — وهم بهذه المثابة — لم يكن لهم ليعنوا بالتسلح والرضاء بالعيش في حالة ترقب للحرب لو لم يكن هناك المشكل المزمن الذي يتمثل في وجود اسرائيل ، وما يفرضه هذا الوجود من احوال مأساوية سواء على الصعيد المادي او البشري وما في نوع ذلك ، ان الوجود الاسرائيلي هذا يكاد يشكل اليوم المعضلة القومية الرئيسية التي تواجه العرب وتضع عليهم جملة من الاختيارات التي لم يكن لهم ليلتزموا بها لولا وجود هذه المعضلة بالذات ، ونتيجة لهذا فالعرب يجدون انفسهم فعلا داخل دوامة من الصراع يقوم في مرحلته الراهنة على حالة من الحرب الباردة ، لا يكاد يعرف لها اول من آخر ، وتمتد هذه الحرب الباردة على عدة واجهات ، منها ما يقوم في عين المكان اي داخل الاطار المحلي للشرق الاوسط ، والعالم العربي ، ومنها ما هو اوسع مجالا من ذلك اذ يمتد على مستوى عالمي ينتظم مختلف المناطق الدولية المهمة ، كمنطقة غربي اوربا ، والولايات المتحدة ، وكندا ، وكانت هذه هي المناطق التقليدية للصراع ، ولكن اضيفت اليها منذ اواسط الخمسينات مناطق عالمية جديدة كمنطقة افريقيا جنوب الصحراء ومنطقة آسيا الوسطى وجنوب شرقي آسيا علاوة على منطقة اخرى ذات اهمية كبيرة هي منطقة الامريكتين الوسطى والجنوبية كل هذا بالاضافة الى الجزر والارخبيلات المختلفة سواء منها المستقل او شبه المستقل ، واذا اورد المرء هنا لفظة الصراع فلا يعني ذلك بالضرورة ان العرب والاسرائيليين متكافئون فعلا في هذا الميدان سواء من حيث الممكنات الموفورة والوسائل المستعملة والمساندات المضمونة والنتائج المحصل عليها فالفارق كبير بين الجانبين ، وليس من حاجة للتحدث عنه ، لانه واضح وملموس على جميع المستويات في مختلف انحاء العالم ، وخاصة في اقطار اوربا ونصف الكرة الغربي ، ان الصراع بين العرب واسرائيل ليس صراعا بين عدة دول ودولة صغيرة معزولة في منطقة كلها معادية ، بل ان الصراع يقوم فعلا بين العرب وكثير من اوساط المال والاعمال والتوجيه في العالم الغربي ، وهذه بديهية لا اخال

ايضا ان هناك من هو في حاجة لارشاده اليه من رجال الثقافة والصداقة والسياسة سواء في داخل اقطار العالم الثالث او خارجه.

* * *

اين الكتلة الاسيوية الافريقية من كل هذا ؟ وما هي طبيعة الموقف الذي تتخذه في هذا المضمار ؟ وما هي الاعتبارات الفلسفية والعملية التي يقوم عليها هذا الموقف ؟ والنتائج التي يجب ان يؤدي اليها على ضوء الواقع الدولي الراهن ؟

لكن التساؤل هكذا عن موقف الكتلة الافريقية الاسيوية من المعضلة التي يواجهها العرب في فلسطين يقتضي قبل كل شيء التساؤل عن وضعية هذه الكتلة نفسها في الوقت الحاضر ، وما ذا آل اليه امرها على الصعيد الدولي والاقليمي ، ثم ما هي طبيعة الاوضاع التنظيمية والتوجيهية التي تسودها حاليا ، وصلة ذلك بسياستها العامة ، وما يمكن نظريا ان تقوم به في موضوع المشكلة الفلسطينية القائمة ؟ .

لقد احيا الاسيويون والافريقيون في اندونيسيا منذ اسابيع ذكر المؤتمر التاريخي المعروف بمؤتمر (باندونغ) وعقد الافريقيون والاسيويون في « اكرا » (اوائل مايو) مؤتمرا آخر على غرار المؤتمر الذي اجتمع من قبل في احدى مدن تانجانيقا ، بافريقيا الشرقية ، (وكان من المقرر ان يعقد الافريقيون الاسيويون مؤتمرا جديدا بعاصمة الجزائر خلال شهر يونيه من السنة الحالية تناط به اهمية بالغة جدا وتتبلور في حظيرته افكار جديدة ،ويتم التقابل بين وجهات نظر عديدة، وغنية في مختلف الشؤون والقضايا التي تمس هذه المرحلة المهمة من تطور العالم وتطور العالم الثالث ، بوجه اخص ،) فهل الكتلة الافريقية الاسيوية التي دافعت عن استقلال المغرب وتونس سنة 1951 و 1952 هي التي تتولى عمليا الاشراف على هذه المؤتمرات ، وتوجيهها من ناحية تنظيمية وعقائدية ؟ وهل استطاعت الكتلة هذه ، ان تطاول عوامل الزمان ، وتعاصر جميع هذه التحولات التي عاشها العالم خلال السنوات العشرة الماضية مؤثرة فيها ومتأثرة بها الى المعنى الذي هو عليه الامر الآن ؟ الواقع ان الاكتفاء بالرد على هذا السؤال بمجرد النفي او الاثبات لا يبدو كافيا لتوضيح النقطة المطروحة ، فليس صحيحا في الحقيقة ان يذهب المرء الى القول بان الكتلة العربية الاسيوية الافريقية التي كنا نعهدها من قبل لم يعد لها وجود ما ، كما ليس صحيحا كذلك ان يقال ان هذه الكتلة هي التي لا تزال تحقق وجودها مشرفة على قضايا التحرر والتنمية والتعاون في الاقطار الافريقية الاسيوية في الوقت الراهن ، كما كانت تتولى مؤازرة الوطنيات المحلية داخل هذه الاقطار في اوقات خلت ، ولتكوين رأي حول هذه النقطة يجب التساؤل اولا عن ماهية الكتلة الافريقية الاسيوية القديمة وطبيعة تكوينها ومعالم شخصيتها الدولية والمعطيات الدستورية التي كانت تنظم هذه الكتلة وتحفظ لها طريقا معينا للعمل ؟ لقد كانت الكتلة هذه، تضم مجموعة من الدول التي كانت مستقلة اذ ذاك في القارتين افريقيا وآسيا ، وكانت تحدو هذه الدول رغبة مشتركة ـ ولكنها متفاوتة ـ في التعاون من اجل مناصرة الحركات الوطنية الافريقية الاسيوية واشياء من هذا القبيل ، ولكن الكتلة ـ مع ذلك ـ لم تكن عبارة عن تحالف حقيقي بين دول ملتزمة ومقيدة بما يطوقها من التزام كما ان اهتمام الكتلة تلك ، لم يكن شاملا لكل ما يعني الدول المنتسبة اليها من شؤون اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وغيرها ، بل ان الميدان البارز الذي كان يظهر فيه نشاط الكتلة بصورة تلفت النظر كان هو الامم المتحدة وفروعها المختلفة ، ولم تكن هناك خطة نظرية وعملية طويلة الاجل ، كما لم يكن هناك استعداد حقيقي وواسع لتحمل المسؤوليات الدولية المشتركة ، ومواجهة المشاكل التي تعترض سبيلا من هذا النوع بصورة مستمرة ، ان الكتلة في عهدها القديم ـ كانت ـ على الرغم من بعض المظاهر ـ عبارة عن تحالف عفوي ضيق جدا تفرضه بعض الاعتبارات السياسية والعاطفية ولم تكن له فاعلية حقيقية وشاملة تجعل منه تحالفا او تكتلا بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولهذا فان اطلاق عبارة الكتلة آنذاك على مجموعة الدول الافريقية الاسيوية المتعاونة فيما بينها بعض التعاون في داخل الامم المتحدة ، كان اطلاقا تجوزيا ، ويراد به مفهوم بسيط للكلمة ، لا المفهوم المعقد الواسع الذي نعهده في احوال اخرى كثيرة .

فهل يعني هذا ان الكتلة الافريقية الاسيوية ، قد اصبحت في الوقت الراهن مجرد ذكرى من ذكريات التاريخ الذي عشناه في الامس القريب ؟ طبعا لا ـ فلا يزال هناك تكتل افريقي اسيوي ، اتسع نطاقه ، وتعمق مدلوله ، الى الحد الذي عليه الان وهذا التكتل الذي نلمس مظهره الان بارزا في المؤتمرات الافريقية الاسيوية وفي المنظمات والوكالات والاتحادات ذات الصبغة التعاونية الافريقية الاسيوية ، وفي البرامج والخطط والافكار المشتركة التي يأخذها الافريقيون الاسيويون في ميادين عدة سياسية وثقافية ، واقتصادية وغيرها ، كل هذه المظاهر من التكتل الحالي هي ـ بطبيعة الحال ـ امتداد للتكتل البسيط السابق الذي جمع بين عدد من دول افريقيا وآسيا في خلال الخمسينات ، قبل انعقاد مؤتمر « باندونغ 1955 » لكن بين حالة التكتل في شكله القديم ، وحالته في صورته الحاضرة ، تبدو للملاحظ فروق كبيرة من الطبيعي ان تكون موجودة ، نظرا لسرعة التطور في الافكار والاوضاع ، الذي عرفه العالم خلال العقد الحالي ، والذي قبله ، ان الفروق الموجودة تتناول حالة التكتل الافريقي الاسيوي بين القديم والحديث ، سواء من الناحية العددية او التنظيمية او الفكرية او غيرها ، وسواء ايضا باعتبار الظروف الدولية المحيطة والاهداف المتوخاة ، والوسائل المتبعة والنتائج المحصل عليها ، وكل هذا لم يحدث الا بعد سلسلة من التطورات التي تناولت وجه الحياة السياسية

العامة في القارتين ، ومست بالتالي طبيعة الصلاة الانسانية في داخلهما ، والعلاقة بينهما وبين بقية العالم ، ومن ضمن هـــذه التطـــورات :

1) انعقاد مؤتمر باندونغ ، وعلى الرغم من ان هذا المؤتمر لم يسفر الا عن نتائج نظرية في الغالـب ، ولم يؤد ـ بسبب ذلك ـ الى تكوين نظام دولي عملي للتعاون بين اقطار آسيا وافريقيا ، فانه كان ـ مع ذلك خطوة مهمة في طريـق تجميع القوى الفكرية والسياسية في القارتين ، واعطاء هذه القوى مجالا للتفاعل والتبلور ظهرت نتائجه فيما بعد .

2) اشتداد ساعد الحركات الثورية الوطنية في آسيـا وافريقيا ، واتجاهها في استبدال اسلوب الكفاح السياسي المسالم بالتكتيك الحربي المنظم ، سواء على النحو الذي يقتضي المواجهة او على شكل حرب العصابات ، وقد كان من شأن هذا التحول في التكتيك النضالي ان ساهم في الاسراع بتصفية الاستعمار بعد ان خلقت الحرب العالمية ظروف هذه التصفية من ناحية مبدئية .

3) دخول افريقيا السوداء في الميدان الدولي المستقل والتقاء آسيا وافريقيا بصورة واسعة في ميدان العمل التعاوني من اجل التنمية ، وضمان عدم التبعية ، ومن المعلوم ان القارة كانت واقعة كلها تقريبا تحت التبعية الى حدود سنة 1955 .

4) الثورة الصينية ، ونشوء نظام في البر الصيني ذي عقلية ثورية راديكالية ، الامر الذي ادى الى خلق مجموعة من الاحوال الجديدة في الشرق الاقصى ، وجنوب شرقي آسيا ، ولا تزال مؤثراته ذات الاجل البعيد لم تتم بعد ، ومن المنتظر ان تكون لها اهمية قصوى في علاقة العالم الثالث بغيره من القطاعات الدولية الاخرى في خلال العقود المقبلة .

5) انبعاث العالم العربي بعد « النكبة » في فلسطين ، واتجاه العرب الى تحقيق اتصالات عميقة ومجدية مع بقية العالم الثالث ، ومساهمتهم العملية في خلق محور للالتقاء بين آسيـا وافريقيا وبلورة نتائج هذا الالتقاء فيما يشاهد الان من تطورات في مضمار التعاون الدولي ، والتفاهـم السياسـي بين اقطـار القارتيـن .

6) دخول الجزء الجنوبي من نصف الكرة الغربـي (امريكا الوسطى والجنوبية) في اعتبارات الثورة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي يخوضها العالم الثالث ، ونمو الصلات هكذا (ولو جزئيا وبصورة محدودة جدا الان) بين الاقطـار الافريقية الاسيوية من جانب ، وبلدان جنوبي امريكا من جانب آخر ، وقد تقلصت هذه الصلات بعض الشيء ، في خلال الفترة الاخيرة ، بعد ان عرفت من قبل بداية توسع لا بأس به ، الا ان اتجاه الرغبة العالمية الى التضامن من اجـل مكافحة التخلـف ، وتبادل المؤازرة بهذا الصدد بين الاقطار التي يعنيها الامر ، سواء تحت اشراف الامم المتحدة او خارجهـا . كل ذلـك من شأنه ان يقود المتخلفين وشبه المتخلفين الى تحقيـق قاعـدة دولية ، لتبادل المنافع والخبرات في هذا السبيل لا يلزم منـه التكتل ـ حتميا ـ ضد جهة او اخرى من الجهات الدولية الاخرى ، المعتبرة متقدمة او في حكم المتقدمة .

7) قيام قواعد فكرية مهمة يرتكـز عليهـا الموقف الافريقي الاسيوي الجديد في العالم وتستمد منها القارتان بعضا من ديناميكية الصمود العقائدي اللذان يواجهان به معركة المواقف المتصادمة في الشرق والغرب ، ومن بين الافكار التي تقوم عليها هذه القواعد فكرة الحياد داخل اطار التعـاون الايجابـي بين الدول ، والفكرة القائلـة بضرورة التكافـل الدولي من اجـل التخفيف من الفوارق الاقتصادية والاجتماعية القائمة بين قطاع الدول المتخلفـة والقطاع الاخرى ، الذي يضم مجموعـة الدول المتقدمـــة .

* * *

هل ساهمت كل هذه التطورات ـ حقا ـ في دعم الكتلة الافريقية الاسيوية ، وجعلت منها تكتلا دوليا حقيقيا يتميـز بتماسكه ومتانته ؟ ام ان الامر لم يصل الى هذه الدرجة نفسها ؟

لقد استعرضنا ـ قبل ـ بعض التطورات التي كانت نتيجة لتغير الجو الدولي التي كانت تعمل فيه الكتلة خلال العقد الاخير ، غير ان الملاحظ ، هو ان التطورات التي وقعت لم تكن كلهـا لصالح قضية التماسك والتناسق بين مجموعة الدول الافريقيـة الاسيوية التي تضخم عددها جدا بسبب الاستقلالات التي نشأت خلال السنوات الاخيرة ، فلقد قامت اوضاع دولية اخرى غير التي اشرنا اليها من قبل ادى بعضها الى الاختزال من شدة التماسك الذي كان موجودا من قبل ، بل ان البعض منها قد ساعد على نشوب حالات من الصراع العنيف احيانا بين دولة واخرى من دول الكتلة الافريقية الاسيوية ، ونذكر تمثيلا لذلك ـ بعض التطورات البارزة من هذا القبيل :

1) دخول بعض الدول الاسيوية في حظيرة الاحلاف الدولية الكبرى (المتعلقة بالصراع بين الشرق والغرب .

2) تمسك بعض دول الشرق الاقصى بسياسات خاصة مستقلة احيانا عن جميع المؤثرات الدولية المألوفة ، الامر الذي نشأ عنه نوع من الخلاف الشديد بين بعض الدول الاسيوية ، واثار حالة ما من الارتباك الديبلوماسـي بين عـدد من الدول الافريقيـــة .

3) وقوع خلافات حادة بين دول اسيوية مهمة كالخلاف الهندي الصيني ، وبين دول افريقية كثيرة كالخلاف بين غانا وجاراتها او الحبشة مع الصومال ، وكذا بين دول افريقيـــة

واسيوية كالنزاع القائم بين العربية المتحدة وايران هذا الى تشعب الخلافات القديمة كالصراع على كاشمير وجامو بين الهند والباكستان ، وحالات اخرى من هذا النوع ، على ان هناك حالة اهم من كل هذا ، لها دلالتها على ازدياد عدم التماسك بين اعضاء الكتلة الافريقية الاسيوية ، وتضاؤل حظوظ التضامن والتعاون بين الافريقيين ــ الاسيويين ، والحالة هذه تظهر في موقف اغلبية اقطار القارتين من اسرائيل هذا الموقف الذي لا يعكس حالة شعور بخطورة وجود الوضع الحالي في فلسطين ــ على الرغم من ان وضعا كهذا يهدد استقرار ونمو قطاع هام من قطاعات العالم الافريقي ــ الاسيوي ، ويمثل تسربا خارجيا الى قلب القارتين ، ونقطة اتصال بينهما وهي فلسطين ، ومن معاد القول ان ينص المرء على خطورة التمركز الاجنبي في نقطة ستراتيجية كهذه ، وما يحمله ذلك من احتمالات لا حد لها .

وتظهر غرابة المتناقضات التي يمكن ملاحظتها بهذا الصدد عند مقارنة اوجه الاتفاق المبدئي بين الدول الافريقية الاسيوية من بعض القضايا كموضوع الاستعمار وبين موقف هذه الدول نفسها من اسرائيل والنشاط الصهيوني العالمي في دنيا العرب ، اي في جزء مشترك بين القارتين الافريقية الاسيوية ، فهناك على الرغم من الخلافات الموجودة ــ كثير من اوجه الاتفاق في وجهات النظر ، بل والتعاون احيانا ضمن اتفاق مبدئي من هذا القبيل ، ومن ابرز نقط الاتفاق هذه :

1) التضامن ضد الفكرة العنصرية في العالم .

2) التعاون على تصفية الامبريالية في شكليها القديم والجديد .

3) التضافر على تحقيق تنمية مشتركة وبعث حضاري شامل .

4) التكاتف على ضمان حالة من الامن المتبادل والمساهمة ــ لذلك ــ في الحفاظ على استمرار السلام العالمي وتنمية عوامله .

5) العمل على تحقيق وضعية عالمية يصبح فيها لمبادىء المساواة والتكافل والتحرر من العقد ، مدلول صحيح وعملي .

ولسنا هنا بصدد استيعاب معطيات الدستور العقائدي الذي يمكن ان يقوم عليه عمل ايجابي دولي لاقطار العالم الثالث ، غير اننا عنينا هنا بابراز بعض النماذج فقط ، وهذه النماذج قد اصبح لبعضها بالفعل شان كبير في توجيه سياسة الدول الافريقية الاسيوية ، وتحديد موقفها السياسي والفكري ببقية انحاء العالم ، وقد كان من نتائج ذلك ان كثيرا من دول افريقيا وآسيا اصبحت سياستها الدولية تكاد تنطبع في بعض المجالات ــ بطابع خاص ومشترك ناشىء عن الاهتمامات التي تغلب عليها ، وتكاد تنفرد بها عن الدول الاخرى التي لا تشغلها هذه الاهتمامات الا بقدر محدود جدا ، ومن هذه الاهتمامات : الوضع في الاقطار الافريقية التي لا تزال غير مستقلة ــ وضعية السكان الافريقيين في اتحاد جنوب افريقيا ــ الاحوال المعقدة في الكونغو ليوبولدفيل ــ القضايا المتشعبة في الشرق الاقصى ، والخلافات الدولية التي تستحكم بالمنطقة ــ مشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي وما يترتب على الامم المتحدة وغيرها ، القيام به في هذا المضمار ــ اقامة انظمة اكثر مساواة بين الاعضاء في الامم المتحدة مع اعتبار الظروف العالمية الجديدة ، وما تفرضه من تعديلات على الميثاق والنظم المعمول بها داخل الهيئة ــ المشاكل التي تعترض المنظمات التوحيدية كمنظمة الوحدة الافريقية وغيرها .

هناك عدد من الاهتمامات من هذا القبيل تنفعل بال الاقطار الافريقية الاسيوية ، ويتركز حولها جزء مهم من النشاط الدولي لهذه الاقطار ، ولا يجادل امرؤ في منطقية هذه الاهتمامات وحيويتها بالنسبة لحاضر القارتين ومستقبلهما ، وكذا حاضر ومستقبل المناطق العالمية المقاربة لهما في بعض القضايا والمشاكل ، كالجزء الجنوبي والاوسط من القارة الامريكية والجزر والارخبيلات المنتشرة عبر العالم ، غير ان الذي يلاحظ بهذا الشأن ان القضية الفلسطينية وهي ــ كما ذكر ــ ذات اتصال مباشر بجزء هام من افريقيا وآسيا ، ويرتبط وجودها بسلامة ومصير كثير من المبادىء والعقائد التي تاخذ بها الدول الافريقية ــ الاسيوية ــ هذه القضية مضى عليها كثير من الوقت ، واصبحت مزمنة لمدى نحو سبعة عشر عاما ، اي اكثر ازمانا من كثير من المشاكل الاخرى التي تقض مضجع القارتين ، ومع ذلك ، ففي خلال الفترة المديدة هذه ــ طوال السبعة عشر حولا الماضية على نشوب هذه المعضلة ــ فانها اي المعضلة لم تستطع ان تستحوذ على اهتمام الاقطار الافريقية الاسيوية الا بقدر محدود جدا ، وعلى نحو لا يعكس وجود فهم حقيقي للمشكلة ، بل يدل على ان النظر اليها لا يتعدى حدود بعض الاعتبارات الجانبية التي لا تحل عقدة ، ولا تطرد داء ، لما ذا هذه الظاهرة؟ ما موجبها ؟ وهل تتحكم فيها حتميات سياسية وعقائدية لا مرد لها ؟ واذا كانت هناك حتميات فما هي ؟ وهل تتعلق بمصالح الدول الافريقية ــ الاسيوية في العرب ، وخشية هذه الدول من حدوث مشاكل اقتصادية او سياسية لها بسبب تورطها في موازرة الحق العربي في فلسطين ؟ إم ان المنافع الاقتصادية والفنية التي يمكن جنيها من اسرائيل هي ذات التاثير الحقيقي في هذا الباب ؟ واذا كان الامر كذلك ــ ونفترض انه غير ذلك ــ فلماذا لم تحل الحتميات والمنافع والحذر السياسي وغير ذلك ، لما ذا لم يحل كل هذا بين العرب مشرقا ومغربا وبين ان يتخذوا موقفا حاسما صارما من مسألة الميز في جنوب افريقيا ، وقضايا التحرر القومي في روديسيا والمستعمرات البرتغالية ، هذا الى قضية الامن والاستقرار بالكونغو والاقطار الاخرى التي في مثل وضعيته ؟ .

* * *

لا تصف العرب هنا ببطولة ، وغيرهم بعكس ذلك ، فالامر هنا ليس امر بطولة او تظاهر بالبطولة وانما هو امر الامن والاستقرار والتنمية في افريقيا وآسيا ، وبقية ربوع العالم الثالث ، وكل ذلك يشكل قضية لا تتجزأ ، سواء أكان الامر متعلقا بفلسطين ، او بأنكولا ، والموزامبيق ، او بقضية الحقوق المدنية في مجتمعات الميز العنصري ، او بغير ذلك ، وكل ما نتصوره كتعليل ممكن لهذه الحالة ، هو — وربما — تقصير العرب في التعريف بحقيقة القضية : القائمة في فلسطين ، والمشاكل المادية والاخلاقية المترتبة عنها ، والصلة العميقة التي توجد بين مصير هذه القضية ، وبين معظم المبادئ والقيم التي ياخذ بها العالم الثالث ، ويريد ان يتخذها اساسا لانبعاثه ، ولبنة في بناء الطور الجديد من الحضارة الانسانية ، ومما يؤكد هذه الامكانية ، ان العالم الافريقي الاسيوي قد اخذ يبدو — في الفترة الاخيرة — اكثر عناية بالقضية الفلسطينية ، واقرب الى تفهم الوضعية الناشئة عن قيام اسرائيل ، واستمرار وجود هذه الدولة بمنطقة الشرق الاوسط فهل يعود هذا القدر من التفهم الى حالة التقارب التي توثقت بين العرب وبقية العالم الثالث والمعلومات المتبادلة بين هؤلاء واولئك نتيجة لذلك ، ام ان الامر يعود لمجرد تفتح عقلي تلقائي اتيح لدول القارتين ضمن حركة التطور الذي حدث على صعيد الفكر السياسي في كل منهما ؟ .

مهما يكن فقد عرفت السنتان الاخيرتان ، وتعرف هذه السنة تحولا مهما في هذا الباب ، وان كان هذا التحول لم يسفر بعد عن ثمرات عملية ، فعلى الرغم من الجهد الذي تبذله الديبلوماسية الاسرائيلية لابقاء اغلبية بلدان آسيا وافريقيا غير العربية ، مرتبطة بها اقتصاديا وثقافيا وربما عاطفيا ايضا ، فان هذه الاقطار قد بدات تدرك — خلال السنتين الاخيرتين — اهمية التعقيد الذي يمثله وجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، ثم ما قد يسببه الغلو في الترابط مع هذه الدولة من ملابسات سياسية ونفسية غير ملائمة ، في مضمار العلاقات مع العالم العربي ، وقد ظهرت بعض مظاهر هذا التحول في غضون المؤتمر الافريقي الاسيوي الذي انعقد كما تقدم — في « موشي » بتانجانيقا (افريقيا الشرقية) خلال شهر يبراير 1963 ، فقد طردت اسرائيل من حظيرة المؤتمر ، بعد ان حاولت التسلل اليه بالوسائل العادية وغير العادية ، ثم تعرضت الدولة الصهيونية في بعض مقررات المؤتمر النهائية الى ادانة صريحة ، حيث وصفت هذه الدولة بكونها قاعدة استعمارية ، ومركز تهديد للامن والاستقرار ، بل اشير حتى الى ضرورة العمل على مواجهة النشاط الصهيوني بالقارتين ، والمطالبة بالتراجع عن المعاهدات والارتباطات التي توجد بين اسرائيل والدول الافريقية — الاسيوية التي تتعامل معها ، ورغم ان المؤتمر في امانه لم يكن يمثل سلطات دولية ، لها صلاحيات تنفيذية كاملة ، فان اسرائيل لم يكن لها لتتغاضى عن اهمية هذه الخطوة السياسية والسيكولوجية التي اتخذت ضدها في حظيرته ، وحل مؤتمر دول عدم الانحياز الذي اجتمع بالقاهرة خلال السنة الماضية ، وهو يضم الى جانب وحدات الكتلة الافريقية الاسيوية دولة اوربية هي يوغوسلافيا ، وبعثت اليه بعض دول امريكا الجنوبية ، بمندوبين ملاحظين ، لقد تعرض المؤتمر لحملة نفسية من اسرائيل بوسائلها الدعائية المعهودة غير ان ذلك يفوت عليه ان يشير في مقرراته الى المشكلة الفلسطينية ، التي تمس فعلا بوضعية الشرق العربي الحيادية ، وبمستقبل السلام في ربوعه ، واستقبلت غانا من جهتها — في خلال الاسابيع الاخيرة — مؤتمرا جديدا للتضامن الافريقي — الاسيوي ، والظروف التي عقد فيها المؤتمر ، ثم المكان الذي اختير لانعقاده ، كل ذلك يوحي بان المشكلة العنصرية بافريقيا كان من شأنها ان تاخذ بالقسط الاوفر من اهتمامه ، لكن ذلك لم يصد المندوبين ان يصادقوا على قرار ادانة اسرائيل الذي اصبح هكذا قرارا تقليديا ومالوفا في حظيرة المؤتمرات الافريقية — الاسيوية ، ومن غير شك .

★ ★ ★

ما ذا يعني كل هذا بالنسبة للعالم العربي ، وبالنسبة ايضا لفكرة التضامن العربي الاسيوي الافريقي ضد الامبريالية وذيولها ، وصورها الظاهرة والمتخفية عبر انحاء العالم ؟ ليس في المستطاع انكار اهمية الادانات العلنية ضد اسرائيل من الناحية السياسية والنفسية ، لكن هذه الادانات يكاد يفقدها قيمتها الرادعة ، وما يتوافر لاسرائيل لدى بعض الدول الكبرى والاقطار المتأثرة بها من عوامل المساندة العلمية ، سواء في المجال السياسي او الاقتصادي او غيره ، وهذه الناحية الاخيرة ، الناحية الاقتصادية هي اهم ما تحرص عليه اسرائيل بينما الواقع ان اقتصادها اقتصاد مشوه لا يمكن الاطمئنان اليه كثيرا ، ويتوقع منه ان يصبح في المستقبل جسر عبور لاستمرار الاحتكارات الغربية في فرض سياستها التخطيطية والاتجاهية على اقتصاديات الدول النامية في افريقيا وآسيا ، هذا علاوة على ما يمكن ان يحدثه ذلك من آثار سيئة على الاتجاهات الرامية الى تنسيق النهضات الاقتصادية بين العرب والافريقيين والاسيويين ، ضمن الحركة الهادفة الى الاسراع بتحقيق التطور الذاتي لهذه المناطق ، وتخليصها بذلك من البقاء خاضعة لمقتضيات الرقابة الاقتصادية الاجنبية ، هذا علاوة على ان مثل هذا التأثير السلبي الذي يخشى ان تحدثه اسرائيل على خطوط التطور الاقتصادي المتناسق في القارتين ، يمكن ان يحدث في نفس الوقت ، ارتباكات سياسية في جو العلائق بين العرب والدول الافريقية — الاسيوية الاخرى ، فاسرائيل تلم بحقيقة جوهرية وبسيطة ، وهي ان خطوط فرض الصلح بالقوة على العرب ، لم تعد ممكنة لها ، كما كان يبدو منذ خمسة عشر عاما ، ولذلك تامل ان توسع من

دائرة صراعها السياسي مع العرب ، وتنقل المعركة القائمة معهم في هذا النطاق الى العالم الافريقي الاسيوي ان امكن والاقطار العربية بدورها لا مناص لها من مواجهة التحدي الاسرائيلي في هذا الميدان ، كما في غيره من الميادين الجديدة التي عليهـــا النزاع العربي الاسرائيلي المتشعب .

اما الفكرة البسيطة التي يمكن ان نستخلصها من كل هذا فهي انه خير لتطور العلاقات الايجابية داخل القارتين ، ان يقع الابتعاد ما امكن عن جو هذا الصراع الذي فرضته الصهيونيـــة العالمية على العرب ، والذي تحققه اسرائيـل ـ كما تقـدم ـ لافتتاح مناطق جديدة له في افريقيا وآسيا ، مما يخلـق عقـدا نفسية في جو العلاقات داخل القارتين وربما اوضاعا دولية غير مرغوب فيها ، وليس للجميع اليها من حاجة .

يبقى بعد هذا موضوع للتساؤل عما يمكن ان يسهم بـه العالم الافريقي الاسيوي ـ عمليا ـ في تحقيق مقتضى التوصيات المقررة داخل المؤتمرات الاسيوية الافريقية المتعاقبة خـلال السنوات الاخيرة ، اي ما توجبه هذه التوصيات من مكافحـة للتسرب الصهيوني ، وادانـة لاسرائيل بصفتهـا رأس جسر لاستمرار سياسة الاستعمار الجديد في القارتين ، ان تقدير ذلـك موكول لدول الكتلة الافريقية الاسيوية نفسها ، ولا نخـال ان وعيها العميق بالقضايا الكبيرة التي تتحكم في تقرير مصايـر الامور بالعالم اليوم ، لانخال ان ذلك الا مساعدا لها على القيام بدورها كاملا في هذا السبيل .

سلا : المهـدي البرجالي

« ارجع الى قومك ، فاخبرهم بانك لم تغضبني »

جاء في سفينة الراغب : ان رجلا بايع آخر على ان يغضب الأحنف، فجاءه ، فخطب اليه امه ، فقال له الاحنف :

« لسنا نردك انتقاصا بحسبك ، ولا قلة رغبة في مصاهرتك ، ولكنهـا امرأة ، قد علا سنها ، وانت تحتاج الى امراة ولود ودود ، تاخذ من خلقك ، وتستمد من ادبك ، ارجع الى قومك ، فاخبرهم بانك لم تغضبني ! ! »

المسألة الشرقية
في خلال الربع الاخير من القرن الماضي

للاستاذ عبد الحق بنيس

بعد العلامة المؤرخ « بيبيررونفن » من الباحثين الافذاذ في العلوم الاجتماعية والسياسية ، ومن العلماء الذين امتازوا بالنزاهة في اصدار الاحكام ، وبعدم التحيز والتعصب للحقائق العلمية .

ولهذه الخصال ، فقد عهد اليه بالاشراف على نشر سلسلة لتاريخ العلاقات الدولية ..

ويقدم لنا اليوم صديقنا الاستاذ عبد الحق بنيس برا بالوعد الذي كان قد ضربه لقراء مجلة « دعوة الحق » فصلا آخر مترجما من كتاب «اوج اوربا» الذي يشكل الجزء السادس من هذه السلسلة التاريخية الهامة .

ابتداء من سنة 1875 استيقظت المسألة الشرقية من رقادها ، وظهورها في هذا التاريخ لم يكن ولا شك بالامر الغريب . فمنذ بداية القرن التاسع عشر وامام ما حصل من تقدم هنا وهناك ، في الحركات القومية ، صارت السيطرة العثمانية على جزيرة البلقان تضعف يوما بعد يوم . ذلك ان الاقتطاع الجزئي الذي رسمت معالمه نتيجة لانشاء امارتي صربيا والمونتينيكرو ، ومملكة اليونان ، وامارة رومانيا «1» لم يتم دون ان يزيد في خطورة المصاعب بالنسبة للمناطق التي ظلت خاضعة للسيادة العثمانية والتي كانت آهلة بعناصر صربية وبلغارية ويونانية ورومانية ولذلك اضحت هذه الامارات وتلك المملكة بمثابة مركز انجذاب لهؤلاء السكان . وكان البلغاريون دون سواهم من مسيحيي الدولة العثمانية ، هم الذين لا يجدون في الخارج اسرة مستقلة او شبه مستقلة يتوجهون بانظارهم اليها ، فضلا عن ان « يقظتهم » القومية اتت متاخرة جدا عن باقي يقظات السكان المسيحيين الآخرين . بيد ان هؤلاء البلغار استطاعوا بمساعدة الروس ان يحصلوا اعتبارا من ابريل 1870 ، من السلطان على نظام ديني جديد ، فبدلا من تبعيتهم للاسقف الارثوذكسي بالقسطنطينية ، وهو يوناني ، اصبح لهم الآن كنيسة مستقلة على راسها اسقف بلغاري . وكانت هذه الكنيسة عاملا مساعدا على ترعرع العاطفة القومية في هذه البلاد .

ان هذا الاستياء من الدولة العثمانية ، هذا الاستياء المزمن فسح المجال لظهور حركة عصيانية كبرى في سنة 1875 ، ابتدات من البوسنة والهرسك وامتدت بعد اشهر عدة الى بلغاريا . فكيف نعلل هذه الحادثة ؟ بالنسبة للبوسنة والهرسك حيث اغلبية السكان تتكلم الصربية وتدين بالارثودكسية ، بينما النبلاء المحليون يعتنقون الاسلام للمحافظة على امتيازاتهم ، يبدو ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية هي التي لعبت الدور الحاسم ، ذلك ان عموم الفلاحين، وخاصة المشتغلين في اراضي الاسياد ، كانوا قد رفعوا عقيرتهم بالشكوى من الفداحة المتزايدة للواجبات التي يطالب بها هؤلاء الاسياد ، ناهيكم عن الزيادة الجديدة في الاعباء الجبائية . وفي سنة 1875 انضاف الى بؤسهم هذا محصول فلاحي رديء .

---

1 ـ انظر الجزء الخامس ص 25 و 107 و 319 ـ المؤلف .

وفي المدن رأى الصناع التقليديون كاصحاب الاحذية وحائكي الثياب ان وضعيتهم تؤول الى الخراب ، ولا سيما بعد ان الفني النظام الحرفي في سنة 1851 وتكاثرت البضائع التي كانت تردمن الخارج لتزاحم الصناعة المحلية . ومما لاشك فيه ان رجال الدين الارثودوكسيين الادنيين قد استغلوا هذا التذمر الا ان العامل الديني هنا لم يلعب سوى دور ثانوي باعتبار ان السكان الارثوذوكسيين كانوا يعيشون بجانب طوائف كاثوليكية كان يوجد على رأسها اناس لا يعطفون على الحركة الوطنية ، اما اليهود فكانوا يساندون السلطة العثمانية . واهم من ذلك ما لعبته حكومة صربيا من دور حاسم في الحركة ، ففي سنة 1867 فكر امير صربيا ميخائيل اوبرينوفيتش في تكوين اتحاد فيديرالي في البلقان ، مضاد لتركيا . وكان في مشروعه هذا يعتمد على عون مملكة اليونان وامارة رومانيا . واذا كان هذا المشروع لم يتحقق الا ان البوسنة والهرسك كانت مركزا دعائيا للحركة القومية الصربية 1873 هدفت هذه الدعاية ــ كما لاحظ ديبلوماسي نمساوي ــ الى جعل صربيا تلعب في جزيرة البلقان ما لعبته البييمونت في ايطاليا.

اما في بلغاريا فالحركة العصيانية لم تظهر كنتيجة مباشرة للمصالح الاقتصادية او الاحوال الاجتماعية ، بل كانت المقاومة من صنع الاكيليروس واساتذة المدارس ، والشبيبة النيرة هي التي كانت تدبر شؤون هذه المقاومة . ولهذا يمكن القول بان هذه الحركة القومية اتت نتيجة لشعور وطني فياض . وبالرغم من كونها لم تشمل الا فئة قليلة من السكان الا انها كانت احسن تنظيما من حركة البوسنة: فابتداء من سنة 1873 قام ليفسكي (Levski) مؤسسها بتنظيم 200 خلية ثورية . ولكي ينضم الفلاحون للحركة حاولت اللجنة المركزية للثورة اقناعهم بانه في الاستطاعة الاعتماد على عون خارجي وكانت لا تتورع احيانا من اللجوء الى العنف : اعني التهديد باحراق القرى اذا رفض اهلوها المساهمة في النشاط الثوري . الا انها لم تستطع الحصول على مساعدة كلية وفعالة الا في جزء معين من البلاد . ولذلك لم تكن هذه الانتفاضة البلغارية « حركة جماهيرية » . بيد ان هذه المحاولات المحلية لم تكن كافية لاثارة العصيان اللهم ان استطاع مؤسسها الحصول على مساعدة خارجية . وكان من المنتظر ان تأتي هذه المساعدة من روسيا او من النمسا او هونغاريا . وقد يكون السفر الذي قام به الامبراطور فرانسوا جوزيف الى دالماسيا على تخوم البوسنة والهرسك في ربيع سنة 1875 ، من العوامل التي نفخت في صربيي هذه المقاطعة روح الخروج على طاعة السلطان . واكثر منه احتمالا ما جعل الصرب والبلغار يفهمون من الاعوان في القنصلية الروسية ، انهم بادروا الى القيام بثورة على السيطرة العثمانية فان روسيا سوف لا تتركهم وحدهم في الميدان .

وهكذا بدا العصيان في غشت 1875 في البوسنة والهرسك ، ثم ما لبث ان امتد الى المناطق البلغارية في ربيع 1876 . كان القمع في الحين وبدون هوادة وعلى الاخص في البلاد البلغارية التي ازهق الاتراك بها ما يقرب من 000 30 روح ،وعندئذ اعلنت صربيا والمونتينيغرو الحرب على الدولة العثمانية . ولو لم ينقذ الموقف بتدخل خارجي لاصاب الامارتين ــ طبعا ما اصاب البلغار من سحق وذمار .

هذا ما اثار من جديد « المسالة الشرقية » وفي هذه المرة كانت المسالة تهم روسيا بالدرجة الاولى ثم النمسا ــ هونغاريا ، فبريطانيا العظمى . فما هي الشواغل التي كانت آنئذ تشغل بال كل واحدة ؟

بالنسبة لروسيا استطاعت هذه الاخيرة ان تجد في هذه الازمة سبيلا الى اضعاف شوكة الدولة العثمانية ، وبالتالي طريقا لتعزيز نفوذها على السكان السلافيين في البلقان . ومن اجل الوصول الى هذا الهدف ، كان كافيا ان تساند مطامح هؤلاء السكان في الاستقلال الذاتي او في الاستقلال التام . بيد ان روسيا كانت تدرك ان الاصطدام بمعارضة كل من النمسا ــ هونغاريا وبريطانيا العظمى امر متوقع ، لذلك تبصر غورتشاكوف في بداية الامر ، ولم يرد ان يخاطر قبل العمل بالاتفاق مع الدول الاخرى ما استطاع الى ذلك سبيلا . ولكن اينياتييف (Ignatief) سفير روسيا في القسطنطينية ــ وقد كان على اتصال بالعناصر القائلة بالجامعة السلافية ــ نادى بالعمل « المستقل » ، خلافا لما كان يراه غورتشاكوف . قال السفير الروسي : لو تدخلت روسيا منفردة لصار في وسعها ان تقبض على زمام الحركة السلافية في البلقان ، وتحصل في الجزيرة على نفوذ شامل . ان هذا الخلاف هو الذي اخر لعدة اشهر اتخاذ كل قرار حاسم في الموضوع . ومع ذلك اعترف غورتشاكوف في خريف 1876 ان اليد لو اطلقت

للاتراك فى محق صربيا والمونتينيغرو لاصيب النفوذ الروسي فى البلقان بضربة فى الصميم . وهكذا صرحت الحكومة الروسية امام الملا انها سوف لا تتردد فى التدخل بمفردها اذا لم تتفق الدول على ضرورة فرض برنامج للاصلاحات على السلطان لصالح السكان المسيحيين .

اما النمسا – هونغاريا فانها كانت تراقب عن كثب « طريق سالونيك » ، وباتت تحلم باقامة نفوذ لها فى البوسنة والهرسك لانها اعتبرت هذه المنطقة بمثابة امتداد طبيعي للمقاطعة النمساوية دالماسيا . وكانت انظارها متجهة كذلك الى سنجق نوفيبازار التابع للاراضي العثمانية . ويقع هذا السنجق بين صربيا والمونتينيغرو . تلكم كانت شواغلها المباشرة ولكن من نافلة القول الاشارة الى انها لم تكن تحبذ نمو حركة سلافية فى البلقان برعاية روسيا .

واما بريطانيا العظمى فكانت ترى ان مصلحتها تدعوها لان تحافظ على سيادة الدولة العثمانية ، وهو نفس الموقف الذي وقفته فى الازمات السابقة، ذلك انها كانت تخشى ان تقدم روسيا – فى حالة انهيار العثمانيين – على احتلال المضايق . بيد انه لم يكن للاوساط السياسية اي راي قار وواضح فيما يرجع لممارسة ضغط على السلطان واجباره على تحسين احوال السكان المسيحيين ، فممارضة الاحرار نقمت على السلطان نتيجة لنداء غلادستون الذي ندد فى كتاب شديد اللهجة «بفضائح بلغاريا » ، الى درجة ان المحافظين انفسهم تأثروا لهذا النداء . الا ان ذزرائيلي ، الوزير الاول ، ما كان يولي « الحركات التحررية » لمسيحيي البلقان اي اعتبار . وبعد ما عاد من اسفاره فى الشرق اتى بانطباعات حسنة عن الاتراك حيث لم يفرق بينهم وبين العرب . كان يرى ان اشراك بريطانيا العظمى فى الضغط على الحكومة العثمانية قد يؤدي الى زعزعة ذلك النفوذ الذي تتمتع به الديبلوماسية الانكليزية فى القسطنطينية ، لذلك لم يدخر ذزرائيلي اي جهد فى التقليل من شان مذابح بلغاريا وكان يتحاشى كل ضغط على السلطان لان ذلك – على حد تعبيره – سوف لا ينفع الا روسيا .

ارتسمت معالم الازمة الدولية حينما القى القيصر فى موسكو خطابا فى 11 نونبر 1876 ، صرح فيه انه سيوطد العزم على التدخل بقوة السلاح اذا لم تقرر الدول الاخرى ان تشترك معه فى الضغط على الحكومة العثمانية . وستظل هذه الازمة قائمة الذات ما يقرب من سنتين ، وستظل اوربا خلال هذه المدة فى حالة من الاستعداد للطوارىء .

ولتفادي اي تدخل روسي كان من اللازم اقناع السلطان عبد الحميد من اجل ان يتبنى على الفور برنامجا للاصلاحات ، ولهذا الغرض التأم مؤتمر السفراء فى القسطنطينية فى دجنبر 1876 ، وخرج هذا المؤتمر ببرنامج يحصل البلغاريون والبوسنايون الثائرون بمقتضاه على استقلالهم الاداري فى نطاق الدولة العثمانية . وللتملص من هذا الخطر الداهم اصدر السلطان دستورا ثم اعلن انه سيدعو البرلمان الى الانعقاد ، وعندئذ سيصبح فى امكان المسيحيين – كما قال – تقديم مطالبهم . وبهذه الوسيلة امكن تسوية مسألة « الشعوب الخاضعة » كان ذلك عبارة عن مهزلة لم تنطل فصولها على الدول الاوروبية . والواقع ان الحكومة التركية لم تكن تفكر فى اخذ بنظام دستوري حقيقي ولم تكن ترغب فى التعاون مع طائفة المثقفين الراغبين فى الاصلاح . ناهيكم عن « الشبيبة العثمانية » التي ما كانت تريد ان تفكر فى منح قانون خاص بالسكان المسيحيين .

وسوف تظهر الخلافات من جديد ، عند تحديد التدابير الواجب اتخاذها من اجل الزام السلطان بالعدول عن خطته . ذلك ان مجلس الوزراء البريطاني رفض توجيه انذار واضح الى تركيا . اما الحكومة العثمانية فسوف تستفيد فى مستقبل قريب من هذا الموقف حيث ستنزع الى التخلي عن مشاريعها الاصلاحية . وهكذا احبطت سياسة ذزرائيلي مشروع العمل الجماعي للدول العظمى .

ان هذا الفشل سيتيح لروسيا فرصة التدخل بقوة السلاح . وقبل ان تخوض حكومة القيصر غمار الحرب اخذت الاحتياطات اللازمة ، كانت تريد الا تصطدم فى آن واحد بمصالح كل من النمسا – هونغاريا وبريطانيا العظمى . ولهذا دخلت فى مفاوضات مع النمسا – هونغاريا فى 1876 . وبعد ما توقفت هذه المفاوضات اثناء مؤتمر السفراء وبعد الفشل الذي اصاب هذا المؤتمر استؤنفت المحادثات التي انتهت فى 15 يناير 1877 بالتوقيع على معاهدة سرية . وفى هذه المعاهدة تعهدت النمسا – هونغاريا لروسيا بان تحافظ ، اذا ما وقعت حرب روسية – تركية ، على « حياد فيه حسن التفات » بل اخذت على نفسها عهدا بالعمل، عن طريق النشاط الديبلوماسي

على تفادي تدخل محتمل « لدولة ثالثة » ما استطاعت الى ذلك سبيلا والمقصود بالدولة الثالثة انكلترا . ولقاء هذه الوعود سيكون للنمسا ـ هونغاريا الحق فى احتلال البوسنة والهرسك ، فضلا عن تعهد روسيا بعدم نقل العمليات العسكرية الى الجزء الغربي من الجزيرة . وبالاجمال ادركت الحكومة النمساوية ـ الهونغارية انها لا تستطيع الحيلولة دون تدخل روسي ففضلت حلا وسطا يكون كفيلا بتحديد الخسائر وقمينا بتحقيق عوض مقابل ذلك .

ولما رفضت الحكومة العثمانية من جديد قبول الاصلاحات التي عرضتها الدول عليها فى مستهل ابريل 1877 ـ وكان السلطان مايزال يعتقد ان بريطانيا العظمى ستعارض فى كل ضغط فعلي عليه ـ انتقلت الحكومة الروسية الى ميدان العمل . قالت بانها ستحارب من اجل الزام السلطان بتحسين احوال السكان المسيحيين فى دولته ، ولكنها اكدت انها لا تنوي احتلال القسطنطينية ، ولا اجبار السلطان على مراجعة قانون بالمضائق باتخاذ قرار انفرادي ، ولا نقل العمليات العسكرية الى مصر الخاضعة للدولة العثمانية . وقد فعلت كل ذلك لتهدىء مخاوف بريطانيا العظمى .

وفى 24 ابريل 1877 دخلت الجيوش الروسية رومانيا بمساعدة حكومة بوخاريست ، ولم تلبث هذه الجيوش ان وصلت الى الدانوب دونما صعوبة تذكر ، لكن ، بعد ما شن الاتراك هجومهم المضاد تراجعت جيوش روسيا الى شمال النهر ، واضطرت ان تتوقف بسبب مناعة حصن بليفنا (Plivna) ولم تحطم المقاومة التركية نهائيا الا بعد سقوط المدينة فى يد الروس فى نهاية نونبر 1877 وهكذا عبرت الجيوش الروسية بلاد البلقان ، وفى يناير 1878 فتحت ثغرة فى سهل اندرينوبل (Andrinople) فاستولت عليه ثم صارت صوب القسطنطينية ، وعندئذ طلب الترك الهدنة ، فاظهرت القيادة الروسية عدم تسرعها فى قبول هذا الطلب .

كان الروسيون ، حتى سقوط بليفنا ، يحاربون دون ان يجدوا معارضة فعالة من الدول الاخرى ، ولكنهم عندما ساروا فى اتجاه القسطنطينية استولى الخوف على كل من بريطانيا العظمى والنمسا ـ هونغاريا . وكيف لا وروسيا لم تحترم العهود التي قطعتها على نفسها قبيل الشروع فى القتال وفى بدايته ؟ ولذلك وجه دزرائيلي ، على الرغم من تردد الاوساط المالية والاقتصادية انذارا الى الحكومة الروسية . ومما جاء فى هذا الانذار ان الحكومة البريطانية سوف لا تقبل مطلقا احتلال القسطنطينية ، وانها سوف تتخذ ، ان اقتضى الحال ، التدابير الصارمة لحماية مصالحها . اما اندراسي فقدوجه بدوره فى 15 يناير 1878 ، مذكرة طلب فيها من روسيا ان لا تجعل اوروبا امام الامر الواقع ، ويعني بذلك الا تقدم روسيا على فرض بنود الصلح مع تركيا قبل الاستشارة فى هذا الشان مع الدول الاخرى . وازاء هذه التهديدات اعطت حكومة القيصر الى القائد الاعلى امرها بالتوقيع على الهدنة . وقد تم هذا التوقيع فى 31 يناير 1878 حيث كانت الجيوش الروسية امام خطوط تشاطالجا على قاب قوسين او ادنى من القسطنطينية

فهل يمكن ان نقول بان روسيا ستتنازل ، وتاخذ بآراء الدول قبل ابرام معاهدة الصلح ؟ ان المناصرين لانتهاج سياسة جريئة قد قضوا على النزعة التوفيقية التي سادت فى الاوساط الرسمية الروسية ، واعني بها نزعة غورتشاكوف التي انتصرت اثناء التوقيع على الهدنة .

وهكذا اخذ السفير اينياتيف ـ وقدعاد من جديد الى القسطنطينية بزمام مفاوضات الصلح مع تركيا ضاربا عرض الحائط بآراء الدول الاخرى . انها لساعة حرجة ، نعم فى 15 فبراير قرر مجلس الوزراء البريطاني ارسال اسطوله الحربي فى البحر الابيض المتوسط الى بحر مرمرة ذلك الاسطول الذي رسا بضعة ايام قبالة جزيرة الامراء بحيث صار بوسع الخطوط الروسية ان تراه بأم اعينها : كان الوزير الاول يرى ان لا مندوحة من هذا التهديد ليطمئن قلب السلطان ، وان هذا الاخير قد يفكر فى الارتماء فى احضان روسيا لو ظهرت بريطانيا بمظهر الضعف. وفى 28 فبراير اعلنت حكومة النمسا ـ هونغاريا انها ستعد العدة للتعبئة ، الا انها ظلت تتردد فى تحديد تاريخ هذه التعبئة بالرغم من الاقتراح البريطاني القاضي بوضع الوسائل المالية اللازمة رهن اشارتها . وبعد ما تبين ان النمسا ـ هونغاريا لم تكن عازمة على مساندة بريطانيا العظمى الى النهاية ، تمادي اينياتيف فى خطته فاعد بنود المعاهدة دون ان يصادق عليها، فيما يبدو، غورتشاكوف نفسه . وفى 3 مارس 1878 وقع بالاحرف الاولى على معاهدة ستيفانو بين روسيا والباب العالي .

تنص معاهدة ستيفانو على ان مدن قـرص وبايزيد وباطوم الواقعـة في الجزء الاسيوي من الدولة العثمانية ستضم الى روسيـا ، وبالنسبة للجـزء الاوربي نص على الحاق دوبرجة. ووعدت هذه المعاهدة كذلك بتوسيعات ارضيـة في صربيا والمونتينيغرو وبمقتضى هذه الوعود ستاخذ صربيا وادي المورافـا الاعلى ، والمونتينيغرو منفذا على بحر الادرياتيـك . واقرت هذه المعاهدة لصالح البوسنة والهرسـك قانونا يخولها الاستقلال الذاتي . ثم وافقت على منح رومانيا الاستقلال التام وقد كانت من قبـل مستقلة استقلالا ذاتيـا . الا ان البنـد الاساسي في المعاهدة هو الذي يخص الاراضي البلغارية التـي ستنفصل عن الدولة العثمانية لتكون امارة مستقلة استقلالا ذاتيا اسمها « بلغاريا الكبرى » . ويجب ان تمتد هذه الامارة من الدانوب الى بحر ايجه وهـذا يعني انها ستضم مقاطعة الروملي وجزءا كبيرا مـن ماكيدونيا . وبمقتضى نصوص المعاهدة فان الدولـة العثمانية ستظل محتفظة ، بدون منازع ، بممتلكاتهـا الاوروبية على الرغم من فقدان البوسنة والهرسـك والمناطق البلغاريـة . الا ان هذه الممتلكات ستنقسم الى شطرين تتخللهما « بلغاريا الكبرى » . ويضـم الشطر الاول تراقيا الشرقية ، والشطـر الثاني البانيا وسهول الفاردار . اما في امارة « بلغاريـا الكبرى » فسيكون النفوذ الروسي مخيما على جميع اجزائهـا ، وكيف وهي التي انشئت من لدن روسيـا ولصالح روسيـا ؟ نعم اصبح للجيوش الروسيـة الحق في ان تقيـم معسكرات داخل الامارة لمـدة سنتين ، وهذا الحق خول للقيصر شيئا آخر وهـو تنصيب الحكومة حسب هواه في « بلغاريـا الكبرى »

وهكذا وضعت اوروبا امام الامر الواقع بالرغم من الانذارات التي وجهتها كل من بريطانيا العظمـى والنمسا ـ هونغاريا . وستطلب حكومتا لندن وفيينا عما قريب مراجعة معاهدة سان ستيفانو بواسطـة عقد مؤتمـر دولي . وسوف لا تمتنع حكومة روسيـا من الاستجابة لهذا الطلب : اذ في 6 مارس 1878 ياخذ غورتشاكوف من جديد بزمام الامور ، وكان اينياتيف قد ضفى عليه ردحا من الزمان . ولذلك فلا غرابـة اذا قبل غورتشاكوف بمبدأ عقـد المؤتمـر . الا ان هذا القبول لم يهدىء مطلقـا الشواغـل التـي كانت تستولي على الاذهان ما دامت روسيـا قد استفادت من الوضعية المكتسبة . وهل من سبيل الى ابعادها من الاماكن التي احتلتهـا ؟

وللوصول الى هذه الغاية بذلت كل من بريطانيا العظمى والنمسـا ـ هونغاريا جهـودا تجسمت في اجراء مفاوضات مباشرة وعلى انفراد مع الحكومـة الروسيـة . كان لهذه المفاوضات التي سبقت المؤتمر شان حاسم . والواقع ان الحكومة الروسيـة كانت على علم بالانهيـار الذي اصاب جيشها من جـراء الحرب مع تركيـا ، الامر الذي لا يمكن من مجابهة اي نزاع مع اوروبا . زد على ذلك ان هذه الحكومـة كانت تتخبط في مشاكل مالية ، وظلت تطلب عقـد قرض مالي من السوق المالية الفرنسية بدون جدوى لهذه الاسباب اضطرت الى التراجـع واذعنت امـام الملا للتهديد البريطاني « قرر دزرائيلي في 27 مارس استنفار احتياطي الجيش الانكليزي » ، الا انهـا في الحقيقة كانت تعلم جيدا انها لو خاضت غمار حرب مع انكلترا لتدخلت النمسا ـ هونغاريا في الحيـن . وفي اعقاب المفاوضات التي كانت مرة كالحنظل ابرمت روسيا تسويات في 30 مايـو مع بريطانيا العظمـى وفي 6 يونيه مع النمسـا ـ هونغاريا ، وترمي هـذه التسويات الى الضرب صفحا عن « بلغاريا الكبرى» لتحل محلها امارتان ستدعى احداهما بلغاريـا وستعطى استقلالها الذاتي ، والثانيـة ، وهي امارة الروملي ، ستظل خاضعة للسيادة العثمانية بشرط ان يعين على راسها حاكم مسيحي . وفي جنـوب الروملي تبقى المنطقة المتاخمة لبحرايجه عثمانية دون ان ينقص منها شبر واحد . ويشمل الاتفاق الروسـي ـ الانكليزي بالاضافة الى ذلك ، بنـدا يتعلـق بالالحاقات الروسيـة في تركيا الاسيوية : اذ ستبقـى روسيـا محتفظة بمدينتي قصر وباطوم دون بايزيـد التي توجد على راس الطرق المؤديـة الى نهر الفرات ، وتعهدت روسيا تعهدا كليا بان لا تحاول التوسع اكثر من هذا الحـد ، في المستقبل .

وعليه فقد توصل الى ما هو اساسي . ولـم يكن من شان المؤتمـر الدولي المنعقد ببرلين مـا بين 15 يونيه و13 يوليوز برئاسة بيسمارك ، الا ان صادق على الاتفاقات التي ابرمت فيما قبـل . بيد ان بعض التفاصيل قد اضيفت الى هـذه الاتفاقـات ، ويتعلق الامر بالتقليل المحسوس من المساحات الارضية التي منحت لصربيا والمونتينيغرو بموجب معاهدة سان ستيفانو واعطاء الوعد لليونـان بتوسيع اراضيها في تيساليـا ، والزام رومانيا بالتخلي عن بصارابيـا الجنوبية لصالح روسيـا مقابـل اخذ اقليم دوبرجـة الذي اقتطعته معاهدة سان ستيفانو من اراضـي

الدولة العثمانية . الا ان المؤتمر منح على الخصوص للنمسا ـ هونغاريا التعويضات التي كانت تنتظرها اعني الحق في ادارة البوسنة والهرسك « بصفة مؤقتة » دون ان تباشر الحاقهما بالامبراطورية ، كما خولت حق الاحتفاظ بمعسكرات في سنجق نوفيبازار لحراسة « طريق سالونيك » وهكذا سويت هذه القضايا تبعا لمصالح الدول العظمى ، دون الالتفات لمصالح الشعوب البلقانية وآمالها .

ماهي نتائج هذه الازمة الطويلة الامد ، بالنسبة للعلاقات بين الدول العظمى ؟ اما النمسا ـ هونغاريا فقد احرزت على نجاح لا يجادل فيه احد، ما دامت قد ضمنت لنفسها السيادة الشاملة على القسم الغربي من جزيرة البلقان ، عن طريق احتلالها للبوسنة والهرسك ، وتمتعها بحق اقامة معسكرات في السنجق ، فضلا عن المساعي التي بذلتها للتنقيص من التوسع الارضي الذي كانت تطالب به كل من صربيا والمونتينيغرو . وقد حصل آندرسي على هذه النتائج بلباقة ودون اللجوء الى تدابير التعبئة : فقد ترك بريطانيا العظمى تتقدم الى الامام واقتفى هو « الطريق الذي شقته انكلترا » .

واما بريطانيا العظمى فانها حالت دون انهيار الدولة العثمانية ، وهذا شيء عظيم في حد ذاته ، الا انها لم تستطع ان تجنبها ما كانت تعانيه من الضعف المحسوس الذي رافقه فقدان كثير من الممتلكات . والحقيقة ان بريطانيا العظمى كانت مضطرة للقيام « بتراجع استراتيجي » على الرغم من الموقف المهدد الذي وقفه دزرائيلي . بيد انها استفادت من الظرف عندما نالت امتيازا كان على الدولة العثمانية ان تؤدي ثمنه ، فحينما كان التفاوض المريجري مع روسيا في مايو 1878 ، عرض مجلس الوزراء الانكليزي على الحكومة العثمانية حلفا دفاعيا لحماية تركيا الاسيوية مشترطا ان يجعل السلطان رهن اشارة بريطانيا العظمى قاعدة بحرية من شانها ان تساعد الاسطول البريطاني على التدخل باسرع ما يمكن من الفعالية يوم يكون على الحلف ان يقوم بالتزاماته . اما السلطان فانه قد اذعن لهذا الشرط لانه كان في حاجة الى نجدة مالية من انكلترا لاداء مرتبات الجنود . وهكذا وضعت جزيرة قبرص قيد « الادارة المؤقتة » لبريطانيا ، وتم ذلك باتفاق 4 يونيه 1878 .

وفيما يخص روسيا فانها نالت نتائج اقل مما كانت تنتظره . ليس من شك في انها زعزعت اركان الدولة العثمانية بدعوى حماية السلافيين ؛ وهذا ما لا يجب اغفاله لما سيكون له من اثر في الحوادث المقبلة ، الا انها الان تكبدت ضربة اصابت نفوذها في الصميم ، وذلك بتراجعها عن انشاء « بلغاريا الكبرى » والحقيقة ان السياسة الروسية لم تكن موجهة كما كان يجب ان تكون ، ولم يجعلها في هذا المازق سوى تصرفات اينياتييف الشخصية . ومع ذلك فان القادة الروس لاموا ـ بالطبع ـ الدول الاخرى بدلا من الرجوع الى الاخطاء التي وقعوا فيها . وهؤلاء القادة لم يصبوا حقدهم فحسب على بريطانيا العظمى والنمسا ـ هونغاريا ، اذ هاتان الدولتان عدوتان لدودتان في هذه المسالة الشرقية ـ بل حقدوا كذلك على المانيا ءاخذين عليها كونها شجعت « تالب اوروبا » عليهم .

فهل اتى هذا اللوم في محله ؟ تلكم بلا ريب ، اهم نقطة في تفسير الازمة . الواقع ان السياسة البيسماركية تجنبت المساهمة في النزاع ، ما استطاعت لذلك سبيلا ، لانها كانت ترغب في عدم تعريض حلف الاباطرة الثلاثة للخطر . كان بيسمارك، قبل كل شيء يرى ان الواجب يحتم على المانيا ان لا تفضل روسيا على النمسا ـ ولا ان تصبح حكما في خلافاتهما . وقد كتب في اكتوبر 1876 يقول : «لنعلم ، بخصوص التعقيدات الشرقية ، ان عدم دخولنا في منازعات طويلة الامد مع انكلترا او مع النمسا ـ هونغاريا وهو الاخطر ، او مع روسيا وهو الادهى من ذلك كله ، لاهم بكثير ، بالنسبة لمستقبل المانيا ، من كل العلاقات مع تركيا ورعاياها او بينها وبين الدول الاخرى . ونتيجة لذلك ما كان بيسمارك ليوافق غليوم الثاني على اقتراحه الرامي الى توجيه «انذار» لروسيا . واتخذ نفس الموقف عند ما عقد السفراء مؤتمرهم بالقسطنطينية في دجنبر 1876 ، فلقد كان ممثل المانيا في هذا المؤتمر يردد دائما قوله : لا تلقوا بصوت المانيا في الميزان » . وحينما ابرم الاتفاق النمساوي الروسي في يناير 1877 ، استقبله بيسمارك بارتياح . وفي بداية الحرب الروسية التركية اكد للحكومة الروسية حياده المنطوي على حسن الالتفات ، وابعد كل احتمال بعرض وساطته التي قد تاخذ على حد تعبيره « طابع ضغط مناوىء لروسيا » ولم يقف موقف المتشدد ازاء السياسة الروسية الا اثناء معاهدة سان ستيفانو باعتبار ان انشاء « بلغاريا الكبرى » كان امرا « غير مقبول » من جانب النمسا ـ هونغاريا

ولكن بمجرد ما اعلنت حكومة القيصر تراجعها عن هذا الهدف ، نصح بيسمارك لحكومة النمسا ـ هونغاريا ان تقبل باتفاق مع روسيا . اما النظرية التي يقول عدد بها من المؤرخين من ان المستشار وقف موقفا معاديا تمام المعاداة للسياسة الروسية فهي على ما يبدو لا ترتكز على اساس . اذ لماذا يقع اهمال راي شافالوف ، المندوب الروسي الثاني في مؤتمر برلين ؟ ان هذه الشخصية اعتبرت ان سياسة بيسمارك كانت في الاساس لصالح روسيا . حقا ان القيصر اعتقد ان المانيا كانت لها نوايا سيئة . وبالرغم من ان هذا الانتقاد لم يكن مرتكزا على الواقع فانه كان كافيا لجعل الاتفاق المبرم في سنة 1873 بين روسيا والمانيا في خبر كان .

وعلى ما يظهر ان بيسمارك لم يكن ينتظر من روسيا رد فعل كهذا ، وقد مني بخيبة امل ، وغضب لهذه النتيجة . واذا اخذنا بما رواه شاهد عيان ، فانه سيعود في المستقبل للتعقيب على ذلك بقوله : ان مؤتمر برلين « كان اكبر خطأ ارتكبه » في حياته ، وان الواجب كان يدعوه الى ترك روسيا وانكلترا يفترس بعضهما بعضا » وان سلوكه في 1878 كان كسلوك « مستخدم بلدي » .

*

ظلت القضية البلقانية ، بعد ان سويت على الصعيد الدولي في سنة 1878 ، مصدرا دائما للمصاعب بين النمسا ـ هونغاريا وروسيا ، واستمرت هاتان الدولتان تواصلان جهودهما لبسط نفوذهما المتنافر . اما نجاحهما في هذا الصدد فكان متفاوتا في درجاته .

فالنمسا ـ هونغاريا نالت في صربيا ورومانيا نتائج هامة بين سنتي 1881 و1883 ، ولم تفلح في استمالة حكومة صربيا الا بمعونة ظروف استثنائية محض . فقد كان امير صربيا ميلان اوبرينوفيتش شغوفا بحب المال ، وصارت فضائح حياته الخاصة حديث الراي العام الذي كرهه حتى فقد كل سلطة معنوية له . وللمحافظة على سلطانه لم يتردد في البحث عن سند حكومة فيينا ، على الرغم من انه كان يعلم علم اليقين ان التقرب من النمسا ـ هونغاريا لا يتفق ومطامع الاغلبية الساحقة من السكان الصربيين ، وبالاخص حينما وضع صربيو البوسنة والهرسك قيد الادارة النمساوية ـ الهونغارية . وفي 28 يونيه 1881 وقع ميلان على معاهدة سرية لم يخبر بها رئيس مجلس الوزراء الا بعد التوقيع عليها . وفي هذه المعاهدة تواعدت كل من صربيا والنمسا ـ هونغاريا على الوقوف موقف « الحياد المشفوع بحسن الالتفات » اذا وجدت احداهما في حالة حرب . وتعهدت حكومة صربيا بان لا تسمح باعداد ترتيبات فوق اراضيها تكون موجهة ضد النمسا ـ هونغاريا او ضد القانون الجديد الخاص بالبوسنة والهرسك ، ثم تعهدت فوق ذلك بعدم ابرام اي معاهدة سياسية دون سابق اتفاق مع النمسا ـ هونغاريا . ولقاء ذلك تساند النمسا ـ هونغاريا السلالة الحاكمة في صربيا صحيح ان ميلان ، ازاء احتجاجات رئيس المجلس الوزاري الذي راى في المعاهدة انها تكتسي صبغة « حماية » احرز من النمسا ـ هونغاريا على تخفيف من قيود هذه المعاهدة ، كالاحتفاظ بحق ابرام المعاهدات مع الدول الاخرى بحرية على ان لا يمس ذلك « بروح المعاهدة النمساوية ـ الصربية » الا ان ميلان اخذ على نفسه عهدا شخصيا ، بواسطة رسالة سرية بانه سوف لا يوقع اية معاهدة سياسية الا اذا وافقت عليها مقدما حكومة فيينا . وعلى نفس الاسس سيجري في سنة 1889 تحديد هذه المواثيق لمدة ست سنوات اخر ، وهكذا فالسياسة الخارجية لصربيا اصبحت تابعة لسياسة النمسا ـ هونغاريا . وجزاء لميلان على ليونة جانبه فانه نال ، بمعونة فيينا لقلب ملك ، في سنة 1882 .

ومع ذلك لم يخل التعاون الشخصي بين الملك الجديد وبين النمسا هونغاريا من عواصف ، فقد كان ميلان ، في بعض الاحيان ، يتعاطى لمناورات يضغط بها على النمسا ـ هونغاريا ، حدث مثلا في سنة 1885 انه هدد بالتنازل عن العرش لما رفضت الحكومة النمساوية ـ الهونغارية ان تقرضه المبالغ اللازمة لانشاء السكك الحديدية وفي اعتقاده ان تصرفا من هذا القبيل قد يؤدي الى « توجيه السياسة الخارجية الصربية وجهة اخرى » ، واحيانا اخرى كان يقف مواقف طائشة : الم يعرض على الحكومة النمساوية ـ الهونغارية ، في سنة 1886 ان يتخلى ان اقتضى الحال عن « حقوقه في العرش » للامبراطور فرنسوا جوزيف ، مقابل تعويض نقدي يعطى له او لولده ؟ اما الديبلوماسيون النمساويون الذين اندهشوا لهذا العرض فانهم لم يعيروا له اي اهتمام لانهم ادركوا مدى خطورته ، وقد علق احدهم على ذلك بقوله : ان ميلان مصاب في اعصابه . ان النمسا ـ الهونغارية ، لم تدخر جهدا في الاستفادة من هذه

الحالة الاستثنائية ولكنها كانت تدرك ان هذه الفائدة انما هي ظل زائل

اما في رومانيا فقد احرزت السياسة النمساوية — الهونغارية ، بمساعدة المانيا ، على نتائج اكثر استمرارا . الا ان معظم هذه النتائج ظل مرتبطا بسياسة الامير الشخصية . كان كارول من آل هوهانزولين يكن للامبراطورية الالمانية عواطف المحبة والود ، وليس من شك في ان هذا العطف لم يكن ليشمل حتى النمسا — هونغاريا ، باعتبار ان هذه كانت تسيطر في ترانسيلفانيا وبوكوفين (Bukovine) على ثلاثة ملايين من الرومانيين . بيد الامير كان يضمر لروسيا عداوة اشد لانها فرضت على رومانيا في سنة 1878 التخلي عن بصارابيا الجنوبية لقاء عوض بسيط ، زيادة على انها بحكم سيطرتها على الامارة البلغارية ، تستطيع ان تضغط من جهتين، على الدولة الرومانية. وعليه فالخطر الروسي في نظرها كان اقرب وقوعا من الخطر النمساوي — الهونغاري وهنا وجدت الديبلوماسية الالمانية مجالا فسيحا للعمل . ففي 30 اكتوبر 1883 وقع كارول مع النمسا — هونغاريا على معاهدة حلف دفاعي مناوىء لروسيا ، ولم تلبث المانيا ان اعطت موافقتها على هذه المعاهدة .

ذلكم ، فيما يبدو ، ما ضمن للنمسا — هونغاريا في البلقان نفوذا متزايدا ان لم نقل مهيمنا .

اما روسيا فانها كانت في هذه الاثناء تلعب بالورقة البلغارية ، فبفضل وجود جيوشها اكتسبت في سنة 1879 نفوذا حاسما . وقد اختار البرلمان البلغاري الذي يعرف باسم « السوبرانيي » الاسكندر الباتنبرغي ، اميرا على بلغاريا ، ولد هذا الامير بالمانيا . وكان له ارتباط بالاسرة الملكية الانجليزية عن طريق الزواج ، ثم انه ابن اخت القيصر الذي دعم ترشيحه الى منصب الامارة . ان هذا الامير عهد الى جنرالين روسيين بوزارتي الدفاع والخارجية وهذا يعني ان الامارة البلغارية صارت تدور في « فلك » روسيا . ولكن السياسة الروسية سوف تكابد ، عما قريب بعض الصعاب . فهذه السيطرة لم تلبث ان اصطدمت بمعارضات تجلت في الاوساط البلغارية المتقدمة ، حيث ان الروسيين ، زيادة على ذلك ، احتفظوا باهم المناصب في الادارة ، وبذلوا عن طريق مد السكك الحديدية ، جهودهم للسيطرة على الحياة الاقتصادية . وهكذا ظهرت ، بتاثير من كارافلوف (Karavelof) حركة قومية بلغارية تهدف الى التحرر من النفوذ الروسي ، آخذة على الامير ليونة جانبه التامة ازاء القيصر . وقد حسب باتنبرغ لهذه المعارضة حسابها ، واعار اذنا صاغية للنصائح البريطانية ، فحاول في سنة 1883 ان يعفي وزيريه الروسيين الا انه اضطر ان يحارب متقهقرا امام امر من القيصر ، ومن الآن فصاعدا فقد ثقة حاميه : فقد صرح العاهل الروسي في سنة 1885 لوفد بلغاري بقوله : لا تنتظروا مني شيئا ، ما دمتم محتفظين بحكومتكم الحالية » .

وانفجرت الازمة في السنة التالية ، فمن ليلة 20 الى نهار 21 غشت 1886 « اختطف » الامير من لدن ضباط بلغاريين ، وسيق الى الحدود . وقدم الملحق العسكري الروسي في صوفيا سنده في هذه المؤامرة وبالرغم من احتجاجات الوطنيين البلغاريين الذين طالبوا بعودة الامير ، وبالرغم من ان هؤلاء نالوا، لمدة ايام معدودات ، مبتغاهم ، الا ان الامير اذعن في 7 شتنبر وتنازل عن العرش اعتقادا منه ان الاحتفاظ بالسلطة مع معاندة القيصر امر غير ممكن . وعليه فالظاهر ان الحكومة الروسية قد فرضت نفوذها من جديد على الامارة ، وشكلت فيها حكومة مؤقتة لا تاتمر الا بامرها . ولكن المقاومة الوطنية لم تضع السلاح ، فحيثما تعلق الامر بتعيين الامير الجديد اعرض مجلس السوبرانيي ، في يوليوز 1887 عن المرشح الذي سبق لروسيا ان قدمته ، وعين فرديناند من ساكس كوبروغ ، حفيد لويس فيليب من جهة ابنته ، الا انه كان ضابطا في الجيش الهونغاري ومؤيدا من جانب حكومة فيينا . كان هذا ، بالنسبة للسياسة الروسية فشلا ذريعا : لانها لم تنجح في الاحتفاظ بالامتياز الوحيد الهام الذي اكتسبته في مؤتمر برلين . وهكذا فلت زمام الامر من يدها في بلغاريا ، وقد حصل لها نفس الشيء في صربيا ثم في رومانيا . فما هي الحظوظ التي ستظل محتفظة بها في الجزيرة البلقانية التي كانت قبل عشر سنوات خلت ، محط آمالها في الهيمنة ؟

ان القيصر الذي كان ذا عقل « ساذج جدا » وافكار ثابتة اكثر منها بسيطة راى ان النمسا — هونغاريا قد عاملته « معاملة الخنازير » وتلكم هي العبارة التي استعملها في يناير 1888 اثناء محادثة له مع السفير الالماني . ومع ذلك فعلى ما يظهر انه لم يفكر في الرد ، باكثر مما فعله في سنة 1878 .

فاس : عبد الحق بنيس



المتقفون الاولون فى الدولة العربية كانـــوا لا يعيرون الى جمع اللغة العربية وترتيبهـا اي اهتمام ، ذلك لانهم كانوا يأخذونها من افواه العرب ، فمن اراد تعليمها او اخذها ببلاغتهـا ورنتهـا ومصطلحاتهـا ، فليتعلمها من بوادي العرب فى البصـرة والكوفة – فى العراق .. او من قبائل الجزيرة ، او من عـرب الشام ..

فابن المقفع ، وابن برد وغيرهما من المثقفين والعلماء الكبار اخذوا العربية من بوادي العرب ، شانهم فى ذلك شان الشعراء والكتاب الذين سبقوهم .

وبقي الحال هكذا بالنسبة للعربية الى ان جاء عصر التدريس وتخصصت جماعات من رجالات العلم العرب لكتابة الفقه ووضع علم النحو ، وجمع اللغة العربية ، وكان من اشهر هؤلاء عبد المالك بن قريب الاصمعي والكسائي والازهري ، ثم جاءت فترة وضع القواميس لهذه اللغة ، لترتيبها وحفظها من الضياع والتلاشي ، وكان من اشهر المعجميين بل من ايمتهم خليل ابن احمد الفراهيدي ..

1

لقد جاءت اللغة العربية ، اقدم من العرب ، والذلك لم يكن تركيبها فى بداية الحضارة الاسلامية طبيعيا ، فان العرب حينما استعملوا لغتهم فى الشعر والخطابة كان ورثة المدنية فى العالم القديم قد انتهوا من وضع قواعد متواطأ عليها فى استعمال اللغات : كان الاغريق مثلا قد فرغوا من وضع علم البلاغة والشعر كما كان اللاتين قد بلغوا السماكين فى فنون الخطابة والبيان ..

اما الدولة العربية فكانت آنذاك ثقافة الشعر عندها ذخرا كما كانت مزايا اللغة العربية اعظم من مزايا الشعر وخاصة بعد ان صارت كالمرآة تنعكس عليها كل صور المجتمع والبيئة والفكر العربي حيث غلبت اللغة وروايتها على سائر فنون الادب وشعب العلوم وانبعث ذكاء العرب بها بعد مجيء الاسلام انبعاثا فياضا ملأ الكتب والمجالس ، وسال على السنة الرواة والحفظة ..

وقد يكون القرن الثاني هو بداية هذا النشاط الفكري العريض الواسع حيث ظهرت مؤلفات كاملة فى مختلف العلوم الاسلامية والعربية ، ففي ميدان الحديث ظهرت موطأ مالك كما ظهرت بجانبه من ناحية اخرى سيرة ابن اسحاق ، وكتاب النحو لسيبويه ومن قبل كل هذا ظهر معجم العين فى اللغة للشيخ الخليل ابن احمد الذي كان له الفضل ايضا فى وضع علم العروض فى اللغة العربية .

2

والخليل ابن احمد عمرو بن تميم الفراهيدي الازدي قد ولد فى مدينة عمان على شاطيء الخليج الفارسي سنة 100هـ ولكن نشأته بالبصرة غلاما ، وتلقيه التعليم بها تلميذا وطالبا ورياسته لجامعتها جعلته يشتهر «بالبصري» وقد كان الخليل بن احمد من اولئك العلماء القلائل الذين انحدروا من اصل عربي صرف حيث ينتسب الى بطن فرهود من قبيلة الازد.

درس الخليل الحديث وفقه اللغة على يد ايوب السختياني والعوام ابن حوشب وغيرهما ، وكان الخليل رجلا شديد الورع ، عاش حياته فقيرا حيث رضي وقنع بعيشته الزهيدة المتواضعة لكثرة انشغاله بالعلم والتفكير فى شؤون ارتقاء الفكر العربي واللغة العربية .

وتذكر من تلامذة الخليل بن احمد البارزين فى الحقل اللغوي « سيبويه » والاصمعي والنضر بن شميل والليث بن المظفر وغيرهم .

وقد ظهرت شخصية الخليل قوية واضحة فى تأليفات هؤلاء التلاميذ ، فهذا سيبويه ينقل فى كتابه الكثير عن الخليل بدرجة ملحوظة جعلت النقاد يعتبرون سيبويه قد جمع فقط اراء شيوخه الذين كان اهمهم الخليل ودونهما فى سجل عرف فيما بعد بالكتاب .

ولم يبرز الخليل فى العلوم اللسانية من نحو ولغة وشعر فحسب ، بل كانت له دراية واسعة بالعلوم الشرعية والرياضية ، واكثر من هذا كان بارعا فى الموسيقى والنغم .

3

هذا ، وتتفق كتب السير جميعا على ان الخليل هو واضع علم العروض وقواعده فى اللغة العربية ، ولا تزال طريقته هي السائدة اليوم ، على الرغم من المحاولات الكثيرة الاخرى التي بذلت لوضع طريقة غيرها على انه لم يصل الينا من مؤلفاته فى هذا الموضوع سوى شواهد من ابياته وردت فى رسائل وكتب مختلفة .

وان نظرة واحدة الى الطريقة التي وضع بها علم العروض الذي اتفق الجميع على انه هو الذي ابتكره دون سابق مثال لتدلنا على ان الخليل كان ذا عقلية مبتكرة ، وقد روي فى هذا انه كان يوما مارا ببغداد ، فاستهواه دق المطرقة المنتظم ، فلما حاول ان يربط بين هذه النغمات الرتيبة وبين الاوزان فى الشعر العربي تم له ذلك باختراع علم العروض وكانت التفعيلات التي استعملها الخليل كموازين للشعر وتقطيع الابيات على حسب تلك الموازين الذي يؤدي احيانا الى شطر الكلمة الواحدة او ضم كلمة مع جزء آخر لتكون وحدة عروضية معينة ، كانت كل هذه الاشياء الجديدة على اللغويين الاولين ، اشبه شيء بالالغاز ،ولكنه عمل من اجل فرض هذا العلم على الفكر العربي ، كما عمل على ارسائه واعتباره جزءا من الثقافة العربية ..

4

وكان الخليل بن احمد ايضا اول من صنف معجما عربيا وهو المعروف بكتاب « العين » ولا غرابة فى ان يكون اهتمام الخليل فى ذلك الوقت بجمع اللغة وترتيبها خاصة اذا علمنا ان على يده رسخت دراسة اللغة العربية فى نفوس ادباء وعلماء ذلك العصر الذي ابتداه الخليل بكتاب العين وختمه ابو القاسم الزجاجي باماليه .

والواقع ان الاحاطة باللغة العربية كان فى عصر الخليل نوعا من التفوق الشائع الذي يرافق سائر فروع العلم الا ان جريان اللغة فى مجرى علم الحديث خلق تهيب القديم وسن طريقة النقل والتقليد وكان المجهود الجبار الذي بذله ايمة العلم والادب فى جمع اللغة والوصول بشرحها، وايراد شواهدها الى الكمال قد جعل ذلك العلم كالصرح الشامخ لا يقدر على الخوض فيه الا النوابغ والعباقرة ..

5

واذا ما القينا نظرة على كتاب « العين » للخليل ، وهو كما يتفق عن ذلك كل الرواة والنقاد احسن ما صنفته براعة عبقري اللغة العربية خليل بن احمد وجدناه اول معجم شاهده العالم قبل ان تكون لاية لغة اخرى قاموس او معجم لغوي .

ان المبادىء الرئيسية التي بنى عليها الخليل ترتيبه فى هذا المعجم تنحصر فى اربعة نقط : « كما يؤكد ذلك صاحب كتاب المعاجم العربية » .

اولا ــ رتبه ترتيبا ابجديا ، عكس ما كان موجودا فى عصره حيث كان النقلة والمصنفون يرتبون كتيباتهم بحسب موضوعاتها ومعانيها ، وبهذا يكون الخليل بن احمد مبتكرا وسباقا فى هذا الموضوع ايضا ..

ثانيا ــ نظم كلمات معجمه تبعا لحروفها الاصلية بقطع النظر عن الاحرف الزائدة فيها وهذا المبدا ظل متبعا فى كل مراحل تطور المعجم العربي فى عصر الخليل الى عصرنا هذا حيث تجد ذلك مجسما فى معاجم المجامع اللغوية والعلمية بالقاهرة ودمشق وبغداد ..

ثالثا ــ خضع تبويب الكلمات لنظام الكمية حيث تسجل الاصول على الشكل الآتي :

الثنائي ــ الثلاثي ــ الصحيح ــ الثلاثي المعتل ــ اللفيف ــ الرباعي ــ الخماسي المعتل .

رابعا ــ عالج فى معجمه الكلمة ومقلوباتها فى موضع واحد .

6

وتجدر الاشارة الى ان جميع الذين الفوا المعاجم من بعد الخليل بن احمد قد اتبعوا نهجه هذا ، ذلك النهج الذي وجد صدرا رحبا من لدن المستشرقين وايمة اللغة وفقهها في الشرق والغرب .

والملاحظة الاساسية هي ان هذا المعجم وجد في الوقت الحاضر متسعا من البحث في الجامعات والمعاهد الاوربية على الخصوص ..

لقد كان لوضع كتاب العين في اللغة العربية صدى كبيرا بين علماء اللغة والادب في مختلف العصور حيث نهج طريقته كثير من الرواد من امثال الخزرنجي ، وابي الازهر البخاري والثياني .

اما اهم المعاجم التي سارت على نظام العين وبقيت حتى وصلت الى عصرنا فمنها ما وضعه المشرقيون ، ومنها ما الفق الاندلس ابان ازدهار الحضارة الاسلامية كالجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة للازهري ، والبارع لابي علي القالي والمحكم لابن سيدة ، واحسنهم ، واتقنهم مختصر العين لابي بكر الزبيدي «1» .

ان مختصر العين هو المعجم الثاني الذي شهدته الاندلس العربية والذي اهتم به علماء اللغة العرب في الاندلس من المتاخرين والذين اثنوا عليه ثناء عظيما .

قال عنه الفيلسوف ابن خلدون :

كان الخليل اول من فكر من اللغويين العرب في وضع معجم ابجدي وسماه العين وقد وضعه مفصلا مطولا ، وقد اختصره الزبيدي بطريقة بديعة ، حيث حذف ما يستغني عنه مبقيا على روح الكتاب واصله.

وذكر بروكلمان وكذلك دائرة المعارف الاسلامية على الكلام عند الخليل :

« ان كتاب العين يعتبر في حكم المفقود ، ولكن هنا افضل كتاب يقوم مقام « العين » هو مختصر العين للزبيدي الذي يمثل الكتاب الكبير اصدق تعبير » ...

وذكر الدكتور عبد الله درديس في كتابه المعاجم العربية عند حديثه عن كتاب العين .

« يبدو ان الزبيدي لم يدع للشك طريقا في ان « العين » اجمع معجم عربي يجب ان يختصر لعالم الثقافة والفكر والتعليم العربي ، ولذلك فهو اختصره ، وحافظ على روحه الاصلية ؛ لانه عالم لغوي تحمل مسؤولية في الاختصار كاملة » .

7

ذلك هو الخليل بن احمد الذي اضاف الى جمال وعذوبة اللغة العربية شيئا اسمه المعجم ، والذي اضاف الى ادبها شيئا اسمه العروض .

وعلى الرغم من ان ثمة اقوال كثيرة في ان «العين» ليس من تاليف الخليل للتنقيص من سمعته ، فان النقاد اللغويين المشارقة والمغاربة قد اثبتوا ان هذه الاقوال لا ترمي فقط الا للتقليل من سمعة الخليل .

ومهما يكن من امر فان الخليل سيظل الى الابد علما من اعلام الفكر العرب الذين خدموا اللغة العربية وادابها ، وممن الذين عملوا على نشرها ، وارتقائها الى الدرجات المثلى التي لن تنقل اليها اي لغة حية اخرى بعد ، بواسطة معجمه العين ، واختراعه للعروض على الرغم من قدم اكتشافاته العلمية التي يرجع تاريخها الى اكثر من الف سنة.

فللعرب والعروبة ان تفتخر برجل جليل الذكر اسمه الخليل بن احمد الفراهيدي .

محمد اديب السلاوي

«1» هذا المعجم صدر عن وزارة الشؤون الاسلامية تحقيق الاستاذ علال الفاسي ومحمد بن تاويت الطنجي

صيانة الوثائق وأهميتها في التاريخ

للأستاذ : محمد كليطو

- 4 -

كان الحديث ولا زال موضوعه هو الوثيقة عبر العصور ونظامها الايجابي كلما التجأ اليها الباحث ، والوثائق كانت تسهر عليها ادارة القانون ، لكن لما اخمدت نيران الثورة واستتب الامن واستقر الحكم ، اقتضى الامر باسنادها لمن هو اهل لها ، وشاتها من اختصاصاته الا وهو (وزير المعارف والعلوم) لان مامورية الوثائق كانت جديرة بان تسند من حين لآخر الى اشخاص تتلاءم مصلحة الظروف مهامهم بها ، كما كان ذلك عند الاسلام في القرون الوسطى ، اذ كان المنوط بها وبشؤون المكتبة كاتب ديوان الانشاء ، وكاتب السر ـ كاتمه ـ ثم تكلف بها صاحب البريد اي بما يعرف الآن بمكتب الضبط ، وبعد كلف بها مجلس الاوقاف الذي كان ينفق على التعليم ويسهر على محافظة المساجد التي كانت تعد بمثابة المدارس ، والداعي الى ذلك هو لما اصبح اهل البر والاحسان يوقفون ما لديهم من كتب ووثائق لفائدة التعليم ونشر الثقافة ، وقد استمر هذا النظام في الاسلام وفي كل قطر عدة قرون الى ان تطورت الاحوال ، فاصبحت المكتبة والوثائق من اختصاص وزارة التربية الوطنية في كافة البلاد العربية .

انفصال الوثائق عن ادارة القانون

كانت المستندات منذ زمان بعيد يدير شؤونها الملك او القيصر ثم تسلم امرها في العصر اليوناني وزير المالية وفي العصور الرومانية اصبحت في حيازة الملك ، وكانت الملوك هي التي تسهر عليها وتنقلها معها في الاسفار وحتى في الحروب وكم من وثائق ومكتبات نكبت غير ان فرنسا لما اصيبت وثائقها في واقعة « فريتفال » قررت ان تضعها بقصر « اللوفر » وكلفت بالسهر عليها مسؤول ، وفي كل وقت كان الملك يعين عليها محافظا بمرسوم يصدره ، واخيرا تكلف بها الاستاذ « كاميس » المذكور سابقا والمحامي للبرلمان ونائب مدينة باريس وفي 28 ماي من مطلع القرن التاسع عشر انفصلت من الهيئة القانونية (وتكلفت بها وزارة الداخلية الى حوالي سنة 1887 .

فصدر مرسوم بتاريخ 14 ماي سنته جعل امر الوثائق من شأن وزارة التربية الوطنية وانيطت بها ادارة مستقلة بشؤونها الخاصة والعامة (الفنية والمادية والادبية) نظرا للاطار المتوفر في الرجال الاكفاء لتقيام بتسيير هذا العمل ، وعلى اثر ذلك صدر مروسم يحتم على جميع الوزارات ان تدفع مستنداتها لدار الوثائق الوطنية ، ومعلوم ان المراكز التابعة لهذه الاخيرة في كل بلد لها فرع ستنال حظها من كل مصلحة ادارية بدائرة الاقليم ويفرض النص المذكور ان تدفع الوثائق بانتظام في اجل معين بعد مرور زمن على انتدابها ثم اردفه بند آخر بتاريخ 21 يناير 1801 يقضي بفسخ العقدة المبرمة والمشار اليها من قبل، فتوقفت اللجنة الموقتة التي كانت انيطت بتصفية الاوراق ، ونظرا لعملها المثمر صدر قرار بتاريخ 23 اكتوبر 1801 ينص بتوظيف اشخاص من تلك اللجنة في سلك موظفي ادارة الوثائق .

وبعد حين انشاء مكتب خاص للمآثر التاريخية وبعد لقب بالقسم القديم ، جمع هذا القسم مفردات من النوادر ما يعجز القلم عن وصفها لكثرة وفرتها وما فيها من اشياء ملموسة يرجع البعض منها تاريخه الى القرن السابع الميلادي وتنحصر وثائقه الى فجر الثورة الفرنسية . ووضع بجوار هذا القسم جناح خاص يطلق عليه متحف تاريخ فرنسا مملوء بالنفائس والاشياء التاريخية التي لها شأن وثيق مع التاريخ المدون .

قصر سوبيز (Soubise) مقر الوثائق الدائم

لما توفى الاستاذ « كاميس » خلفه «ضونو» (Daunou) سنة 1804 وبعد تعيين هذا الاخير بأربعة اعوام نقل مستودع الوثائق من قصر اللوفر الى قصر سوبيز وهو المقر الدائم والحالي ويسمى : الوثائق الوطنية الكائن بشارع الوثائق زنقة فرنك بورجوا بباريس .

وكان ذلك بتاريخ 6 مارس 1808 واثناء هذه الفترة تضجرت الادارة من كثرة الاعمال وتراكم الاوراق حيث كانت تتوارد عليها بكثير ، وكان جلها قد فرضته ظروف سياسية في الداخل واحداث تاريخية من الخارج فبعد التصدير والتأميم ، كان القائد « نابليون » يغزو ويحتل الاقطار ويأمر بنقل الوثائق من مكانها ويبعث بها الى باريس لانه اراد ان يمركزها ويجعل من وثائق اوربا وثائق عامة ومركزها الرئيسي قد يكون بباريس وفعلا نقلها من فيانا (Vienne) وسيمنكا (Simancas) وغيرهما ، من جميع عواصم اوربا التي قهرها بسيفه ، وذهب المحافظ « غونو » الى الفاتيكان (Vaticane) سنة 1811 للتنقيب عن الوثائق هناك . وعلى ضوء القرار الذي رفعه الى القائد الذي اصبح امبراطورا على فرنسا امره بارسالها وتأميمها بباريس فنقلت على عربات يجر كل واحدة منها ست بغال واربعة ثيران تحت حراسة الجند ورجال الدرك وبهذه التنقلات كانت الاشغال تزداد في كل يوم والاعمال قائمة رغم ان الاوراق تتدافق بدون انقطاع ولا فتور حتى ملئت المخازن ومجوفات العمارات وتجاوزت الحدود الى ان اصبحت مكدسة في الردهات والاروقة ، وبنيت مخازن اخرى واكتريت اماكن مجاورة للمركز ، ولما ضاق النطاق امر الامبراطور ببناء مكان ضخم على ضفة نهر السين (Seine) يكون لائقا وصالحا لضم هذا السيل الدافق من الورق ، لكن ما كاد يتيسر التصميم حتى توقفت حملة الغزو وطلبت الدول برد تراثها المغصوب فمنه ما عاد معجلا ومنه ما رجع مؤجلا . فاسبانيا مثلا لم تسترجع وثائقها الا حوالي سنة 1938 عندما توسط سفير فرنسا باسبانيا — المرشال بيتان — لدى حكومته يطلب من رئيس الدولة الاسبانية الحالي الجنرال فرانكو وبالفعل وفق السفير في مسعاه ورجعت الاصول الى مخازنها بعد ما التقطت عدسة التصوير اشرطة من تلك المجموعة التي مر على سلبها قرن ونصف من الزمان .

ولقد كلف على فرنسا نقل وثائق الفاتيكان وحدها ذهابا وايابا في ذلك الحين مليونا ومائتي الف فرنك اي ما يعادل الآن عشرات الملايين من الفرنكات وهكذا مر القرن التاسع عشر حافلا بنشاط غير منقطع ، ولا زال استمراره قائما الى حد الآن .

وخلال هذه الفترة تفرعت اقسام عديدة واختص كل قسم بمادة من فنون الوثائق تحت اشراف محافظ مسؤول وادخلت تحسينات على نظام الترتيب وبذلك ازدهرت حقول هذا العمل واعطيت ثمراتها ، ومن ثمة تعددت انواع فنون الوثائق .

ولقد جاء في الاحصائيات عند ما كان « ماشوات » مديرا عاما ان عدد الوثائق بباريس وحدها كان بليغ الوفرة اذ كانت تبلغ المسافة على الرفوف بخمس وعشرين كيلومترا ، وفي سنة 1948 كانت تقدر مسافتها بمائة وثمانين كيلو مترا (ذلك هو التعبير الاصطلاحي الذي يفهم به عدد كمية الوثائق) ورقة بعد ورقة .

اما الآن فان جميع المصالح والمؤسسات تدفع اوارقها في كل وقت بانتظام ، وقد توسعت دور الوثائق بكل ما كان متأخرا ومتراكما بين جدران الادارة ، وان مسافة الرفوف الآن في باريس — بجميع الاقسام تعد 580 ك . م . ما بين القديم والحديث .

اقسام فروع ادارة الوثائق . واختصاصاتها وفنونها

بدار الوثائق الوطنية ادارة عامة مستقلة بشؤونها ، وتسهر من الناحية الفنية على جميع الاقسام والفروع التابعين لها بالمراكز الاقليمية ، ويشرف عليها من وجهة عامة مدير عام المسيو « بريبان » (Braibant) وهذه الادارة رغم انها مستقلة فلها اتصال متين بوزارة العلوم والمعارف لكونها اليها تنتمي ، واقسامها متعددة يدير كل واحد منها محافظ مستقل بشؤون ادارته فنيا وماديا ويساعده — طبعا — اشخاص فنيون جلهم تخرجوا من المدرسة الخاصة بهذا الفن — مدرسة شارط — (Ecole de Chartes) وهم في نفس الوقت اساتذة فيها يقومون باعطاء دروس للطلاب الذين يريدون التخصيص في علم الوثائق ونظام الخزائن العامة او الخاصة ثم التخصيص في ممارسة مهنة الورق وفك الخطوط الرديئة التي لا تقرأ والتي يتغير شكلها بحكم تطور اساليب الخط عبر مراحل العصور .

وهذه المدرسة قد كونت فحولا افذاذا تخصصوا في علم التاريخ القديم والحديث والتشريع القضائي .

والاقسام الرئيسية بدار الوثائق الوطنية تحتوي على وثائق ما قبل الثورة ، وهي بالقسم التاريخي والقسم القضائي والتشريعي والقسم الاداري ، وحدث فيما بعد للسكرتارية قسما ليقوم بتنظيم مالية الادارة وفروعها وتكوين مكتبات بدور الوثائق وتزويدها بجميع الارشادات ، وبعد فترة من الزمان احدثت اقسام اخرى عصرية تفصل وثائق ما بعد الثورة من الاقسام القديمة كالوثائق الادارية العصرية والتشريعية الحديثة واقتضت المصلحة بانشاء فروع اخرى تتلاءم مع تطور الاحداث والنظام الاداري .

اما وضعية نظام الوثائق فهي لا تختلف مهما تعددت انواع فنونها واقسامها ، ولكل قسم من الاقسام فهارس خاصة في اوراق متحركة ، ومنها المطبوعة في كتب تطبع وتوزع على المصالح العامة ودور الكتب ثم تعرض للبيع لمن يرغب في الاطلاع عليها ، وبالادارة العامة فهرس يشتمل على جميع ما هو موجود من وثائق اقليمية في ربوع البلاد ، وهناك قسم للارشادات وقاعة للنقل — او المطالعة — يجد القارئ فيها جميع الفهارس المطبوعة .

ولقد ظهر اول فهرس مطبوع « بفرنسا » في منتصف القرن الماضي قام بنشره المحافظ « ليون دو لابورد » (Léon de Laborde) ويشتمل هذا الكتاب على ايضاحات مستوفية وعما اكتشف من وثائق قديما وحديثا ، وكانت الغاية من نشره تهدف الى تنوير الفكر العام والتعريف بمدى اهمية هذا التراث ، ويحتوي الفهرس على نبذ تاريخية مفصلة تفصيلا دقيقا بجميع المراحل منذ عصور قديمة .

القســم القــديــم :

هو اول قسم جمع الوثائق العتيقة ونظرا لأهميته يلقبه الفرنسيون : (قديس القديسين) لانه يشتمل على عدد لا يستهان به من النوادر العتيقة ، ومن جملتها اقدم وثيقة على البردي يرجع تاريخها الى سنة 627 ميلادية اي بعد هجرة الرسول عليه السلام بخمسة اعوام ، والوفرة الهائلة من هذا القسم ، فتاريخها قديم للغاية بالنسبة لتاريخ الامة وان بدايتها تبدأ من اوائل القرن التاسع ونهايتها تنحصر الى عصر اندلاع الثورة واخمادها (1790) ، ومن جملة ما ضم هذا القسم منذ القرن السابع عشر مستندات الوزارات الآتية :

1) البحريـــة .
2) الحربيـــة .
3) الشؤون الخارجيـــة .
4) شؤون ما وراء البحار .

والنظام الجاري به العمل منذ التأسيس وانضمام هذه الوثائق الى حوزة الادارة لا يسمح لأي باحث ان يميط اللثام عن اسرار مستندات للوزارات المذكورة والداخلية ايضا الى بعد مرور قرن كامل عليها وفي حالة ما اذا كان هناك اذن خاص من وزيرها فيسمح للباحث ان يميط اللثام عنها . ولقد انفرد القسم القديم بميزة لها اهمية منقطعة النظير لكونه نبعت منه حركة ثقافية ومنه انبثق تاريخ الامة ، ومن ذخائره استمد الكتاب آدابا رائعا واكتشف عن كل ما كان غامضا واتسع ميدان السياسة والاقتصاد وتطورت بذلك روح اجتماعية وقادة ، ومما زاد هذه الكنوز رونقا واستفادة ، النظام البديع والترتيب الذي يسهل على الباحث ان يدرك ما يقصده في ثوان معدودة .

وقد لاحظت ان في هذا القسم مجامع من الوثائق مجلدة منذ ابان حدوثها ، وان كل جزء مرتب ترتيبا موضوعيا وتاريخيا ، بل حتى الاضابير وضعت في صناديق خصوصية ويشملها نظام يتصل بعضها ببعض فنا وموضوعا ، وعند ما يلقي الزائر نظرة على الرفوف يجدها كأنها بنيان مرصوص والاوراق مرتبة اقساما وفصولا على اختلاف العلوم والفنون فمثلا : نجد حرف ـ ج ـ (J) يحتوي على صكوك وشروط واتفاقيات دولية ، وحرف ـ ك ـ (K) نجده جامعا للمآثير واوصافها التاريخية ، وهذا ما يهدف اليه بالضبط كل قارىء و باحث في علم التاريخ والآثار ، وحرف ـ ج ـ (G) خاصا بشؤون ادارة المالية ، مداخلها ومصاريفها واملاك الدولــة والمشاريع الخيرية الخ .

وحرف ـ ب ـ (P) اتصت فيه حسابات باريس (العاصمة) اما حرفي ـ ل ، س ـ (L. S.) فهما يشتملان على وثائق الكنيسة ونظامها وتاريخها ثم تراجم الرهبان والاساقفة ، والدور الذي لعبه كل واحد منهم ثم الطقوس الدينية بشتى مذاهبها ونشاط الطوائف وشعبها وطرق البر والاحسان في الحرب والسلم ، وبذيل هذا القسم توجد وثائق تحمل حرفي ـ ط ط ـ (T. T.) فهي خاصة بالمذهب البروتيستاني ونشاطه منذ نشأته .

ولنرجع الى ما ذكر في بداية هذا الفصل عن الوثيقة التي يرجع تاريخها الى القرن السابع المسيحي ، فان هذه الذخيرة هي على ورق البردي (Papyrus) وضعت بخزانة خصوصية بين زجاجتين .

وفرنسا تتباهى بها اذ تعدها اقدم وثيقة تاريخية باوروبا وفحوها : ان الملك « كلوطير الاب داجوبير » (Clotaire Dagobert) يؤكد فيها ان كل ما ترك التاجر جان (Jean) من متاع هو لفائدة القديس «دونيز» (Denis)

وبصدد هذا فلا ينبغي لي ان اغض الطرف عن مذاكرة جرت بيني وبين محافظ اقليمي حول هذه الوثيقة اذ قلت له بعد ما نوه لي بها اكثر من غيرها : لقد شاهدت اقدم منها بمتحف « اللوفر » وتاريخها يرجع الى اقدم العصور بالنسبة اليها والعرب ايضا لهم نفائس عريقة في القدم . ـ فاجابني بما يلي: ان في كل دولة وثائق قديمة كالتي شاهدتها بالمتاحف المذكورة وغيرها ولكن لا علاقة لها بتاريخ الدولة والشعب ، ففي مراكش (المغرب) كما في تركيا وباقي الممالك الاسلامية او غير الاسلامية وثائق قديمة جدا ولنضرب مثلا بتركيا ان لديها وثائق عربية عتيقة تتعلق بتاريخ الاسلام وقد جلبتها الخلافة من اماكن اخرى ولكنك اذا درست ما فيها فانك لا تجد لها علاقة بتاريخ القطر الموجودة فيه وكذلك في الاقطار الاخرى بينما وثيقتنا خاصة بتاريخ الدولة والامة ويرجع تاريخها الى ضحى الاسلام .

الرباط ـ محمد كليطو



مظاهر الحضارة البربرية

للاستاذ عبد الحق المريني

لما قلت الدراسات باللغة العربية حول موضوع تاريخي هام كموضوع « البرابرة وحضارتهم » احببت ان اقدم للقراء الاعزاء نظرة خاطفة عن بعض مظاهر الحضارة البربرية مع العلم انني لم اوف الموضوع حقه ، راجيا ان يكون هذا البحث بمثابة افتتاح لدراسات مستفيضة حول هذا الموضوع التاريخي الهام .

اصل البربر : لقد اعتاد المؤرخون ان يشرحوا معنى كلمة بربر فقالوا انها مشتقة من كلمة Barbarus اي الشخص الثائر المتصف بصفات الهمجية ، وقد سبق للرومانيين ان اطلقوا عليهم اسم Barbares بينما كان البرابرة يطلقون على انفسهم كلمة « امازيغن » جمع « امازيغ » اي شريف (Noble) واذا بحثنا عن معنى كلمة « لمتة » — على سبيل الاستطراد — تلك القبيلة التي شاركت المرابطين في غزو المغرب نجد معناها « شريف ») .

وقد قسم ابن خلدون البرابرة الى قسمين رئيسيين :

1) البرابرة البتر : اي المحرومون من الابناء او المصابون بداء العقم او الحاملون البرانس البتراء (اي بدون قب) واهم فروعهم نجد « زناتة » ذلك الاسم المشتق من الكلمة البربرية « اجناتن » ، وقد تأثر الزناتيون بالعرب فعاشوا تحت الخيام ، وربوا الجمال ، وركبوا الخيل مستعملين الدروع الجلدية ، والسرج المرتفع ، والركاب العالي ، كما انتشروا في المغرب الكبير ثم انتقلوا الى اسبانيا ، وقد اقتبس الاسبانيون عنهم عاداتهم الحربية ، واليهم ينتسب بنو مرين .

2) البرابرة البرانس : فقد قيل ان كلمة برانس مشتقة من كلمة « برنوس » اي (السلهام) واهم فروعهم « مصمودة » الذين كانوا يقطنون بالاطلس الكبير والمتوسط ، واليهم تنتسب الدولة الموحدية — و « صنهاجة » وقد اشتق اسمهم من الكلمة البربرية « ازناكن » واهم فروع صنهاجة « لمتة وكزولة ولمتونة وجدالة » واليهم تنتسب الدولة المرابطية ومن فروع صنهاجة كذلك الطوارق الصحراويون . وصنهاجة الجزائر (القبائل) التي ساعدت الفاطميين على تأسيس دولتهم بالمغرب الادنى — كما سيأتي ذكره — و « كتامة » التي انتقلت مع الفاطميين الى مصر و « اوربة » التي كانت تسكن جبال الاوراس تحت قيادة كسيلة ، ثم نزحت الى المغرب وساعدت الدولة الادريسية على نشر رسالتها به . والخلاصة ان الزناتيين كانوا يمثلون البتر والصناهجة البرانس ، والخلاف بين الزناتيين والصناهجة الذي تحدث عنه المؤرخون كثيرا ليس هو في الحقيقة الا خلاف بين البرانس والبتر في سياسة الحكم وفي طرق الكسب وحتى في الوضع الاجتماعي حيث ان البرانس كانوا بربرا مستقرين يعيشون على الزراعة بينما كان البتر رحالا يعيشون على الرعي .

والبرابرة اسيويون لا افارقة ، هاجروا من ربوع الشام حيث جمعتهم مع ابناء عمهم الكنعانيين بعد الفتح الاسلامي مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة » . وذكر Dr Le Blanc في كتابه Histoire et Historiens de l'Algérie (1931) بان البربر مزيج من شعوب اوربية واسيوية ، وقد حصل هذا المزيج في عصور مختلفة .

وذكر علماء انتربلوجيون (Antropologistes) ان البربر لم يعدوا السكان الاولين للشمال الافريقي بل سبقهم نوع بشري آخر الى سكنى هذه البقعة من الارض منذ ما يقرب من 500.000 سنة حسب ما تشهد به العظام التي عثر عليها . ويمتد النفوذ البربري ما بين صحراء « سيوا » في الحدود الليبية المصرية الى المحيط الاطلنطقي ثم الى جنوب « نجيريا » .

ويبلغ عدد البرابرة ما يقرب من عشرين مليونا يمثلون « 2 % » من سكان تونس ، و « 30 % » من سكان الجزائر و « 45 % » من سكان المغرب .

وتوجد الكثافة البربرية في الجنوب التونسي وفي جبال «الكابلي» اي القبائل بالجزائر ، وفي الاطلس المغربي والريف

وسوس ـ الا ان من الملاحظ انه لم يوجد في افريقيا اليوم ما يسمى بالجنس البربري نظرا لاختلاط الدم البربري بالدم العربي على ممر العصور ، ولم يبق الا الناطقون باللهجات البربرية مع وجود عناصر اخرى لا تتكلم الا بالعربية .

حضارة البربر البدائية :

كانت للبربر في اول الامر حضارة بدائية مرتكزة على الزراعة والرعي ولم تتطور حضارتهم الا بعد امتزاجهم بالفنيقيين والرومان . لقد كانوا يسكنون في المغاور والكهوف والاكواخ المبنية من الطوب ويتغذون بالكسكس والالبان واللحوم ويلبسون جلود الحيوانات والجبات الصوفية ويتسلحون بالفؤوس الحجرية والحراب .

ولما قدم الفنيقيون الى المغرب اندمجوا مع البرابرة بواسطة المراكز التجارية التي اسسوها عبر السواحل . وانتقلت علاقتهم الاقتصادية بالبربر الى علاقات اجتماعية . فكما اخذ الفنيقيون عن البربر عبادة آلهتهم « تانيت » كذلك اخذ البربر عن الفنيقيين هندسة بناء المنازل واستعمال الفسيفساء وعبادة الكبش واكل الكسكس وعادة الختان ولغتهم القومية .

ولما احتل الرومان المراكز الفنيقية بالمغرب كانت « موريطانيا » اي القسم الغربي من المغرب الكبير تحت قيادة القائد البربري « بوكوس » . وبعد ان تم للرومان ما ارادوا بدأ البربر يتعاملون مع الرومان ، فيبيعون اليهم الاقمشة والاواني الطينية والمصابيح الزيتية . واثناء ذلك تأثر البربر بحضارة الرومان فاقتبسوا منهم بناء الدور (الدار المغربية هي صورة طبق الاصل للدار الرومانية) وبناء الحمامات واستعمال المحرات وكذلك الرسوم الموجودة في فسيفسائهم ، حيث ان رسوم الزربية المغربية هي صورة لرسوم الفسيفساء الروماني .

وتمتاز المرحلة التاريخية التي تفصل المرحلة الفنيقية عن المرحلة الرومانية بانها مرحلة بربرية وطنية تمتعت بنوع من الاستقلال الداخلي تحت ظل حضارة يانعة حيث « ان المدن والضياع ، والمراعي كانت منتشرة من طرابلس الى طنجة » وقد تظهر هذه الطبقة الوطنية ظاهرة للعيان بالخصوص في مدينة « لوكس » التاريخية حيث توجد الطبقات الخمس .

اللهجات البربرية :

تنقسم اللهجات البربرية الى ثلاثة اقسام حسب ما ذكره Bousquet في كتابه Les Berbères :

1) اللهجة الزناتية (تاريفت) التي يتكلم بها الريفيون المغاربة وسكان بعض النواحي الاطلسية والبرابرة الليبيون والتونسيون والجزائريون ما عدا سكان جبال القبائل (Les Kabilies) .

2) اللهجة الصنهاجية (تامزيغت) يتكلم بها رجال القبائل وسكان الاطلس المتوسط وشرقي الاطلس الكبير وشرقي الاطلس المتوسط وناحية ملوية وكذا الطوارق بالصحراء .

3) اللهجة المصمودية (تاشلحيت) يتحدث بها سكان الاطلس الكبير الغربي وكذلك اهل سوس الخ ..

وقد تفرعت عن هذه اللهجات الرئيسية لهجات اخرى ذكر Basset في كتابه La langue berbère انها بلغت 1200 لهجة . هذا ولقد كان البرابرة قبل قدومهم الى المغرب يتكلمون لغة سامية وحامية في نفس الوقت قريبة من العربية وقاموا باختراع حروفهم المعروفة « تفيناغ » على يد ملكهم « مسينيسا » والتي ما زالت مستعملة اليوم بالصحراء عند « الطوارق » . وكما ذكر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتابه « مظاهر الحضارة المغربية » فان اللهجات البربرية المستعملة في المغرب ربما استمد البربر بعضها من السكان الافارقة الذين اتصلوا بهم في طريقهم الى ليبيا .

ولما انتشرت اللغة العربية في المغرب احتكت باللهجات البربرية فاندمجت في هذه اللهجات كلمات عربية عريقة لا تكاد تستعمل الآن كما ورد ذلك في كتاب «مظاهر الحضارة المغربية» وذلك مثل كلمة « اكزيم » ومعناها الفأس الذي كان يسمى بالعربية « القلزم » كما يرجع اصل لفظة « ازرو » البربرية الى كلمة « اصر » العربية ومعناها الحجر . وقد انتقلت عبارات بنصها من البربرية الى العربية مع شيء من التحريف كقولهم « ماتريت » اي ما ذا تريد ؟ . وقد استغنى البربر عن حروفهم وعوضوها بحروف عربية لان العربية اصبحت لغة دينهم ، فمن الكتب التي وضعت بالبربرية وكتبت باللغة العربية يوجد « كتاب الامام محمد بن تومرت » .

« وخلاصة القول ان البرابرة نقلوا من العربية الى جميع لهجاتهم كل ما يتصل بالدين والسياسة والآداب والمجاملات والضيافات ... » وكما ان اللغة البربرية قد تأثرت بالعربية فانها ايضا قد تأثرت باللغة اللاتينية . « فمن الالفاظ اللاتينية الدخيلة مثلا : اسنوس ـ الجحش (من Assinus الحمار) ـ اورتي ـ الحديقة (من Hortus ـ الحديقة) ... » الخ

الا ان هذه اللهجات البربرية المختلفة في المغرب كالسوسية والزناتية والزيانية لم تكن « الرابطة اللغوية » بين جميع افراد الوطن المغربي فيجب ان توحد لغة المغاربة بالعمل على نشر العربية بالتخوم وفي قمم الجبال مع المحافظة على هذه اللهجات البربرية كتراث قومي يعتز به كل مغربي وجعلها بمثابة لغة ثانية تدرس بالمدارس الثانوية وبكليات الآداب والعلوم الاجتماعية

البربر والفتح الاسلامي :

لما تولى معاوية حكم المسلمين ارسل ابا المهاجر لفتح المغرب الاقصى . فعرف هذا الاخير كيف يقنع البرابرة ان من

مصلحتهم ان يكونوا في جانب العرب ، فأسلم زعيم البربر « كسيلة » مع جماعة من قومه وتعاون الجميع على فتح تلمسان والاستيلاء على المدن الساحلية . غير ان هذه السياسة الحكيمة لأبي المهاجر لم يتبعها خلفه عقبة بن نافع الذي عامل البربر بعنف فقر « كسيلة » من جراء ذلك وجهز جيشا لمحاربة عقبة فدارت الدائرة على عقبة وقتل بمكان لا زال يحمل اسمه قرب (بسكرة) وذلك اثناء موقعة « تاهودة » التي دارت رحاها في جنوب قسنطينة ، ودخل « كسيلة » القيروان وظل مستبدا بالحكم في الشمال الافريقي مدة خمس سنوات . ولما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان ارسل زهير بن قيس البلوي لاسترداد القيروان سنة 66 هـ فتم ما اراد ، غير ان قوة بزنطية جاءت لنجدة « كسيلة » اوقعت به وبجيشه ، وحوالي سنة 689 م قتل كسيلة في احدى المعارك . ثم ولى الخليفة حسان بن النعمان الغساني واليا على المغرب فاستعان بالبربر ضد البزنطيين ، غير انه سرعان ما دهمته امرأة بربرية ، وهي الكاهنة اليهودية التي لقبها المستشرق الفرنسي Monteille ب « جان دراك المغرب » . فتراجع حسان الى برقة تاركا الحكم المطلق « للكاهنة » مدة عشر سنوات . ثم بعد ذلك اعاد حسان الكرة ، وفي هذه المرة قتلت القائدة البربرية بمكان قرب فاس يدعى « بير الكاهنة » او كما قيل قرب قابس شرق تونس سنة 82 هـ ولما دان المغرب لحسان عرب الدواوين البزنطية ووزع اراضي البزنطيين على الفلاحة ، وبنى بتونس قاعدة بحرية .

وهكذا ، فكما انتصر زهير على « البرانس » بقيادة « كسيلة » انتصر حسان على « البتر » بقيادة الكاهنة .

ولما عين موسى بن نصير عاملا على المغرب — ما عدا مدينة سبتة التي كانت خاضعة لحاكم قوطي — فدى كثيرا من الاسارى البربر بالمال وعين الكثير منهم في مراكز عسكرية هامة .

ومن اجل تثقيف البربر في الاحكام الاسلامية ارسل عمر بن عبد العزيز سنة 100 هـ عشرة من الفقهاء لهذا الغرض .

الا ان الاسلام لم ترسخ قدمه بين البربر الا بعد ان اصبح مرتبطا بتولي دول البربر الحكم في بلادهم . وكيفما كان الامر فان العنصر البربري لعب دورا هاما في نشر الرسالة الاسلامية لا في المغرب فحسب بل حتى في الربوع الاوربية حيث ان ابن نصير نظم جيشا جرارا من البرابرة وجعل على رأسه القائد البربري طارق بن زياد وارسله لفتح اسبانيا فتم هذا الفتح العظيم . وفي عهد هشام بن عبد الملك نظم الفاتح عبد الرحمن الغافقي جيشا من البرابرة والعرب ، واراد فتح قسطنطينية من الغرب فتقدم في فتح بلاد « الغال » (فرنسا) ووصلت ساريته الى « صانص » ولكن كان ما كان مما لست اذكره عن قصة « بواتيي » وشارل « المطرقة » .

وعلى كل فقد استغرق الفتح الاسلامي للمغرب العربي ما يقرب من ثمانين سنة فان دل ذلك على شيء فانما يدل على مناعة الارض المغربية من جهة وعلى شجاعة البرابرة وشدة باسهم من جهة اخرى .

البربر والخوارج :

قاوم البربر الحكم العربي ، وذلك لما عزم عبد الله المرادي تخميس البربر خارقا بذلك مبدأ المساواة بين العرب والبربر حيث اعتبر البربر فيئا للمسلمين . فثار البربر ضد حاكميهم تحت قيادة « ميسرة المدغري » — وفقا لشعار مذهب الخوارج . ذلك ان هذا المذهب لقي عند البرابرة نجاحا كبيرا لانه يناسب وضعهم السياسي والاجتماعي — كما يقول استاذنا الدكتور احمد مختار العبادي — فاعتنقوه كوسيلة لتحقيق اهدافهم : ففي تافيلالت اقاموا الدولة المدرارية الزناتية التي اتخذت سجلماسة كعاصمة لها (757 م) كما اسسوا دولة الرستميين بمساعدة الخارجي الفارسي عبد الرحمان بن رستم في « تاهرت » من عمالة وهران (787 م (160) هـ . ولكن لما جاء الفاطميون الشيعة قضوا على هذه الدويلات الخارجية البربرية ففر الخوارج واستقروا بسدراته قرب « وركلة » بناحية المزاب التي اسسوا فيها ما يقرب من سبع مدن .

البربر والشيعة :

ازاء هؤلاء البربر الخوارج كان هناك برابرة شيعة : فلم يستطع الفاطميون ان يؤسسوا دولتهم بالشمال الافريقي الا بمؤازرة البرابرة الصناهجة الشيعيين . وبعد ان انتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر بقي الصنهاجيون يدافعون عن الدعوة الفاطمية الشيعية ويحاربون الزناتيين كدعاة للمذهب الخارجي وكممثلين للسيطرة الاموية بافريقيا .

ولكن سرعان ما اعلن الزيريون (Les Zirides) — نسبة الى زيري بن مناد الصنهاجي — استقلالهم عن النفوذ الفاطمي وكونوا دولة زيرية جديدة بتونس وشرق الجزائر مؤسسين مدينة « اشير » كما اسس الحمداويون دولة الجزائر فارسل اليهم الفاطميون — كرد فعل لعصيانهم — بني هلال وبني سليم ليخربوا بلادهم ويهلكوا الزرع والضرع فتشتتوا في المغرب الكبير كالجراد — كما قال ابن خلدون — وقاموا بتخريب البلاد لكي يسودوا فيها .

تعريب البربر :

وكيفما كان الامر فانه كان لهاتين القبيلتين بني هلال وبني سليم اثر فعال في تعريب البربر تعريبا شاملا وكذلك لبني معقل الذين وردوا الى المغرب في عهد السعديين ، الا ان المرابطين والموحدين قاوموا هؤلاء الاعراب المخربين حيث انتصر عليهم موحد المغرب الكبير الاول عبد المومن الموحدي

قرب سطيف (Sétif) في سنة 1152 م . كما قضى على شوكتهم المرينيون بالقطر التونسي .

فكما ابتدأ تعريب البربر على يد الاندلسيين والقرواتيين الذين تقاطروا على المغرب بعد تأسيس مدينة فاس في عهد الادارسة استمر على يد هؤلاء الاعراب ثم ايضا على يد الاندلسيين الذين نزحوا الى المغرب بعد غروب « غرناطة » .

الــدول البربـريــة :

لم تستقر الاوضاع في الجزيرة الافريقية كما كان يسميها العرب الا بعد ان حكم البربر انفسهم بانفسهم كما سبقت الاشارة الى ذلك وهذه الدول البربرية هي :

الدولة المرابطية : هي من قبيلة لمتونة الصنهاجية خرجت تدعو من رباطها الى الدين الاسلامي الصحيح محاربة كل انواع البدع والضلالة . ولم يعرف لحد الساعة اين كان يوجد هذا الرباط هل في السنغال ام في نيجريا ام في موريطانيا . وقد تأسست على يد عبد الله بن ياسين . وقد نبغ من بين احضان هذه الدولة ابنها البار يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش والمنتصر على الاسبان في موقعة الزلاقة الشهيرة .

الدولــة الموحديــة : وما ان ظهرت بوادر انهيار الدولة المرابطية حتى خلفتها الدولة الموحدية التي دعت الى التوحيد في كل شيء تأثرا بآراء المعتزلة اهل العدل والتوحيد. هي من قبيلة مصمودة البربرية ومؤسسها ابن تومرت . وقد نبغ منها البطل عبد المومن الموحدي رائد الوحدة الافريقيــة حيث حرر تلمسان وافريقيــة (تونس) ــ والمنتصر على الاسبان في موقعة الارك (Alarcosse) . وبقي الموحدون في الحكم حتى قضى المرينيون على آخر امير موحدي في معسكرهم « تينمل » وعند سقوط الدولة الموحدية تكونت ثلاث دول مستقلة في المغرب الكبير : الحفصيون في « تونس » (عاصمتهم تونس) وبنو عبد الواد او بنو زيان او يغمراسن في الجزائر (عاصمتهم تلمسان) والمرينيون في المغرب (عاصمتهم فاس) .

الدولة المرينية : هي من قبيلة زناتة البربر وقد امتاز عصرها بنهضة ثقافية حيث بنت في كل مدينة من افريقيا مدرسة لنشر الثقافة والافكار الصوفية . كانت هذه المدارس بمثابة رد فعل للدعوة الموحدية التي كانت تميل الى مذهب الغزالي الذي حاربه المرابطون من قبل ــ ثم توالت على المغرب فيما بعد الدولة السعدية العربية كاختها الدولة الادريسية ــ اول دولة في المغرب المسلم ــ . وتمتاز الدولة السعدية بمحاربتها للتفوذ التركي والوقوف في وجهه . ثم اتت الدولة العلوية الزاحفة من الصحــراء .

مقاومـة البربـر للاحتلال الاجنبـي :

بقي البربر متسمين بعدائهم القوي لكل دخيل عنيد . حتى ان نابليون بونابرت كان عازما على غزو البربر ولكنه عدل عن ذلك . فقاوم البربر الجزائريون الاحتلال الفرنسي بقيادة الامير عبد القادر الجزائري ، وذاق الفرنسيون الامرين من جراء هذه المقاومة الشديدة مما لا داعي للتفصيل في هذا الموضوع . وقاوم البرابرة التونسيون المحتل مقاومة سجلها التاريخ بمداد الفخر . وكان لبرابرة المغرب دور تاريخي هام في الكفاح ضد السيطرة الاجنبية اي ضد « ايرومين » بكل ما اوتوا من قوة . وقد امتاز من بين قادة هذا الكفاح موحى وحمو الزياني حامي خنيفرة وعدو وتناس قائد معركة اكادير .وموحى اسعيد ، بطل تادلة ، وعلي امهاوش محرر الاطلس ، ومحمد ابن عبد الكريم الخطابي محرر الريف ، واخيرا الابطال « الكوم » الذين اوقفوا الزحف الالماني في عدد من الجهات وكانت لهم اليد الطولى في اعادة السلام الى العالم في الحرب الكونية الاخيرة . وقد تحالف بعض القادة البربريين الكبار كالكلاوي والمتكي والكندافي مع فرنسا . ولكن كيفما كان تحالفهم ومصيرهم فانهم يمثلون تلك « النخوة البربرية » ولو كان ذلك على حساب البرابرة انفسهم .

المجتمـع البربـري :

1) الديانـة : لا يعرف المؤرخون كثيرا عن دين البرابرة القديم . وكل ما يعرف انه عبارة عن مجموعة من الطقوس الدينية المختلفة يمارسها البربر لاجل نزول المطر مثلا وقد حاول بعضهم ان يحصي انواع هذه الديانات فقال بان المسيحية كانت توجد في شمال المغرب ، والوثنية بالجنوب والجبال ، واليهودية بالداخل (الدليل على وجودها الكاهنة اليهودية) . ثم ظهرت ديانة اخرى وهي الديانة البرغواطية اسسها صالح ابن طريف وهي خليط من التعاليم المسيحية والاسلامية واليهودية الى جانب العادات البربرية ، كتب قرآنها باللهجة البربرية . وقد استأصل هذه الديانات الامير ابن بكر عمر المرابطي . وبما انها كانت منتشرة انتشارا سطحيا فقد استطاع العرب ان يجذبوا البرابرة الى الدين الاسلامي بسهولة . وقد استطاع الادارسة والمرابطون ان يقضوا على جميع العادات المختلفة التي لا ترتكز على اساس ونشروا الدين الاسلامي خالصا من كل شائبة وصار هذا الدين هو الدين الرسمي للدولة المغربية بدون جدال ... وما زال ... ؛ ولكن الحماية الفرنسية بنت سياستها على اساس فكرة ان البربر لم يعتنقوا الاسلام الا ظاهريا ، فأصدروا ما يسمى بالظهير البربري سنة 1930 وهذا الظهير يخرج البرابرة من دائرة القضاء الشرعي ويؤسس لهم محاكم عرفية لا تحكم الا بالعرف والعادات القديمة في موضوع الاحوال الشخصية والعقار اما الاحكام الجنائية فكانت تحال على المحاكم الفرنسية .

واصل هذا الظهير الذي كان قطب دائرة السياسة البربرية هو ان المقيم العام « لوسيان سان » كان محاطا بجماعة عرفت « بالكتلة البربرية » وكانت هذه الجماعة تدعو الى فصل البربر عن حكومة المخزن بحجة ان هذه الحكومة لا تمثل سوى العرب من سكان المغرب ، ولكن هدف الكتلة كان هو تجريد السلطة المخزنية من بعض سلطاتها من جهة وادماج البربر في البيئة الفرنسية من جهة اخرى مع احياء اللغة البربرية عن طريق كتابتها بالاحرف اللاتينية . كما عينت الكتلة مبشرين مسيحيين كقضاة في « مجالس الجماعة » التي تحولت الى محاكم مدنية مما يدل على ان الهدف المنشود من وراء هذا الظهير هو تنصير البربر ، وانسست مدارس بربرية كانت خلايا للسياسة الفرنسية. ومن هنا اصطدم الظهير البربري بمعارضة شديدة من قبائل البربر ذاتها فضلا عن رد الفعل من جانب كافة المغاربة ومن العالم الاسلامي ايضا حيث قامت مظاهرة في الرباط بحي بوقرون واخرى بفاس حول الضريح الادريسي دعا اصحابها الله ان لا يفرق بينهم وبين اخوانهم البرابرة ، كما طلب الامير شكيب ارسلان من الدول الاسلامية مقاطعة فرنسا احتجاجا على سياستها « فرق تسد » المتبعة في المغرب ، فكانت هذه المظاهرات فاتحة عهد الكفاح الذي دام ما يقرب من نصف قرن في سبيل تحرير البلاد وتوحيد الصفوف . ومع ذلك لم تكف فرنسا طوال عهد الحماية عن استغلال كل مناسبة لبعث « السياسة البربرية » من جديد كما حدث مثلا عند الازمة المغربية في سنتي 1951 و1953.

والخلاصة ان فرنسا لم تقم « بظهيرها البربري » هذا في الحقيقة الا بدور اساسي في ولادة « القومية المغربية » ولم تسع الا في تعزيز الروابط بين المغاربة البربر والمغاربة العرب الذين يظلهم دين واحد مما يدل على فشل سياستها الذريع واهم مظهر لهذا الفشل هو انقلاب ثانوية ازرو التي كانت بمثابة مركز « السياسة البربرية الفرنسية » الى مركز من نوع آخر لم يكن دعاة « السياسة البربرية يحسبون له حسابه .

2) اسلوب الحكم — الجماعة : هو مجلس للاعيان (انحطارين) ج انحطار الذي يسير القبيلة او الدوار سياسيا واقتصاديا ويبت في الدعاوي المقدمة اليه بمقتضى قوانين شفوية او مكتوبة تسمى « الازرف » في المغرب « والكانوني » في الجزائر . كما يسميها بعض البرابرة بالمغرب « الكيض » اي الوثيقة المكتوبة على (الكاغيط) . وقد يقوم بتنفيذ قرارات هذه « الجماعة » اشخاص يدعون « بأمازين » . وفي حالة الحرب كانت « الجماعات » تسلم جميع سلطاتها الى شخص تتوفر فيه جميع شروط القيادة يدعى « بأمغار » اي الشيخ ويجمع على « امغارين » . وقد يبقى على راس قبيلته يتخذ الاجراءات الضرورية حتى تنتهي حالة الطوارىء فكانت القبيلة البربرية بمثابة جمهورية صغيرة ، لها وحدتها السياسية والاقتصادية ايضا .

3) نظام العائلة البربرية :

تتركب الاسرة البربرية من الاب والام والابناء وكذلك من اعضاء اجنبيين يدعون « امحوارس » جمع « امحارس » يسكنون تحت كفالة الاسرة باذن من « الجماعة » . يترأس الاسرة الاب او الجد وهو الذي يمثل العائلة في « الجماعة » ويسمح للابناء ان يستقلوا عن آبائهم اذا ما تزوجوا ، اما الفتيات فانهن لم يتزوجن الا داخل الدوار الذي ينتسبن اليه . وعند ما يموت رئيس الاسرة تنتقل سلطة الاسرة الى الابن الاكبر او الى الجد او الى العم .

لا يوجد عند الاسرة ملك فردي بل الملك هو جماعي يملكه جميع افراد الاسرة ، وتقسم ارباح الملك على جميع اعضاء الاسرة بكيفية عادلة وعند ما يموت اب الاسرة يرث الذكور ويمتنعون عن توريث امهم واخواتهم حتى لا يستفيد الاجانب عن القبيلة من متاع الاسرة .

وقد تنتسب مجموعة من الاسر الى دوار معين اي الى « تكمي » الذي يكون وحدة سياسية واقتصادية وتسيره « الجماعة » . ومجموعة من « تكمي » تؤلف ما يدعى « باخس » ويجمع على « اخسان » وهي مجموعة القبيلة او « تاقبيلت » .

المرأة البربرية :

تمتاز المرأة البربرية بالصرامة والجمال الاخاذ والعفة والرجولة ، تتحمل المتاعب بصدر رحب فتعين زوجها على جميع ما تتطلبه الحياة من اعمال فتعمل معه في الحقل نهارا وتقوم بشؤون بيتها ليلا .

وقد تشارك المرأة البربرية احيانا في « مداولات الجماعة» وتكون من وراء الرجل في حالة حرب تشجعه وتمده بالمؤونة والسلاح وتضمد جراحه .

والمرأة البربرية لا تستعمل الحجاب ولكنها تتحاشى الملاقاة مع الرجال وخصوصا الاجانب عن القبيلة . وقد تقام اسواق خاصة بالنساء كما هو الحال في بعض النواحي الريفية .

الفنون البربرية :

1) الفن المعماري : يوجد في الاطلس ما يسمى « بتغرمت » اي الدار المحصنة وهي دار مربعة مكونة من طابقين وتقوم في اركانها الاربعة ابراج تستعمل من اجل الدفاع وكمخازن للمؤن ايضا . كما يوجد ما يسمى « بايغرم » اي المخازن المحصنة تبنى في مواقع استراتيجية عالية وتستخدم ايضا كمستودعات للمؤن وكفمع يلجأ اليها في حالة خطر .

وهناك نوع آخر من المستودعات يدعى « اكادير » جمع « اكدرين » وهو عبارة عن صري كبير وقد تقام حوله ابراج

ويحتوي في بعض الاحيان على مسجد ودار «للجماعة» وغرف للحراسة وصهريج لحفظ الماء كما جاء في كتاب « الفن المغربي » للاستاذ بنعبد الله .

2) الصناعات التقليدية البربرية : نبغ البرابرة في كثير من الصناعات فتنسج النساء البربريات الاطلسيات زرابي مبثوثة ، ويهتم بعض سكان الاطلس المتوسط بطرز السروج ، ويصنع نجارو قبائل (زمور الشلح) جميع الاواني الخشبية وتقوم الريفيات بنقش الاواني الخزفية . هذا ويعتبر البربريات المغربيات كلهن ماهرات في فن غزل الصوف كما تمتاز البربريات التونسيات والجزائريات بصناعة الاواني الفخارية وتزويقهـــــا .

3) الادب البربـــري :

ا) النثـــر : ازدهر النثر البربري ازدهارا وخصوصا في قعر سوس ، وقد تناول بالخصوص المواضيع الدينية ، وقد برز في هذا الفن موسى وعلي ، كما تناول قصصا هي عبارة عن مآسي كانت لا تحكـــي الا ليـــلا ، واخرى كانـــت عبارة عن « كمديات » لا تحكى الا نهارا .

ب) الشعر : اما الشعر البربري فهو كلام موزون غير مقفي ، وتسمى القصيدة الشعرية « يذايفارث » . واذا نبغ شاعر ينتقل من قبيلة الى اخرى ـ حسب ما ذكره الاستاذ محمد شفيق ـ ويسمى امذياز (ج) « امديازن » ويصحبه في ترداد شعـــره عازف على الكمان وضارب على الدف وينفخ هو في المزمـــار وهذا النوع من الشعراء يمدح او يصف من اجل التكسب . وهناك شعراء آخرون ينشدون قصائد سياسية ودينية حبا في قول الشعر ويسمون « انشاذين » يعزفون على الكمان . او على الكنبري وقد استغنوا عن « الردادين » « بالشيخات » اي الراقصات .

وقد بقيت بعض هذه الاشعار محفوظة في صدر جماعـــات من « الموسيقيين » الذين يجوبون بلاد البربر طولا وعرضـــا لغنائها في مناسبات عدة كالزفاف والختان والجنازة والحرب وفي مواسم العمـــل .

4) الرقص البربري :

ان الرقص البربري يعد من اهم الفنون المغربية ، فهـــو تاريخ يرتبط باحاســـيس البرابـــرة ومشاعرهـــم ، وجزء من مجدهم العريق .

واهم الرقصات الفلكلورية الممتعة بقوتهـــا التعبيريـــة رقصة الحرب المعبر عنها « بتاسكيوين » يرقصها افراد من قبيلة كوندافة بالاطلس الكبير ورقصة الشلوح التي يرقصها اصحابها وهم عازفون على « الكنبـــري » وضاربـــون على « التعرجـــة » يرأسهم « الرايس » وينتمون هؤلاء الى مراكش ونواحيها .

وهناك رقصة احواش وهي عبارة عن « الاوبرا البربرية » الرائعة ترقصهـــا نســـاء من ورزازات وناحية خنيفرة منشـــدات ومصفقات بأيديهن بينما يعزف لهن الرجال على الدف وهـــم قاعدون في شكل دائرة ويسير الجميع « امساد » اما اهل الريف فهم يرقصون رقصة حربية وهي رقصة البندقيـــة ، ومن الرقصات البربرية ايضا « حيدوس » ، ورقصة « الدكة » يرقصها اهـــل «امزميز» ويقوم بهذه الرقصة الرجال ضاربين بالاكف ويقومون بحركات خفيفة وسريعة حتى يتخيل للناظر انهم اصيبو برعدة او الصق بجسدهـــم تيـــار كهربائـــي . واجمـــل هذه الرقصـــات رقصة « الكدرة » وهي رقصة كوليمين « وهي ليست فقط رقصة ترقصها امرأة بربرية تحرك اصابعها بسرعة حسب دقات يضربها رجل على الدف ولكن هي « قصة صراع » تتجلى في الاصابـــع التي تتحرك ببطء ثم تعلو نغمات الدف سريعة قوية تنتابهـــا شتى المشاعر ثم تسقط اليد بارتخاء قبل ان يسقط جسم الراقصة ثم تسقط ضربات الدف هي الاخرى» فتمتاز هذه الرقصة البربرية بالتعبير الكامل عن تدرج الاشياء من البداية الى الفناء وبالطابع الفني الرائع .

هذه الرقصات وغيرها كثير ، تعتبر فنا بربريا ينبع من صميم البرابرة ، وسيظل مرتبطـــا بهم ومعبـــرا عن مشاعرهـــم وحافظا لتطورهم وماضيهم في ظلال حاضرهم الحافل بالمجد .

الرباط : عبد الحق المريني



أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي

للأستاذ محمد بنشريفة

تقـديـم :

نقدم في هذا العدد والذي يليه فصلا من رسالة جامعية بعنوان : « ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي » كان قد تقدم بها الاستاذ السيد محمد بنشريفة الذي نال بها درجة ديبلوم الدراسات العليا برتبة : (جد حسن) .

واحمد بن عميرة المخزومي كان شيخ الكتاب في عصره بالغرب الاسلامي .

وكانت حياته حافلة بجلائل الاعمال ، فقد اشتغل كاتبا مع الموحدين في الاندلس والمغرب ، ومع بعض امراء الطوائف في دولة الطوائف الثالثة بالاندلس ، وكان في آخر حياته مستشارا للخليفة المستنصر الحفصي ، كما شغل منصب القضاء في مدن عديدة بالاندلس ، والمغرب ، وافريقية .

وله رسائل ، واشعار ، ومؤلفات في البلاغة والاصول والتصوف والتاريخ .

ونشير الى ان المركز الجامعي للبحث العلمي يقوم بنشر هذه الرسالة .

وهذا الفصل من الرسالة الذي نقدمه في هذا العدد يؤرخ الفترة التي قضاها ابن عميرة في المغرب ما بين 637 – 646 هـ .

دعـوة الحـق

ودع ابن عميـرة الاندلس وعبـر بحر الزقاق يحـدوه امل قوي في الحصول على عمل في بلاط الموحدين بمراكش ، وقد كانت مدينة سبتة اول مرحلة في سفره هذا فأقام فيها في اول سنة 637 هـ زمنا يسيرا في رعاية صديقـه الرئيس ابي علي ابن خلاص البلنسي الذي كان واليا على سبتة يومئذ (1) ، ولا نعلم عن نشاطه بهذه المدينة في هذه الفترة شيئا سوى ما ذكره في اجازته من انه كان يتردد على شيخه ابي الحسن بن واجب الذي اصابته زمانة في طريق عودته الى الاندلس اثر سفـارة قام بها في تونس واضطر الى البقاء بسبتة الى ان توفي بها ، ويقول ابن عميرة في ذلك : « وبها اجتمعت معه في اول سنـة سبع وثلاثين وستمائة ، فكنت اغشاه كثيرا وآتيه من الاحاديث بما كان يستطرفه ، واجد عنده من حلاوة الفكاهة ما كنت اعرفه ، وبعد ان فارقته مشيرا بفرقته لوعة الغربة ، ادركته منيته رحمه الله بتلك التربة » (2) ، وقد كان وجوده في سبتة فرصة طيبة لبعض الراغبين في الاخذ عنه ، ومنهم ابن رزين التجيبي الذي ذكر انه لقي ابن عميرة بسبتة وسمع منه (3) وكانت سبتة في هذا الوقت تغص باللاجئين الاندلسيين الذين تقاطروا عليها من مختلف الجهات المفتوحة وخاصة من شرق الاندلس ، ويبدو ان اكتظاظ المدينة بهم واستفحال الغلاء وانتشار المجاعة الكبـرى التي كانت تجتاح سبتة في هذه السنة (4) جعل الوالي البلنسي المذكور يهتم باحوال هذه الجالية من اهل بلده ويسعـى لـدى الخليفة الموحدي الرشيد بقصـد ابلاغـه ما اصابهم من الجـلاء وتوابعه (5) ، ولا نستبعد ان يكون هؤلاء اللاجئون ندبوا ابن عميرة للاتصال بالخليفة الرشيد الذي كان موجودا يومئذ برباط الفتح ، ولما كانت الطريق البرية من سبتة الى الرباط غيـر مأمونة فيما يبدو فقد سافر اليها عن طريق البحر ، وهذا ما يستفاد من رسالة له وجهها الى صديقه القاضي ابي عبد الله بن يعقوب الشاطبي يقول فيها : « كتبته الى سيدي . . . من ساحل

---

1) البيان المغرب ج 4 ص 399 .

2) الرسائل ص 69 / 70 مخطوط 232 .

3) رحلة ابن رشيد ورقة 64 مخطوط الاسكوريال رقم 1737 .

4) البيان المغرب ج 4 ص 406 .

5) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 115 .

رباط الفتح ، وسفر البحر قد انتهى سبيله ، وبقيت عقابيله) (6) وقد اشار الى ذلك ايضا في قصيدة قالها بهذه المناسبة يشكو فيها فراق الاندلس ويحن الى اهلها جاء فيها :

وركبنا متن الخضم باحشا • حكنه في زخرة واصطفاق

هال بحر الزقاق حتى ركبنا • بسواه تيهان بحر الزقاق

وحللنا سلا فسل عن فؤادي • هل سلا من تأي بمن هو لاق (7)

وقد اشار في الرسالة السابقة الى سبب قدومه الى الرباط قائلا : (وكان اختيار هذا المكان عسى ان يكون للجملة دارا ، ولفل بلادها قرارا) (8) وقد اتصل ابن عميرة بالخليفة الرشيد في الرباط وصحبه في عودته الى حاضرة مملكته (9) ، وترك لنا وصفا مطولا لهذه الرحلة نجد فيه صورة واضحة عن النظام الذي تكون عليه محلات الموحدين والترتيب الذي يسيرون عليه اثناء تحركاتهم لغزو او سفر ، فقد اشار الى انهم كانوا يجعلون امام الخليفة بمقربة منه راية بيضاء كبيرة عالية تبين موقعه من العسكر ليهتدي بها من يريد قصده ، ويليها المصحف العثماني (10) موضوعا في قبة من الحرير ومحمولا على اضخم جمل ويلي جمل المصحف كما كانوا يسمونه بغل من افره البغال يحمل ربعة مربعة تحتوي على كتب الحديث الصحاح ، ويليه الخليفة في صدر الجيش والعساكر عن يمينه وشماله وخلفه (11) وقد وصف ايضا محلة الخليفة عند نزولها وارتحالها كما وصف افراق (12) المحلة وقبة الخليفة الحمراء ، واخبية الجند البيضاء فقال : « وانتهينا الى المحلة وهي روض يتمسر خيلا واعنة ، وبحر يزخر قنا واسنة ، وذوائب الاعلام تخفق والسنة عذباتها تكاد بالنصر تنطق ، والاحوال قد استقامت ، والاخبية على القاعدين فيها قد قامت ، وهي مبيضة كـقيط الثلج ، مصطفة كبيوت الشطرنج ، واطللنا على افراق فراق ، واعار ذلك الجو الاشراق ، وقيل هوام لتلك البنات ، مدينة لم تشدها بل لم تشتها ايدي البناة ، قصر ما ابصرته بصري ، وايوان كم تمنى كسره كسرى ، وصنعة اعيا امرها المهندسون ، واخفى صباحها الحندس ، سور باطنه وظاهره رحمة ، وحاضره يكتنفه فضل من الله ورحمة » (13) ويقول عن قبة الخليفة الحمراء : « وضربت هنالك القبة الحمراء ، حديقة هي قيد الحدق ، وعروس جليت في مرط من الشفق ، ومنزل بالبركة يعمر ، ومنظر فيه يقال الحسن احمر ، فيا لاديم يروق لونه القاني ، وعنوان على ضخامة الملك لا يرتاب فيه القاري » (14) وقد عدد المراحل التي قطعتها المحلة من الرباط الى مراكش مشيرا الى المدن التي تمر بها او تنزل فيها ، وقد حذف جامع رسائله او ناسخها اسماء هذه الاماكن مكنيا عنها بفلانة ولكننا نعرف من صاحب المعجب ان المسافة بين سلا ومراكش كانت تقطع في تسع مراحل (15) . وكان ابن عميرة قد كلف من قبل الخليفة بتدوين هذه الرحلة ، ومن هنا نراه يعنى بتسجيل مختلف جوانبها فهو يصف لنا هذا النشاط الذي يدب بين الناس في المحلة وخصوصا حين اعداد الطعام او اداء الشعائر الدينية كما يصور استقبال اهل الحضرة للخليفة خارج البلد ، ودخوله اليها في الوقت المناسب الذي اشار به الفلكيون ، ويصف موكب الخليفة وهو يدخل البلد مارا من « الباب العجيب في شكله ومقداره » (16) الى المسجد الجامع لاداء سنة صلاة السفر ، ويختم الرحلة بوصف دخول الخليفة الى قصره وجلوسه في قبة العرش لاستقبال كبار الدوله ، كما وصف حفلة الاستقبال الفاخرة التي اقيمت بهذه المناسبة (17) واغلب الظن ان ابن عميرة دون هذه الرحلة ليبرهن للرشيد وحاشيته

---

6) مخطوط الاسكوريال ورقة 114 .

7) الرسائل ص 132 مخطوط 233 . وبحر الزقاق هو مضيق جبل طارق .

8) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 114 .

9) الذيل ج 1 ص 90 .

(10) انظر قصة هذا المصحف وما قيل فيه من اشعار في الذيل ج 1 ص 77 وما بعدها ، والمعجب ص 253 ، ونفح الطيب ج 2 ص 135 .

(11) الذيل ج 1 ص 83 .

(12) افراق او افراك : بالكاف التي بين الكاف والقاف كلمة بربرية ومعناها : سياج من الكتان يديره السلطان على فساطيطه وفازاته ليتميز به عن غيره من الجند ، وقد وردت هذه الكلمة في مقدمة ابن خلدون بهذا المعنى .

(13) الرسائل ص 182 مخطوط 233 .

(14) المصدر نفسه .

(15) المعجب ص 359 .

(16) لعله يقصد به الباب الرئيسي للقصبة الذي كان يدعى بباب الكحل وباب القصر ، ويعرف اليوم بباب اكناو ، وهو ما يزال قائما على شكله الموحدي العجيب .

(17) الرسائل ص 184 .

على طول باعه في الانشاء ، ويذكر ابن عبد الملك (18) انه رفع اليه ايضا رسالة التزم في جميع كلماتها حرف الراء ، ولا شك ان الرشيد الذي كان يقدر اهل الادب قد اعجب ببلاغته فاتخذه كاتبا له ، وقد كانت شهرته الادبية من الاسباب التي مهدت له الدخول الى البلاط الموحدي . يقول ابن سعيد في ذلك : « ثم جاز الى بر العدوة ، فكان له بها تميز وحظوة ، اذ سبقه حيث سار من شهير اسمه راشد ، فلا يزال ناجح المصادر والموارد » (19) . ولما ولي الكتابة عن الرشيد كتب اليه صديقه ابو بكر بن البناء من اشبيلية يهنئه بهذه الحظوة التي ادركها في المغرب فراجعه برسالة طويلة يشكره ويمدح بلاغته وترسله ويذكر ايام اشبيلية ، ومما جاء فيها قوله : « والعمر كما اشار اليه مثل الكأس باواخره . رسوب القلبي ، وفي اعقابه رسوم الضراء والاذى ، وقد قرأت كما قرأ اسطره ، وحلبت كما قال اشطره ، فلم ار الا حلفا لبأس ، او خلفا لا يدو على البساس ، الى ان بلغت حرم الامامة ، ونزلت دار السلام والسلامة ، حضرة الملك السعيد ، والخليفة الرشيد ، الاول بشرف الصفات والاسماء ، والثاني بما يحيي الارض من قطر السماء ، وثالث القمرين في النور والضياء ، والخامس في نسب آبائه الكرماء ، والسابع عند نسق الائمة الخلفاء ، اظفر الله بالسنى عليا يمينه ، ونصر لواءه المعقود لنصر دينه ، ولا اخلاه من الحسنى في تمليكه ومن الزيادة في تمكينه ، فحينئذ ساعد الجد ، واقبل الحظ المستجد ، وجاء الزمان معتذرا ، وحصل الامان لمن كان منه حذرا ، فلذ الكرى وكان العهد به بعيدا ، وحمد السرى وبصبح الامل حميدا ، وقلت : احلما ترى ام زمانا جديدا » (20) بيد ان هذا الحظ الذي اقبل عليه لم يلبث ان ادبر عنه اذ انه كما سنرى لم يمكث في هذا المنصب الا زمنا يسيرا ، وقد بقي لنا مما كتبه عن الرشيد خلال هذه الفترة ظهيران (21) احدهما انعم به هذا الخليفة على اهل شرق الاندلس الذين لجأوا الى المغرب بعد سقوط بلدانهم في يد المسيحيين ، وهو يخولهم بموجبه سكنى رباط الفتح وتعميرها ، وقد جاء في آخره انه : « كتب في الحادي والعشرين لشعبان المكرم من سنة سبع وثلاثين وستمائة » (22) وينص هذا الظهير على ان الخليفة الرشيد بعد المساعي التي قام بها لديه ذو الوزارتين ابو علي الحسن بن خلاص قرر ان يأذن لهؤلاء اللاجئين من اهل بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ومن جرى من سائر بلاد الشرق مجراهم في الانتقال الى رباط الفتح « بقضيضهم وقضهم ، وان يتخذوا مساكنه وارضه بدلا من مساكنهم وارضهم ، ويعمروا منه بلدا يقبل منهم اولى من قبل ، ويحملهم ان شاء الله تعالى وخير البلاد ما حمل » ويصف الظهير مدينة الرباط بانها : « مناخ التاجر والفلاح ، وملتقى الحادي والملاح ، والمرافق من بره وبحره موجودة في فصول السنة ، مؤذنة لقاطنه بالعيشة الهنية والحال الحسنة » وهو يعطيهم كامل الحق في ان يتوسعوا في الحرث ويتبسطوا في مختلف وجوه المعاش « ويغرسوا الكروم وانواع الشجر على عادتهم ببلادهم ، ويتأثلوا الاملاك لانفسهم واولادهم واولاد اولادهم » كما يتعهد لهم بحمايتهم والدفاع عن حوزتهم ويأمر الولاة والعمال : « بان يحفظوهم من كل اذى يلم بجانب من جوانبهم ، او يعوق عن مآرب صغير او كبير من مآربهم ، وان يكرموا غاية الاكرام نبهاءهم واعيانهم ، ويولوهم من حسن الجوار ما ينسيهم اوطانهم ، حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ، ويجمع لهم بين الرعاية لحرمة البلدي والعناية بحق الضيف» (23) وهذا الظهير يعتبر وثيقة ذات شان في تاريخ المغرب وبخاصة تاريخ الرباط من حيث انه يدلنا على اقدم جالية اندلسية استوطنت الرباط ، اذ ان جميع الذين ارخوا لهذه المدينة يقتصرون على ذكر الجالية التي نزحت اليها سنة 1018 هـ 1609 م بعد القرار الذي اصدره فيليب الثالث بطرد الموريسكيين من اسبانيا ، اما هذه الجالية التي يحدثنا عنها هذا الظهير فلم يشر اليها المؤرخون اطلاقا (24) .

---

18) الذيل ج 1 ص 89 .

19) اختصار القدح ص 42 .

20) الرسائل ص 246 مخطوط 233 .

21) يبدأ هذان الظهيران هكذا : هذا ظهير كريم امر به امير المومنين الخ .. واستعمال كلمة ظهير قديم في المغرب يرجع الى عهد الموحدين واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة فيما نعلم هو الظهير الذي كتب في عهد الخليفة الموحدي يوسف المستنصر لرهبان بوبلات (Poblet) وهو يبدأ هكذا : هذا ظهير كريم امر به امير المومنين لرهبان بوبلات ... وقد نشر هذا الظهير في : Memorial Historico Espanol - Madrid 1851 - VI - 115 وقد وردت الكلمة مرارا في البيان لابن عذارى ، وانظر كذلك حول كلمة ظهير : R. Dozy - Supplément... T. II, p. 88.

22) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 116 .

23) المصدر نفسه ورقة 115 /116 والرسائل ص 118 وما بعدها مخطوط 232 .

24) اذكر منهم على سبيل المثال : الفقيه محمد بن علي الدكالي في كتابه : الاتحاف الوجيز مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم 1320 د ، والفقيه السايح في كتابه : سوق المهر ، والفقيه بوجندار في كتابه : مقدمة الفتح ، وتاريخ الرباط لكايي ومادة الرباط في دائرة المعارف الاسلامية .

والظهير الثاني مما كتبه ابن عميرة عن الرشيد يتعلق باحد اعيان الاندلسيين اللاجئين وهو الشيخ القائد ابو بكر بن المشرف ابي الحسن بن خالد (25) ، وهو عبارة عن ظهير توقير واكرام لهذا الشخص الذي كان يخدم فيما يظهر دولة الموحدين في الاندلس ، والظهير يرتب له جراية طعام ومرتبا شهريا واسهاما سنويا (26) .

لم يلبث ابن عميرة في ديوان الرشيد الا قليلا حتى صرفه عن الكتابة وقلده قضاء بلد هيلانة (27) من نظر مراكش الشرقي ، ولسنا نعلم هل كان قصوره عن الكتابة الديوانية كما يدعي ابن عبد الملك (28) هو السبب في هذا الاقصاء ام ان مصدره حسد الحاشية له كما يفهم من رسالة ابي الحسن الرعيني التي كتبها اليه بهذه المناسبة ، ولربما كنا نفهم الظروف التي تم فيها عزله عن ديوان الانشاء لو وصلتنا رسالته التي بعث بها الى صديقه ابن الجنان في هذه الاثناء (29) ، وقد كان لهذا الفشل الذي اصيب به اثر عميق في نفسه اذ نجده يكتب الى صديقه الرعيني شاكيا اليه مصابه نادبا حظه في هذه القصيدة التي تفيض بالحزن والاسى رغم ما فيها من تهالك على استعمال المصطلحات والاشارات :

يا صاحبي والدهر لولا كرة
منه على حفظ الذمام ذميم
انازعني انت الحديث فانه
ما فيه لا لغو ولا تأثيم
ومروض مرعى منال فنيتها
من طول اخلاف الغيوم هشيم
طال اعتباري بالزمان وانما
داء الزمان كما علمت قديم
مجفو حظ لا ينادي ثم لا
ينفك عنه الحذف والترخيم (30)
واري امالته تدوم وقصره
فعلام يلغى المد والتفخيم
وعلام ادعو والجواب كانما
فيه بنص قد اتى التحريم
لم الق الا مقعدا غير الاسى
فلدي منه مقعد ومقيم
وشرابي الهم المعتق خالصا
لمتى يساعدني عليه نديم
غارات ايامي على خوارج
قعديها في طبعه التحكيم (31)
ولواعج يحتاج صالي حرها
امرا به قد خص ابراهيم (32)
ولقد اقول لصاحب هو بالذي
ادركت من علم الزمان عليم
لا يأس من روح الاله وان قست
يوما قلوب الخلق فهو رحيم
ولعل ميت رجائنا يحييه من
يحيي عظام الميت وهي رميم (33)

---

(25) لم اقف له على ترجمة .

(26) مخطوط الاسكوريال 520 ورقة 116 .

(27) وردت هذه الكلمة في طبعتي الاحاطة لابن الخطيب هكذا : ملياتة وهو تحريف واضح لم ينبه عليه ناشر الطبعة الثانية وقد نقل هذا الخطأ كثيرون ممن نقلوا او اقتبسوا ترجمة ابن عميرة من الاحاطة ، ومن المعلوم ان ملياتة تقع في الجزائر الحالية ، اما هيلانة فهي القبيلة التي كانت تضاف اليها احدى المدينتين المعروفتين باغمات ، وقد ذهب الفقيه عباس بن ابراهيم الى ان بلد هيلانة المذكورة هو بلد كلاوة اليوم (الاعلام ج 1 ص 121) .

(28) الذيل ج 1 ص 91 .

(29) الذيل ج 1 ص 90 ، وقد وعد ابن عبد الملك في ترجمة ابن عميرة بالاشارة الى هذه الحادثة والاتيان برسالة ابن عميرة الى ابن الجنان وجوابه اياه في الموضوع اثناء ترجمة ابن الجنان ولكن هذه الترجمة غير موجودة في الاجزاء التي بين ايدينا من الذيل .

(30) الترخيم : حذف اواخر الاسماء المفردة تخفيفا وهو لا يكون الا في النداء .

(31) القعدية : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتامر به وتقعد عنه ، واول من استعمل هذا المعنى ابو نواس في قوله من قطعة :

فكأني وما ازين منها
قعدي يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح الى الحر
ب فاوصى المطيق الا يقيما

(32) يشير الى الامر الوارد في قوله تعالى من سورة الانبياء : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » .

(33) نفح الطيب ج 1 ص 290 والذيل ج 4 ورقة 85 . وفي النسخ المطبوعة من نفح الطيب ان ابن عميرة خاطب الرعيني بهذه القصيدة سنة 634 هـ وهو وهم لان الرعيني يذكر في رسالته ان ابن عميرة نظمها بأزمور اي لما كان في طريقه الى الرباط بعد تعيينه قاضيا بها على ما يبدو (انظر الذيل ج 4 ورقة 84) وفي التاريخ الذي ذكره المقري لم يكن ابن عميرة قد دخل الى المغرب بعد ، ولا شك انه وقع خلل في هذا التاريخ المكتوب بالارقام لا بالحروف .

وقد اجابه الرعيني برسالة طويلة ضمنها قصيدة من البحر والقافية ، وهو يواسيه ويشير الى حادثة تأخيره عن الكتابة وتقديم من هو دونه كما يشيد بنسبه وادبه وفضله ويذكره بان الزمان حظوظ ، ومما جاء فيها قوله :

اعزز على الخطط التي بـك فخرهـا
ان يستبـد بهـا عليـك لئيـم

تعسا لاقـلام الكتابـة ليتهـا
لـم يعتمدهـا البـرى والتقليـم

لهجت بتاخير السبـوق وقدمـت
مـن لا يحـق لذاتـه التقديـم

قعدت وقامت في اغتصاب حقوقهم
ومـن الحسـاده مقعـد ومقيـم

ايفوت مثل ابي المطرف حظـه
وينـال قومـا بالفهاهـة ديـموا

مـا ضرهـا ان لـو تولى امرهـا
منـه كفيـل بالبيـان زعيـم

يا سابـق البلغـاء غيـر مزاحـم
لك دون غيرك ينبغي التسليم (34)

والرعيني يذكر في هذه الرسالة ان الاطماع والرغبة في الثروة والجاه هي التي اغرت ابن عميرة بالهجرة الى المغرب ، وذلك اذ يقول : « ولحا الله الاطماع فانها تستدرج المرء وتستجره ، وتستخرج حين تعرفه ما يسره ، ما زالت تفتل في الذروة والذروة، وتختل بالترغيب في الجاه والثروة، حتى انأت عن الاحباب والحبائب ، ورمت بالغريب اقصى المغارب ، فيا لوحشة الوت بايناسه ، ويا لغربة احلته في غير وطنه وناسه » (35) .

اما المدة التي ولي فيها قضاء عيلانة فقد كانت قليلة كما يقول ابن عبد الملك (36) ويبدو انه قد عبر عن تبرمه بهذا الاقليم لدى بعض اصدقائه من حاشية الرشيد فسعوا لديه حتى نقله الى قضاء الرباط وسلا (37) حوالي سنة 639 هـ (38) ونجده في قصيدة بعث بها الى الوزير ابي زكرياء بن عطوش يشكره على نهوضه به ومساعدته على هذا الانتقال (39) كما نجده يشير في بعض رسائله الاخوانية الى انه استقر في الرباط (بعد قلقلة ، واحوال متنقلة) (40) ونظن انه هو الذي اختار هذه المدينة كي يكون بجوار مواطنيه من جالية شرق الاندلس التي اشرنا اليها فيما سبق ، ويبدو ان قضاء العدوتين كان من الوظائف الهمة في عهد الموحدين ، فقد سبق ان شغله اندلسيون في دولة الموحدين قبل ابن عميرة كشيخه ابي محمد بن حوط الله المالقي (41) وابي العباس احمد بن محمد الشريشي (42) وابي جعفر احمد ابن فرقد الاشبيلي (43) ، وقد طاب له المقام في هذه المدينة برغم الغارات التي يقول انها كانت تجتاح نواحيها في بعض الاحيان وهو يعبر عن اغتباطه وسروره بالرباط في رسالة كتبها الى صديقه ابي الحسين بن مفوز في شاطبة اذ يقول : (ولعمري ما زاد الثواء الا غبطة في التثوى ، ورغبة في اشياء اتت على ما اهوى) (44) ونجده يكتب الى اخوانه واصدقائه بالاندلس يرغبهم في القدوم عليه ويصف لهم (الاحوال وحقائقها ، والبلدة ومرافقها) ويذكر (ما فيها من تجارة وفلاحة ، وحولها من غارة مجتاحة) (45) وهو اذ يشجعهم على الهجرة يضمن لهم

---

(34) الذيل ج4 ورقة 84 .
(35) المصدر نفسه .
(36) المصدر نفسه ج 1 ص 90 .
(37) الذيل ج 1 ص 90 ، وبعض المصادر تذكر انه ولي قضاء الرباط وبعضها الاخر قضاء سلا ، ولكن ابن عبد الملك يؤكد انه ولي قضاء الرباط وسلا معا ، وهذا يفيد ان العدوتين كانتا على عهد الموحدين متصلتين من حيث النظم العامة ، ويبدو انه كان يسكن في الرباط اثناء توليه قضاء العدوتين .
(38) تستفيد هذا التاريخ من رسائل الوصية التي بعثها مع الشريف السائح نجم الدين وهي مؤرخة في 24 ربيع الثاني سنة 639 هـ (الذيل الجزء الاخير ص 232) .
(39) الرسائل ص 158/157 مخطوط 232 .
(40) مخطوط الاسكوريال رقم 520 ورقة 102 .
(41) التكملة ج 2 ص 885 والرسائل ص 71 مخطوط 232 .
(42) التكملة ج 1 ص 105 .
(43) المصدر نفسه ص 114 .
(44) مخطوط الاسكوريال رقم 520 وقة 101 .
(45) المصدر نفسه ورقة 100 .

(كل شيء هني ، وبال رخي) (46) ونجده يخاطب صديقه ابن مقوز متمنيا ان لو كان معه بالرباط قائلا : (ولا شك ان سيدي لو سكنها لغرس وزرع ، واغتل ورفع ، وفعل وصنع ، ولكن كيف السبيل ، وبيننا غمر الفجاج وخضر الامواج) (47) ، وقد سبق ان اشرنا الى الحاحه في طلب اخته واولادها للقدوم عليه بالرباط ، ومن الاشخاص الذين عبر عن استعداده لايوائهم في الرباط شخص يدعى بابن الحسن ، كتب في شأنه الى ابن مقوز قائلا : (واحد ابني الحسن الذي ذكرتم انه يتظلم من الزمن ويحرص على الظعن ، ان عول فهاهنا له مراد ومراد ، وعندي له في كل ما يحب اسعاد) (48) . اما الغارة المجتاحة التي يتحدث عنها في رسالته السابقة فانه يشير بها الى ما كان يقوم به بنو مرين يومئذ من غارات على نواحي الرباط ، وقد صرح هو نفسه بذلك في رسالة كتبها الى صديقه الرعيني يقول فيها : (وحال اخيكم هنا على ما يرضى كمالكم عافية ، ونعمة ضافية ، ولولا تولع المرينيين واشباههم بالجهات ، والحاحهم عليها بالنكايات ، لكان الحرث بها افسح مجالا ، والجانب الى البلد اكثر اقبالا) (49) .

ومع كل هذا فاننا نجد في معظم رسائله الاخوانية التي كتبها من الرباط حنينا شديدا الى الاندلس وتطلعا الى انبائها وتفجعا على مصيرها . فعند ما تناهى اليه الخبر بقرب سقوط شقر من بعض اصدقائه كتب يقول : (وعرف ان المسقط قريب الاجل ، وساكنوه شديدو الوجل ، وكيف لا يوجلون ، وما الذي اليه يلجأون ، اللهم اجعلهم في ذمتك ، وحطهم بكفايتك وعصمتك ، وابلغهم المأمن ، واسمع فيهم صالح الدعاء ، ممن دعا وآمن) (50) وتبلغه نكبات اشبيلية من جراء فيضان نهرها وهجوم الروم عليها فيكتب الى بعضهم قائلا : (واخبر عن سيل حمص (51) الجارف للاصل والفرع ، الذاهب بالزرع والضرع ، وان الروم شربوا ما اسأر ، وذهبوا بما لا يمكن ان يحصر ، فيا لله لحزون اعيت الاستدراك ، وحزون امطرت الهلاك ، وكم ذا يبقى العليل مع قوة منهدة ، وحدة من المرض في زيادة وشدة ، وهل بقي للمدافعة اسم ، او سلم ما يكون عليه او به حرب او سلم ، ولاجل هذه الزلازل ، وما يتوقى من هذه النوازل رضي اصحابنا بالدون ، وركنوا الى الهدون) (52) وهو هنا لا يرى فائدة من تمسك اهل اشبيلية بالدفاع عن مدينتهم امام قوات القشتاليين اذ ليس هناك تكافؤ بين القوتين ومن ثم ينصحهم بان يسلكوا السياسة التي سلكها اهل شرق الاندلس الذين ركنوا الى الهدون ودجنوا تحت حكم المسيحيين .

وفي رسالة اخرى كتبها الى ابي علي بن خلاص نجده يتحدث عن هذه القضية المزمنة فيقول : (ذكر اخبار بلادنا ، وذلك ذماء كدماء الضب (53) ، وداء لا دواء له في كتب الطب ، فليت القوم اراحهم اليأس ، واستقام لهم الطرد او العكس) (54) وتدلنا هذه المراسلات التي كان يتبادلها ابن عميرة وهو بالرباط مع اخوانه بالاندلس على استمرار العلاقات والتنقلات بين البلدين

---

46) المصدر نفســـه ورقـة 101 .
47) المصدر نفســـه ورقـة 101 .
48) المصدر نفســـه ورقـة 100 .
49) الرسائل ص 66 مخطوط 233 .
50) المصدر نفســـه ص 38 .
51) لم اجد في المصادر التي بين يدي اشارة الى هذا السيل الذي اقترن بهجوم المسيحيين على اشبيلية ، وقد ذكر ابن عذارى سيلا شنيعا وقع في سنة 597 هـ وقال انه تقدمته سيــــول كثيرة (البيان المعرب ج4 ص 196) وقد اصبح هذا السيـــــل حدثا يؤرخ به فقد ذكره ابن عبد الملك اثناء ترجمة بعضهم ووصفه (الذيل ج 5 ص 317) كما اشار اليه صاحـــب الروض المعطار ص 21 واحال في خبره على كتاب جالي الفكر . وسيل اشبيلية مشهور وكان اذا طمى اتى على المنارة والدور وفيه يقول شاعر اشبيلية ابو المتوكل الهيثم :

لله حـــمص ايمـــا بلـــدة | لـــو انـــا تأمـــن نعيانهـــا
طـــاف بهـــا والريـــح روح لـــه | فابتلـــع الارض وسكانهـــا

52) الرسائل ص 107 مخطوط 232 .
53) الدماء ما بين القتل وخروج النفس وقيل في تفسيره غير ذلك . ويضرب المثل في الطول بدماء الضب . انظر ثمار القلوب ص 331 ومجمع الامثال ج 1 ص 437 .
54) الرسائل ص 95 مخطوط 232 . وفي السجعة الاخيـرة تورية لطيفة بالطرد والعكس كمصطلحين من مصطلحات اهل المنطق والاصول . انظر كشاف اصطلاحات الفنون ج 2 ص 904 .

برغم الاخطار التي كان يتعرض لها هؤلاء الرقاصون (55) ، وقد اصبح ابن عميرة اثناء توليه القضاء في الرباط وسلا ملجأ يأوى اليه الوافدون ممن نكبوا بالجلاء او لزمهم دين من جراء افتكاك انفسهم او ذويهم من الاسر فكان يتعهدهم برعايته وما اكثر رسائله في هذا الباب . وسنقوم بتحليلها والاتيان بنماذج منها اثناء الكلام على اغراض رسائله الاخوانية .

ومن بين الذين قصدوه في الرباط رحالة مشرقي من الاشراف كان يزور المغرب والاندلس يومئذ ويدعى نجم الدين يونس بن مهذب الدين المازندراني (56) ، وقد استقبله بحفاوة بالغة ، وبعد ان اقام لديه برهة من الزمن تشوف الى زيارة مراكش لرؤية الخليفة الرشيد (فاصحبه ابو المطرف كتب تعريف واعلام، الى بعض من بها من السراة والاعلام) (57) وهؤلاء الاعلام الذين كتب اليهم في الوصاية بهذا الشريف هم رئيس الكتاب ابو العلاء بن حسان (58) ، وقاضي القضاة ابو اسحاق المكادي ، ونقيب الطلبة ابو زكرياء الفازازي ، واخوه القاضي ابو عمران الفازازي ، والكاتب ابو الحسن العشبي ، وقد كتبت هذه الرسائل في 24 ربيع الاول سنة 639 هـ (59) وقد شيعه ابن عميرة عند فرقة الرباط بقصيدة نقتطف منها هذه الابيات :

يا سيدا يرعى به ... حزب الهدى وفريقه
في البحر سرت فهان في ... دعة عليك طريقه
وامتنت فيه ما يحمـ ... ـل من اذى وبذيقه
لك من سميك يونس ... منجاته لا ضيقه (60)
وجميل عقباه التي ... فيها اقام طليقه (61)

ونلاحظ ان هذه الفترة التي قضاها بالرباط مليئة بالمكاتبات الاخوانية الى اصدقائه في الاندلس ومراكش وسبتة، وقد وصلنا عدد منها ، واشار هو نفسه الى كثرة انتاجه الادبي في هذا العهد ، اذ يقول في رسالة بعث بها الى ابن مفوز : (والاشعار في هذا الوقت كثيرة ، والرسائل في كل فن شهيرة، والوقت لا يسع تقييدا ما اردت ان تقفوا عليه منها ، ولعل ذلك يكون والدار صقب ، والمزار كثب) (62) وقد بلغ من نشاطه الكتابي بالرباط ان استنفد ما كان معه من ورق فكتب الى صديقه ابن مفوز الشاطبي يرجوه ان يبعث اليه شيئا من هذا الورق الذي كانت شاطبة اشهر مركز لصناعته في الغرب الاسلامي فيقول : (والكاغد الذي وعدتم به بلغت منه حد الافلاس ، وتكفف من يضن به من الناس ، فاحتسوا به العون ، وامدوا منه بما ترون) (63) . (يتبع)

الرباط ـ محمد بنشريفة

55) وردت كلمة الرقاص في رسائل ابن عميرة وهي كلمة اندلسية ومغربية وما تزال مستعملة في اللهجة المغربية ، وهي توازي ساعي البريد في لغة اليوم .
56) انظر ترجمته في الذيل والتكملة لابن عبد الملك ، الجزء الاخير ص 226 وما بعدها .
57) الذيل والتكملة لابن عبد الملك الجزء الاخير ص 227 .
58) انظر ترجمته في اختصار القدح ص 126 وذكره في نفح الطيب ج 4 ص 288 .
59) انظرها في الرسائل ، مخطوط 232 ص 53 وما بعدها والذيل الجزء الاخير ص 229 وما بعدها .
60) يونس اسم هذا الشريف وسميه يونس بن متى نبي الله وهو يشير الى قصته المعروفة .
61) انظر هذه القصيدة في الرسائل ص 62/61 مخطوط 232 .
62) مخطوط الاسكوريال ، رقم 520 ورقة 102 .
63) مخطوط الاسكوريال ، رقم 520 ورقة 100 .



في ذكرى معركة أنوال الظافرة

٢١ يوليوز ١٩٢١ – ٢١ يوليوز ١٩٦٥

للأستاذة أمينة اللوه

قريـة اجديـر :

على سهل النكور الخالد وبين روابيه الخضر ترقد اليوم قرية « اجدير » تجتر في صمت ذكريات من عز مضى .. وتمر امامها مواكب الاجيال مطرقة خاشعة !

يلثم المتوسط ترابها الذي سقته دماء الاحرار وترجع امواجه ما حفظته من مخططات حرب التحرير ومن تكبيرات المعركة وصيحات الجهاد !

انها قرية صمدت صمود الزمان فكانت سفرا غنيا بمفاخر الايـام !

ان تربتها قانية الاديم اكتست حمرتها من دماء فارت على الارض بدون حساب .

وملائكة الرحمن في مواكبها العلوية تنشد حولها اناشيد البطولة وتنثر الورود والاكاليل على اجداث الشهداء ورفات الابطـال .

قرية كانت مزرعة خصبة للآمال فصوحتها الاهوال .
كانت صرح مبادىء ومثل ، عاشت ثم تلاشت لغدر الانسان اخاه الانسان !

انها قريتي وقرية كل الاحرار في البلد الحر .
انها تاريخ امة بكاملها .

البيـت الخطابـي :

ان الارض الطيبة الآمنة – الريف – اصبحت ذات يوم تميد بمن عليها .

التوتر يسود القوم الوادعين .
فماذا دهى القوم .. ؟
انهـا سنـة 1912 .

تهل على هذا الجناح الاقصى من العالم الاسلامي بلطمة عار ، عار الحماية ، فتحل النكبة ويفقد المغاربة اقدس ما كانوا يملكـون .

نار الانتقام تستشري في النفوس ، واهـل الريف في نفار ، والمجاهد سيدي محمد امزيان يلقم العدو حمما ويسقيه غسلينا ويبعث احتجاجا الى المتآمرين بمؤتمر الجزيرة الخضراء مستنكرا ما اقترفه العتاة المعتدون .

ويستعر اللهيب ، وفي ساحة الشرف يسقط المجاهد امزيان ، شهيد العقيدة والوطن .

ويفقد المغرب بموته داعية من دعاة المقاومة والتحرير .
ولكن الامانة لن تضيـع .
والرسالة لن تطـوى .
وشعلة الحرية لن تخبو ، وفي الريف رجال .. !

فهناك في قريتي وقريتك « اجديـر » وعلى ضفاف الابيض المتوسط الذي يرتل عند قدامها تراتيل الخلود منذ القدم .. يوجد بيت عريق المحتد زكي الأرومة :

هو بيـت آل الخطابـي .
ولهذا البيت موعد مـع التاريـخ .
ولهذا البيـت قصة من نـور .

ان لرب البيت السيد عبد الكريم مكانة ومقاما ولـه عند القوم حظوة واحتراما .

ومن صلبه وعرينه خرج الشبل الهصور محمد بن عبد الكريـم .

اي مجد خطه القدر لهذا الشبل في سجل الخلود !

الايام تمضي سراعا ، والزمن يندفع اندفاعا والشبـل استوى شابـا يافعـا .

ها هو اصبح يفصل بين الناس بالعدل والقسطاس ..
واين ؟ في المدينة الاسيرة مليلية .. ! حيث الجور والحيف : جور الاجنبي وحيف المعتدي .

يمضي سحابة النهار في حل مشاكل قومه .. حتى اذا طواه الليل وخلا الى نفسه ، انتابته هواجس والحت عليه افكار وتراءت له من بعيد غايات مقدسة يخطف بريقها الابصار !

ثم تراه يقاسي ظلام السجن ، وما من ذنب اتى ، ولكنه منطق الاجنبي لفق له تهما ورماه باطلا .

وها هم اقارب محمد يدبرون له الخلاص ، ويشاء الحظ معاكستهم فتنزلق منه القدم وتتكسر فيقبض عليه مرة اخرى

ويوجس الاسبان خيفة من امره فيطلقون منه السراح ويعود الى عمله .

السـر الخطيـر :

ولكن كيف وبأي سر عاد ؟

لقد اختمرت الفكرة ، وضاقت النفس بالسر الخطير فأصبحت على وشك الانفجار ، الآمال تقترب كعاصفة هادرة والغاية المقدسة تتراءىاشرق واسطع نورا .. ووصمة الحماية تقض مضجع محمد وتلهبه نارا .. وسبة الاستعمار تمزق منه النياط ..

طرأ على البطل هدوء كالهدوء الذي يسبق الاعصار واستبد به التفكير فاستسلم للعزلة والانفراد .

لقد كان يضع خطوط قصة منسوجة من نور ، هو بطلها وارض الريف مسرحها ، والمغاربة عناصرها .. كان يمهد للخلود بثورة لم يعرف مثلها القرن العشرون :

يلتفت الى وطنه فاذا هو رازح تحت القيود معفر الخدود .

ويرنو الى الشرق فاذاهوالآخر مكبل في الحديدومقسم شيعا .

وتنبعث من هنا وهناك اصوات استغاثة ما تلبث ان تضيع في خضم الاحداث ، احداث الاستعمار .

ويرهف البطل سمعه للصدى البعيد ، صدى صيحات جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ، وخاصة رشيد رضا ، وقد هزت الشرق .. فينتفض للنداء الحي .. ويحس تجاوبا صادقا منبعثا من اعماقه ، وكان تجاوبه عنيفا عنف طبيعة الريف ، وكان تأثره حاسما ، فانفجر في ثورة مباركة ، كانت الشرارة الاولى التي بارك الله فيها ، فلم تنطفىء بعد ذلك ابدا ..

ضاقت المدينة الاسيرة على البطل فكأنها سم الخياط ..
فليس هذا ميدان المعركة ، بل هناك ، وراء الحدود المصطنعة ..
لقد ازفت الآزفة ..

ولكن كيف الخروج والاسبان الى خروجه لا يركنون ؟
لقد منعـوه .

ولكن الموانع الصبيانية لن تفت في عضد البطل .

والعراقيل مهما كانت فلن تحول بين النفس الكبيرة وبين آمالهـا .

لقد تمكن البطل من مغادرة ارض الاسر .

وبخروجه هذا يقف التاريخ مشدوها ليسجل معجزة من معجزات الايمان .

كانت قرية اجدير نقطة الانطلاق .

الدعـوة الى الجهـاد :

تطلع البطل الشاب الى شقيقه وصنوه امحمد الطالب بكلية الهندسة بمدريد وهتف من اعماقه : « واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي » !

هكذا كان ، فقد جمع الله بين الاخوين وشد ازرهمـا واشركهما في القضية المقدسة وخاضا غمار احداثها وعاشا اطوارها معا فلم يفترقا ابدا ..

كانت مرحلة التخطيط واضحة في ذهن البطل وهي المرحلة الاولى من مشروعه الكبير ، وعليه الآن في تنفيذ المرحلة الثانية وهي اصعب المراحل واشقها .

اتصل بأهـل الريف وليس معـه الا شقيقه ورفيقـه في الجهاد السيد محمد وعمه السيد عبد السلام ، فصدع بالحق واسر اليهم النجوى وبلغهم الدعوة .. دعاهم الى بيته وتحين بهـم الاسواق شارحا بعقيدة المومن الصـادق اخطار الحماية ومغبـة الاذعان لحكم الاجنبي .

وسرت بين الناس همسات الاعجاب بشاب جمع مزايـا الشباب وحصافة الشيوخ !

وقال قائل منهم : احقا ما يدعونا اليه ابن عبد الكريم ؟ ان كان صادقا ـ ولا اعلم عنه الا الصدق ـ ليكونـن لـه شأن واي شـأن !

كانت الدعوة في اول الامر مقتصرة على قومه وعشيرته من قبائل بني ورياغل الباسلة .

وذات يوم ..

وتحت ستار الليل وفي هدى النجوم تسللت من اجدير فئة مؤمنة ، قوامها البطلان الاخوان وثمانية عشر حواريا ، تحث الخطا وتغذ السير صوب قبيلة تمسمان ، وعسكرت بالمكان المسمى « القامة » وأسست هناك رباطها للجهاد .. !

لو ذات سوار لطمتني

وفي هذه الاثناء كانت تجري احداث اخرى بالجانب الآخر ..

ففي عام 1921 واخبار الدعوة المباركة تسير بها الركبان فتقض مضاجع الاسبان ، توجه المقيم العام بتطوان السيور « دامسو بيرينكير » الى جزيرة النكور المواجهة لقرية اجدير واستدعى على جناح السرعة القائد العام للناحية الشرقية الجنرال « سيلبستر » للالتحاق به في الجزيرة المذكورة ، كما بعث استدعاءات ودية الى اقطاب الريف !

وحل اليوم الموعود ، وتقاطر الناس على الجزيرة يستطلعون الخبر .. وعند ما انتظم الجمع وقف المقيم العام خطيبا في الناس مبينا فوائد الاحتلال والنوايا الطيبة للصديقة اسبانيا .. ! واخبرهم بأن الجنود الاسبانية المنضوية تحت لواء الجنرال « سلبستر » عازمة على الزحف لاحتلال الريف ، وان لها من القوة والعتاد ما يجعل مقاومتهم عبثا وصمودهم جنونا ..

وتناول الكلمة بعده الجنرال « سلبستر » تحدث فيها على طريقة « دون كيخوطي » .. وقف في كبرياء وعجرفة مهددا ومتوعدا .. وأبدى من عنجهية القول وفظاظته ما اثار حفيظة الحاضرين .. قال لهم من ضمن ما قال : « اتيت الى هنا عن طريق البحر تنفيذا لأوامر رئيسي المقيم العام والا فقد كان في وسعي أن آتي من هنا (واشار بيده الى مرسى اجدير)» وصال وجال ما شاء له طيشه ان يفعل .

مادت الارض تحت اقدام رجال الريف ، وهتفوا صادقين: ان لهذا اليوم ما بعده ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وسيعلم الذين اهانوا الاسد في عرينه كيف يكون ثأر الاسود !

انفض المجلس والاعصاب هائجة ومراجل الغضب تغلي في صدور رؤساء الريف نداءات الثورة تجلجل في اعماقهم .. وتطلعت انظارهم الى البطل الرابض في مركز « القامة » بتمسمان .. فقصدوه توا وباركوا ثورته وعاهدوه عهد الرجال ان سيهبوا ارواحهم رخيصة في سبيل الله والوطن .. واقسموا الا يرجعوا الى ديارهم واهليهم الا والنصر معقود بأيديهم ..

وكذلك كان .. !

لقد اغرورقت عينا البطل المجاهد بالدموع وسجد لله شكرا على هذا التوفيق .

والتف المجاهدون بالقائد البطل يترقبون تعليمات الجهاد . وجاءت التعليمات تقضي بأن يتصل رؤساء القبائل الحاضرين بذويهم وعشائرهم واتباعهم .. للالتحاق بهم في مركز « القامة » .

سمع الناس داعي الجهاد فلبوا مسرعين .. واصبح مركز « القامة » بين عشية وضحاها يعج بالحجيج من الناس .. فاتسع نطاق المحلة واصبحت على اهبة القتال .

اول نصر . !

وبينما الامير وصحبه يخططون استعدادا ليوم الفصل اذا بالطاغية «سيلبستر» يهاجم «ظهر اوبران» ومعداها بلغة الريف (هضبة الحجل) فاستولى عليها وحصنها مهيئا بذلك لهجوم آخر واوسع .

كان يقدر تضحكت منه الاقدار .... !

ثارت ثائرة الجموع المحتشدة ، فرأى البطل ان الوقت مناسب ، فمعنوية الناس عالية جدا ، اذن فعلى بركة الله يا من باعوا نفوسهم لله !

خرج المجاهدون خفافا ، ووجهتهم « ظهر اوبران » والتحم المعسكران في معركة رهيبة انفجرت عن استشهاد عدد كبير من المجاهدين .

ولكن الامور بنتائجها ..

فقد كان النصر حليف المسلمين فاستردوا الهضبة واستولوا على ما فيها من الجنود والعتاد .. !

قصص من نور :

وهنا فاضت اخيلة المجاهدين بحكايات قدسية عن الشهداء شهداء « ظهر اوبران » ونسجوا حولهم قصصا من نور .. !

قال قائل منهم : « كنت في المعركة اقاتل مع المقاتلين اذ اصابت رصاصة العدو فلانا (وذكر اسمه) فحملته اواريه عن الاعداء حتى لا يقع في ايديهم ـ وقد اصلاهم نارا حامية ـ فيمثلوا به .. وادركني الليل فاستلقيت بجانبه وعيني عليه ساهرة .. حتى اذا كان الهزيع الاول من الليل .. اخذني نور قدسي .. وعبق المكان بطيب ما شممت مثله قط .. واذا بحوريتين مقبلتان لباسهما ولحافهما من سندس خضر وبيدهما مبخرة يتصاعد منها ابخرة زكية .. واقتربتا من الشهيد .. فنثرتا عليه فرائد العطر والندى .. ثم انصرفتا .

وقال آخر : « اتذكرون فلانا ، لقد كانت كل رصاصة منه تصيب العشرات من جنود العدو .. ورأيته جذلا يخرج من قلنسوة جلبابه كسرات خبز يعض فيها تارة ، ويضغط على الزناد

اخرى .. وهو بين هذا وذاك يهتف : الهي انا ضيفك اليوم ، فاقبل عبدك في زمرة الشهداء .. واستمر في رميه وهتافه الى ان سقط شهيدا .. وابتسامة سماوية تعلو وجهه .

وحكايات نورانية اخرى ، كان بعضها من صنع الحقيقة وكان بعضها الآخر من انشغال النفس بالملأ الاعلى والشهادة في سبيل الله .

ولكنها كانت جميعها مشوقا بليغا لقلوب المومنة الصافية. وكانت عاملا آخر من عوامل الحماس لليوم المنتظر .

معركـة انوال الخالدة ..!

جرت عادة اهل الريف باشعال النار على قمم بعض الجبال المعروفة ايذانا بالخطر .. وذلك ما فعلوه بعد استردادهم « ظهر اوبران » .

تنادى الناس من كل صوب وحدب ، وتداعوا في جموع وحشد كبير قاصدين مركز البطل مستطلعين .. وارهفوا السمع لأخبار المعركة والنصر الذي احرز عليه المجاهدون ، فانتشوا بأخبار النصر وتاقوا الى الاستشهاد في سبيل الله .

وجاءهم صوت الامير مرددا في تأثر قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون » . فكبر الناس وهللوا وارتفعت اصواتهم في عنان السماء تباركها ملائكة الرحمن ويتضوع بشذاها الزمان !

وبقلوب عامرة بالايمان وبعقيدة راسخة خرج الناس الى انوال حيث كان الجنرال « سلبستر » يرابط بجيش قوامه عشرون الف جندي وبعتاد قوى مدمر يستعد لاكتساح الريف . كان جمعه هذا جمع معتد ، ولا يفلح المعتدي حيث اتى !

المجاهدون يسيرون وفي سيرهم تكتب صفحات ..
عدتهم ايمان ، وسلاحهم مبدأ ، وغايتهم التحرير ..
فالمجد والنصر للمثل العليا ..

تكتيك في الحرب باهر ، هو بند من بنوده : الحيلولة دون وصول المؤن والعتاد الى العدو .

فليكن اول العمل تنفيذ هذا البند .
ثم الهجوم والانقضاض بعد ذلك .

الله اكبر ، والعزة لله . الفئة المومنة القليلة غلبت الفئة الكبرى المسلحة ! « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله »

انتصر المسلمون ولحق الدمار بالمعتدين .

تكبد العدو هزيمة نكراء ، وفر يحتمي بالوهاد والجبال.

قتل طاغية يوم جزيرة النكور .. فيا لثأر الاحرار ويا لقداسة كلمة الرجال !

قتل « سلبستر » على يد الاحرار يوم 21 يوليوز 1921 وقتل معه الاف من الضباط والجنود ، وكان الخبر صاعقا بالنسبة للاسبان ، فعمهم الحزن والحداد .

ولاذ الجنرال « نفارو » بالفرار ، وانحاز مع فلول جيشه الى قصبة (اعرو) فكانت قوات المجاهدين له بالمرصاد . فحاصروا القصبة حصارا كاملا وحالوا دون وصول الماء والمؤن اليها .. فانهارت مقاومته واستسلم ومعه البقية الباقية من الفلول المنهزمة ، ودخل قرية اجدير اسيرا وظل في السجن الى ان افتداه المثري الاسباني « ايشيباريتا » بأربعة ملايين بسيطة !

كان لهذا الانتصار اثر عميق في نفوس المسلمين زادهم ايمانا بثورتهم والتفافا ببطلهم ، فنصروه وعزروه ووقروه .. وانضمت الى الحركة قبائل وافخاذ .. فاتسعت رقعة المعركة واسفر كل ذلك عن ميلاد ثورة الريف .. !

لقد انتشى اهل الريف بالنصر ولم يبطرهم بل كان حافزا لهم على اعطاء الثورة مفهوما اوسع وهدفا اشمل .

وسارت اخبار النصر في جنبات المغرب توقظ من كان غافلا ، وشاع خبر الثورة في ارجاء العالم ، وتساءلت اوربا في فزع وفي اندهاش : اصحيح الخبر ام هو اضغاث احلام ولغو كلام ؟ وتوارد على اجدير ـ مقر القيادة العامة ـ مراسلون للصحف يتساءلون عن النبأ العظيم وهم غير مصدقين .. !

ولكن هو الحق الأبلج عشى الاعين واستخلص منها الاكبار !

انها الثورة استوت في اقصى الريف فكانت بردا وسلاما على المسلمين ، وشواظا وجحيما على المستعمرين .

.. وملحمـة انـوال ..!

ان معركة انوال اصبحت ملحمة .. خصبة بالمعاني والمثل العليا .. تنتظر الشعراء والقصاصين . فأين هم .. ؟

تغنت النساء بهذا النصر ، ودخل يوم انوال في الاهازيج والترانيم ، وناغت به الامهات اطفالهن في المهاد .. وأرخ به المؤرخون في الريف لزواجهم ولميلاد ابنائهم ولاحداثهم .

لقد ذاب كل تاريخ فلم يبق حيا نابضا الا يوم انوال وانتصار انوال ، فهو نشيد الانشاد بالنسبة اليهم جميعا .. !

وملحمة انوال لا تزال حية الى اليوم تحكي القصة بوضوح .. ولا زالت العجائز الواهنات يرددن في ليالي الشتاء الطويلة وعلى نقرات الامطار لاحفادهن حكاية انوال وخرافات منسوجة

حول سلبيستر فيتلقاها هؤلاء قصصا من قصص الجن والعفاريت لا من قصص الواقع الصحيح !

انها قصة بعد بها الزمان وبهتت منها الاضواء فاذا هي كرجع الصدى البعيد او كصفحة صفراء من بقايا سفر قديم !

وتجتمع اليوم ـ وقلما تجتمع ـ عجائز الحي يستعدن في غبطة وفي اسى وحنين ذكريات المعركة .. انهن حضرن تفاصيلها وعشن احداثها ورددن اهازيجها ، يسأل بعضهن بعضا : اتذكرين ايام المعمعة وتكبيرات المجاهدين ؟ اتذكرين اغنية انتشرت في اعقاب الانتصار ؟ اتذكرين الامير سيدي محمد وقد افاض الله عليه نورا وكساه جلالا ومهابة ؟

فتستعيد كل واحدة ما يزال عالقا بالذاكرة تردده بنفس النغم وبنفس الكلمات ، فاذا وقعة انوال حية في الاهازيج الشعبية التي اندثرت او تكاد !

ارأيتم الى هذه الفتيلة المقدسة الملتهبة على الدوام في المعابد والهياكل ؟

انها كل ما بقى في صدور الناس الاولين من ذكريات انوال .. واخشى ما اخشاه ان يجيء يوم لا تذكر فيه من امر انوال الا انه وقعة حربية عادية لا غير ، ثم تنطفيء الفتيلة يوم يكف الناس عن زيارة المعبد المقدس فتصير الى رماد .. !

انها معركة ضعضعت الاستعمار ، وكانت اقوى عامل على السير بالثورة الى الامام ، وهي ثورة انبعثت من قريتي اجدير !

واجدير منبع مقدس لماء الحياة ، حياة العزة والكرامة ، حياة الايمان !

فالمجد والخلود لثورة الريف .

وتحية من القلب الى قريتي الوادعة « اجدير » مهد الثورة وموطن الامجاد .. !

الرباط ـ آمنة اللـوه

« الشكاية والكتمان »

فائدة الشكاية الترويح والتخفيف لان بث الشكوى وافشاءها فيه تخفيف وراحة :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة
يواسيك او يسليك او يتوجع

وبعضهم يرى كتمان الامر وعدم الشكاية لا سيما ان كان المشكو له غير مشفق ، والكلام المشهور في هذا قول ابن الطيب :

ولا تشك الى خلق فتشمته
شكوى الجريح الى العقبان والرخم

معلومات جديدة عن:

حياة الطبيب المغربي عبد السلام العلمي

للاستاذ محمد المنوني

كان من ابرز الشخصيات التي تناولتها رسالة « مظاهر يقظة المغرب الحديث » «1» شخصية عبد السلام بن محمد بن عمر العلمي الفاسي ، كمغربي لمع بين طليعة اليقظة المغربية الحديثة ، وتخصص في علمي الفلك والطب ، وقد استعرضت هذه الرسالة حياته العلمية بالمغرب ، وذكرت - الى جانب مؤلفاته الفلكية - الجهازين اللذين اخترعهما في هذا العلم ، وهما : « جمعية العالم » و « ربع الشعاع والظل » ثم تحدثت عن رحلته الى مصر القاهرة لدراسة الطب الحديث ، واسماء اساتذته الشرقيين في هذا العلم ، مع مؤلفاته الطبية « 2 » .

وهنا اود ان اذيل هذه الترجمة بمعلومات جديدة عن هذه الشخصية ، يتعلق الامر - اولا - بتقديم نص الاجازة «3» التي احرز عليها الطبيب العلمي من «المدرسة الطبية المصرية » «4» بقصر العيني بالقاهرة وهي صادرة عن حسين بن مصطفى عودة الدمشقي «5» ، احد اساتذة هذه المدرسة ومكتوبة بخط شرقي نسخي سنة 1291 هـ 1873 م ، وفيها يشهد بحضور الطالب المغربي على اساتذة المدرسة الطبية المصرية ، ويذكر مواظبته واجتهاده ، ويعترف بتفوقه بالنسبة لاقرانه .

وقد توسط اعالي صك الاجازة - طابع صغير بيضوي الشكل ، ومكتوب بداخله اسم المجيز وتحت هذا الطابع رسم شكل هلال كتب بداخله خمسة اسطر كالتي :

« تذكار مودة - طبية - من حسين افندي عودة الحكيم من دمشق الشام ، الذي تلقى العلوم الطبية بمصر - بالمدرسة الطبية من احسانات خديوي مصر وعزيزها - اسماعيل باشا » .

واسفل هذا جاء نص الاجازة التي ذيلت - في آخرها ومن جهة اليمين - بطابع مماثل للذي صدرت منه ، يتصل به توقيع المجيز الذي وضع تحته طابع اصغر .

والاجازة محررة باسلوب علمي عربي تتخلله بعض تعابير تركية ، حيث تضاف كلمة « لو » لبعض التحليات ، وتكتب متصلة بتائها الاخيرة ، مثل سعادتلو ، وحضرتلو ، ودونتلو .. كما انها لم

---

1 - انظر مجلة « تطوان » العدد الثاني : ص 7-77 والعدد السادس : ص 49-84 .

2 - نفس المصدر - العدد السادس ص 50-55

3 - جاء مصور هذه الاجازة ضمن كتاب « اعيان المغرب الاقصى سنة 1357 هـ » لمؤلفيه - بالفرنسية - مارتي مع ادماند كوفيون ، طبع باريس سنة1939 - ص 574 . هذا ومن الطريف ان يسجل وجود اجازات عربية في الطب القديم ، ومنها اجازتان من القرن 11هـ - 16 م ، منحت احداهما لفصاد ، والاخرى لجراح ، ويوجد نصهما معا في « تاريخ البيمارستانات في الاسلام » تاليف الدكتور احمد عيسى بك ، المطبعة الهاشمية بدمشق، سنة 1357هـ - 1939م ، ص 44-48 ، وهناك اجازة ثالثة وردت في « منطق الطير » لابن ابي حجلة ، نسخة المكتبة الملكية بالرباط رقم1910

4 - تاسست في ابي زعبل سنة 1826 م وفي سنة1837م نقلت الى القاهرة ، ووضعت في « قصر العيني ومعها « المستشفى » « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ج 4 ص 37-43 .

5 - توفي سنة 1331هـ - 1913 م وتوجد ترجمته - مع مراجعها - في « الاعلام » للزركلي ج 2 ص 284 « معجم المؤلفين » ج 4 ص 63 .



Moulai Abdesslam ben Mohammed Alâlami Ibn Machich Alouahadi

صورة اجازة المدرسة الطبية المصرية للطبيب عبد السلام العلمي الفاسي

تسلم من بعض الاخطاء النحوية التي سيقف عليها القارىء .

وتتجلى قيمة هذه الشهادة فيما تقدمه من معلومات عن دراسة الطبيب العلمي للطب بالقاهرة ، وفيما تلقيه من ضوء على فترة من حياته ، وهي — ايضا — تقدم نموذجا لاجازات هذه المؤسسة الشرقية الجديدة ، كما تقدم لونا من العلاقات العلمية بين المغرب ومصر في مطلع عصر اليقظة المغربية .

واخيرا فان من محاسن صك هذه الاجازة ان الصق باعلاه — من جهة اليمين — رسم « ربع الشعاع والظل » «6» الذي ابتكره صاحب الاجازة ، وللتعريف بهذا الرسم — كتب باعلاه بخط شرقي مماثل في اربعة اسطر هكذا :

« هذه صورة « ربع الشعاع والظل » — لمخترعه الشريف عبد السلام — العلمي المغربي الفاسي اخترعه سنة 1283 للهجرة النبوية ، على صاحبها ازكى التحية » .

وبعد : فها هو نص الاجازة الطبية :

« الحمد لله الذي اطلع من شاء على عوارف سره ، واظهر كل معدوم من خزائن علمه ، اللطيف الشافي الذي جعل لكل داء دواء تفضلا منه ورحما ، وامر بتعاطيه على لسان انبيائه الذين بينوا من اصول الطب وفروعه قسما جما ، والصلاة والسلام على طبيب القلوب سيدنا ومولانا محمد المفضل عن كل ما سواه من خلقه ، وعلى آله واصحابه وحزبه وجنده .

اما بعد : فلما كان في ايام خديوية من غمرني بالاكرام ، وعمني بالجود والانعام ، صاحب العزم الذي عز من يحاوله والكرم الذي علا ان يكون في الكرام من يطاوله ، واضحت في زمنه حدائق العلم يانعة الازهار ، كأنها جنات تجري من تحتها الانهار ، وعذبت بالديار المصرية موارد فضله ، وامطر على الصغير والكبير وافر كرمه وعدله ، فاضحى وهو قبلة المجد التي لما تزال حولها الامال طائفة ، ولا تبرح تسعى طائفة بعد طائفة ، افندينا المعظم المحروس بعناية ربه العلي ، **خديوي مصر وعزيزها اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ،** ولا زال سعده باقماره منشورا ، وجيش عزه بانصاره منصورا .

انه قد وفد من مدينة فاس المحروسة بالديار المغربية ، الى الديار المصرية ، بامر سيدنا ومولانا العالم العادل المؤيد المظفر سيف الدنيا والدين ، ناصر الاسلام والمسلمين ، السلطان **مولانا الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولانا عبد الرحمن** ، ادام الله ايامه ، وقرن بالنصر اعلامه واجلاله حضرة الخليل الذي تحلى بالمجد ، وحصل المعالي بالاجتهاد والجد ، الذكي الالمعي والطبيب اللوذعي ، السيد الشريف عبد السلام افندي نجل المرحوم السيد محمد العلمي بل الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، لاجل التمرين على نفائس العلوم المستجدة الطبية ، بالمدرسة الطبية الخديوية المصرية ، المتداولة الان ، في جميع البلدان .

وكان دخوله في سنة احدى وتسعين ومائتين بعد الالف ، فحضر على حضرات اساتذتنا الكرام ، الذين اشتهر فضلهم لدى الخاص والعام ، جملة علوم نذكر طرفا منها ، وهي جراحة الصفري على حضرة رئيس الاسبتالية والمدرسة الطبية سعادتلو محمد علي باشا «7» والباتولوجيا الخاصة اي علم الامراض الباطنية على حضرة عزتلو سالم بيك سالم «8» معلم العلم المذكور وحكيم باشي حضرة دولتلو عصمتلو والدة الحضرة الفخيمة الخديوية ، وعلم الكيميا والنباتات على كل من حضرة احمد بيك

---

6 — للمترجم رسالة صغيرة في طريقة استعمال هذه الالة ، سماها : « ارشاد الخل ، لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل » طبعت — على الحجر — بمصر في 12 ص ، بدون ذكر تاريخ الطبع ، حجم صغير .

7 — اصل اسمه محمد بن علي بن محمد الفقيه البقلي توفي سنة 1293هـ—1876م وتوجد ترجمته مع مراجعها — في « الاعلام » للزركلي ج 7 ص 193.

8 — توفي سنة 1311هـ — 1893 م وتوجد ترجمته — مع مراجعها — في « الاعلام للزركلي ج 3 ص 114 ، و « معجم المؤلفين » ج 4 ص202—203 .

لدى « 9 » معلم المواليد الثلاث ، وعلى حضرة جاستنيل بيك القرنساوي كشاف باشي ورئيس الاجزاجية ، والاقرباذين والعمليات الاقرباذينية على حضرة علي افندي رياض «10» رئيس المعمل الكيماوي ، وخلافهم ، فشمر الافندي المذكور عن ساعد الجد والاجتهاد ، وهجر الاوطان والبلاد ، وسهر الليل لنيل المعالي، وغاص البحر لطلب اللئالي، وقد تميز من ابتداء دخوله ومباشرته في الدروس واشتهر بمواظبته الحقيقية والغيرة الكلية ، في بذل الجد والاجتهاد ، ونال بذلك طريق الرشد والسداد .

ولا يخفى ان مثل هذه الاشغال التي اشتغل بها الافندي المومى اليه : فهي فعل جميل لا تخلو عن اشهار فضل ومنفعة ، وكان احيانا يحضر مجلسنا للمذاكرة ببعض من العلوم السابق نشرها، والفنون المتقدم ذكرها ، فاقول مع الاختصار : اني من منذ ما كلفت بتعليم علم الطب بدمشق الشام المحمية ، قبل مجيئي الى المدرسة الخديوية المصرية ، على الاستاذين : الوالد مصطفى افندي ابو عوده رحمه الله وعلى الاخ سعيد افندي عوده حرسه الله ، فلم اجد احدا اشتغل بغيرة شديدة ، وطريقة مستمرة حميدة ، مثل هذا الطبيب النحرير ، الذي هو بالمدح جدير ، واشكر صائب راي **السلطان مولانا الحسن** ، وفطنته الحميدة العلية ، ان جعلت منفعة هذه المعارف العلمية والعملية ، المختصة بطبيبها الجديد المحضر من المدرسة الطبية الخديوية المصرية ، لالقاء ما تحصل عليه بتدريس العلوم الطبية ، ومن حظي الاوفر اني اجتمعت مع مثل هذا الفاضل الماهر فوجدته في العلم والعمل وحيد **« كذا »** وفي المعارف بالنسبة لاقرانه فريد ، لانه ذاق من منهل علوم الطب مافاق وراق ، وشرب من سلسبيل الحكمة كاسا دهاق **«كذا»** لمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، تحريرا في محروسة مصر القاهرة سنة 1291هـ .

وإثر هذا طابع بيضوي الشكل ، يتصل به امضاء المجيز – في اربعة اسطر – هكذا . « كاتبه – حسين – عودة الحكيم – الدمشقي المقيم الان – بمصر » . واسفل هذا الامضاء وضع طابع صغير .

هذه هي الاجازة التي اذيل عليها بفقرة جديدة عن حياة صاحبها وردت في « المفاخر العلية » «11» وقد سقط من هذا المصدر اسم العلمي المعني بالامر ، حسب النسخة التي رجعت اليها ، وجاء النص – لدى تعداد اطباء السلطان الحسن الاول – وهكذا :

« ... كان منهم الشريف الفاضل ، العدل ، الحيسوبي الكبير ، الموقت ، استنبط اشياء من علم الهيئة ، واعتنى به سيدنا الامام ، المقدس ، سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان ، وامره بتدريس علم التوقيت بجامع القرويين ، وادخله في ديوان المدرسين ، ثم اشتغل بعلم الطب ، ورحل الى مصر واخذه هناك ، ثم تصدر لكتابة الرسوم بدكاكين العدول من حضرة فاس .. ثم انتقل للكتابة بحضرة مولانا المنصور بالله تعالى مولانا الحسن ، ثم اصيب بعظيم بلاء ، وهو سنة خمس وثلاثمائة والف – حي عافانا الله واياه » .

وكان من اساتذة العلمي والده محمد بن احمد وابو اسحاق ابراهيم التادلي الرباطي الامام الشهير

كما ان « جعبة العالم » التي ابتكرها المترجم كانت كالاصطرلاب ، الا انها على شكل الطبل . وقد جعل واحدة من هذه الالة خاصة بعرض فاس لنفسه واخرى جامعة اهداها للسلطان محمد الرابع .

الرباط – محمد المنوني

---

9 – توفي سنة 1294هـ – 1877 م « الاعلام » للزركلي ، ج 1 ص 249 ، و « معجم المؤلفين » ج 2 ص 193–194 .

10 – توفي سنة 1317هـ – 1899 ، « الاعلام »للزركلي ج 5 ص 101 .

11 – اسمه الكامل هكذا « المفاخر العلية ، والدرر السنية، في الدولة الحسنية العلوية» تاليف عبد السلام اللجائي الفاسي المتوفى سنة 1332هـ – 1914م ، توجد مسودة بالمكتبة الزيدانية بمكناس ، وبالمكتبة الملكية بالرباط ، نسخة اخرى منه تحمل رقم 460 ، وتوجد مقتطفات منه بالخزانة العامة بالرباط في كناش يحمل رقم ك 351 ، وللمؤلف ترجمة صغيرة في احدى تعاليقه « النهضة العلمية » لابن زيدان .



للاستاذ عبد القادر زمامة

من الحقائق التاريخية في تاريخ الحضارة والفكر الاسلاميين ان البحث الجغرافي نشأ مسايرا للبحث التاريخي واللغوي ، فمنذ نشأة الدولة الاسلامية كانت الحاجة ماسة الى البحث عن طرق المواصلات الحربية والبريدية واسماء البلدان والاقاليم داخل بلاد العرب والاسلام وخارجها .

فرواة الشعر واللغة شغلوا بجغرافية جزيرة العرب الوصفية فبحثوا عن الجبال والاودية والاحساء والدارات ومضارب القبائل في الصحراء . والمسافات . والمفازات وغيرها ...

وقواد الحرب شغلوا بجغرافية بلاد الفتوح في فارس وتخوم الروم وبلاد الشام ومصر والمغرب ليتسنى لهم تنظيم المواصلات الحربية وتموين الجيوش ومعرفة الثغور .

كما ان رجال الخراج والجزية وكتاب الدولة اهتموا بالبحث عن المسالك والممالك والمسافات لتنظيم شؤون البريد والاتصال بالولاة والعمال والتقاط الاخبار وارسال التعاليم والانباء الرسمية من مركز الخلافة في بغداد الى الاقاليم ...

وكان هذا البحث الجغرافي يعتمد على الرحلة والمشاهدة في اول الامر . فكل من رجال الحرب والادارة لم يجدوا امامهم دراسات جغرافية مكتوبة يعتمدون عليها . فلذلك كانت الرحلة والمشاهدة هي طريقهم الى الجغرافية قبل ان تترجم الى العربية كتب اليونان والسريان . وقبل ان ترسم الخرائط وتحدد المسافات .

ولا ننسى الى جانب هذا تلك الاسباب الدينية والاقتصادية التي جعلت كثيرا من المسلمين يضربون في الارض طولا وعرضا لاداء فريضة الحج . وطلب العلم والتماس الرزق من التجارة والاحتراف ...

ومرت مرحلة كانت المعلومات الجغرافية فيها تروى كما تروى اخبار التاريخ ، فيها الحقيقة والخيال . والوقائع والاساطير .. بل انه ظهر فن (العجائب والغرائب) ذلك الفن الذي ابتكره بعض التجار والرحالين الى بلاد الهند والصين وجزائر المحيط وبلاد السودان ..

ومنذ القرن الثالث الهجري اصبح البحث الجغرافي يستقل عن المباحث الاخرى . واخذت معلومات الباحثين تنضج وتتبلور فيما كتبه الجاحظ عن (البلدان) وفيما كتبه غيره عن الاطوال والعروض والمسافات والبروج والافلاك والنجوم ...

وظهر اذ ذاك تأثير الكتب المترجمة على الباحثين فساروا في اتجاهين اثنين :

- اتجاه البحث في الافلاك والنجوم والكواكب .
- اتجاه البحث في المسالك والممالك والمسافات .

ويطل القرن الرابع الهجري وقد عرفت المكتبة العربية عددا من الابحاث الموضوعة والمترجمة . وعددا من الرحلات والرحالين . وما زالت تحتفظ ببعضها الى الآن ...

ويوجد ابن حوقل الموصلي في مقدمة الرحالين الذين ضربوا في الارض واخترقوا المسالك والممالك والمفازات في آسيا وافريقيا واوربا طيلة ثلاثين سنة من القرن الرابع الذي

كان عصرا فريدا في تاريخ الاسلام تقاسمت فيه بغداد والقاهرة وقرطبة النفوذ السياسي والاقتصادي والمجد الحربي والعلمي .

وبدأ ابن حوقل رحلته من بغداد سنة 331 هـ ـ 943 م واتخذ التجارة وسيلته ومعاشه كما ذكر في مقدمة كتابه ـ المسالك والممالك ـ ويظهر من مقدمة الكتاب انه كان غير مطمئن الى الحالة السياسية التي كانت تعيش عليها مدينة السلام .

وبضميمة ذلك الى ما في كتابته من ميل الى تأييد سياسة الفاطميين واستخفاف بشأن الامويين في الاندلس ، اتهم بانه

كان يعمل لحساب الجاسوسية الفاطمية التي كانت اذ ذاك طامحة الى مزيد من التوسع والنفوذ في ارجاء العالم الاسلامي .

وقد دون ابن حوقل معلوماته في كتابه المسالك والممالك جامعا بين المشاهد والدراسة والاخبار وتخطيط الخرائط على الاصطلاح القديم الذي كان يجعل الجنوب اعلى الخريطة والشمال اسفلها . والغرب يمينها والشرق يسارها .

فزار بلاد العرب وفارس والسند وسجستان ثم انعطف الى اوربا فشاهد بلاد البلغار ووصل الى اعلى نهر الفولكا . وشاهد مصر والمغرب وقسما من الصحراء . والاندلس وصقلية ثم رجع الى بغداد ...

وقد طبع كتاب ابن حوقل مرتين في ليدن عاصمة الاستشراق كان عنوانه في الاولى كتاب المسالك والممالك .. وكان عنوانه في الثانية : كتاب «صورة الارض» . وكل من العنوان الاول والثاني ليس الا اسما لرحلة ابن حوقل البغدادي .

واليوم يطبع هذا الكتاب من جديد في مدينة بيروت بعنوان كتاب « صورة الارض » ويأخذ طريقه الى رجال البحث والدراسة ليجددوا العهد بقسم من تراث الاجداد في ميدان الرحلة والجغرافية .

والذي يهمنا في هذا الحديث بالخصوص هو المعلومات القيمة التي احتفظ لنا بها ابن حوقل فيما يرجع للمغرب والاندلس ، فقد زار المغرب في القرن الرابع . اي في ذلك العهد المظلم من التاريخ المغربي الذي لا نكاد نعرف عنه الا معلومات غامضة لا تشفي غليلا ولا تطفيء غلة الباحثين ، كما زار الاندلس وكانت اذ ذاك في اوج حضارتها وعزتها وازدهار عمرانها على عهد الناصر وابنه المستنصر ...

وقد كتب ابن حوقل عن المغرب اكثر من اربعين صفحة تحدث فيها عن طرابلس وافريقية والمغرب الاوسط والاقصى وهذا ما كان يعرف عندهم بالمغرب اذ ذاك .

وحديث ابن حوقل الرحال الجغرافي التاجر .

فهو يصف الطرق والمسالك والموارد الاقتصادية وحالة الاسواق وحالة الانتاج مع تتبع الآثار ومظاهر المدينة والعمران ويشير الى الحالة السياسية باقتضاب .

واهم ما ينفرد به ابن حوقل هو هذا التتبع الدقيق لأسماء المدن والقرى وما تمتاز به من اسواق ومتاجر ومعاهد ، فهو يذكر لنا في المغرب مثلا مدنا هي :

مدينة اقلام . والبصرة . وكرت . وازيلا . واغمات . وسجلماسة . وفاس . وطنجة . وسبتة . ومليلية . ويذكر عن رباط سلا . انه كان رباطا لجهاد كفار برغواطة .

وعلى هذا فتكون مدينة الرباط موجودة قبل التاريخ الذي حدده المؤرخون ، وهو عصر المنصور الموحدي ...

ويذكر ان الناحية الغربية كانت متوفرة على حقول واسعة لزراعة القطن واصداره الى الصحراء والاندلس ، ثم يتابع رحلته الى سجلماسة فيصف لنا عمرانها العظيم وانها كانت مفتاح الصحراء وسوقها الكبرى بسبب التجار الذين قصدوها من العراق وفارس والسودان .

وهذه المعلومات التي اشرنا الى بعضها اشارة عابرة في هذا الحديث لها اهمية قصوى في دراسة تاريخ المغرب على عهد الادارسة ومغراوة حينما كان الصراع حوله مشتدا بين الفاطميين والامويين ... وكم كنا نود ان يحدثنا ابن حوقل عن الحياة السياسية كما حدثنا عن الجغرافية والاقتصاد والعمران .. ولكنه يبدو متحفظا ، كأنه يخشى رقيبا عتيدا على قلمه ولسانه .

وكلما جاءت مناسبة اثنى على الفاطميين باختصار واقتضاب .

ويمكننا ان نقول ان المؤرخين الذين كتبوا عن القرن الرابع في المغرب ولم يدرسوا كتاب ابن حوقل كانوا بعيدين عن الحقيقة من التاريخ المغربي ، فقد فاتهم شيء كثير من المعلومات والاخبار والآثار .

ثم يتصدى المؤلف لوصف بلاد الاندلس ، وهنا يظهر ابن حوقل متعصبا حاقدا على الامويين وسياستهم وحضارتهم فعبد الرحمن الناصر اعظم ملوك الاندلس واشهر ملوك الاسلام ، لا ينال عنده لا لقب امير .. ولا ملك ولا خليفة ولا اي شيء من الفاظ التشريف ، كأنه اقل من رجل عادي في نظره.. وكذلك ابنه الحكم المستنصر ...

هذا عن الامويين ، اما عن الاندلس نفسها فقد وصف مدنها باختصار ومعادنها ومنتوجاتها ومعالم حضارتها ومسالكها وموانيها التجارية والحربية ، كل ذلك بما عهدناه فيه من استقصاء واطلاع غريبين ..

وبعد فاذا كان لنا ان نلاحظ على نشر هذا الكتاب فاننا نلاحظ اولا وقبل كل شيء انه نشر نشرة لا اثر فيها للتحقيق العلمي ولا تتصل بفن نشر المخطوطات ، فلا تحقيقات ولا تعليقات ولا فهارس متنوعة ... وانما هو كتاب ابن حوقل على ما فيه .. وهذا في نظرنا نقص كبير في نشر مثل هذا الاثر الفريد .. فنرجو ان يعاد نشره نشرا علميا مدققا محققا لتكون فائدته اتم ونفعه اعم .

فاس : عبد القادر زمامة

مختارات

من الشعر العربي القديم

الأسد

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شارِباً	وَرَدَ الفُراتَ زَئِيرُهُ والنِّيلا ١
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوارِسِ لابِسٌ	في غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلا ٢
ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلاّ ظُنَّتا	تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفَرِيقِ حُلُولا ٣
يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ	فَكَأنّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا ٤
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إلى يافُوخِهِ	حَتّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إكْلِيلا ٥
وَتَظُنُّهُ مِمّا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ	عَنْها لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولا ٦
ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ في زَوْرِهِ	حَتّى حَسِبْتَ العَرْضَ مِنْهُ الطُّولا ٧
وَيَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كَأنّهُ	يَبْغي إلى ما في الحَضِيضِ سَبِيلا ٨

المتنبي

شــرح الكلمــات :

1) ورد : اسد ورد ، اشقر تعلوه صفرة او الاحمر يضرب الى صفرة • البحيرة ، بحيرة طبرية هنا •
2) متخضب بدم : متلطخ به • الغيل ، الاجمة ، شجر ملتف بعضه على بعض • لبدتيه ، يريد الشعر الذي على كتفيه •
3) الدجى : الظلمة • الفريق ، الجماعة • حلول ، حالون نازلون • عين الاسد وعين السنور والحية تتراءى في ظلمة الليل بارقة كأنها نار •
4) الثرى : التراب • التيه ، الكبر • آس ، طبيب • يجس ، الجس المس باليد •
5) العفرة : شعر القفا • يافوخه ، رأسه • اكليل ، تاج •
6) زمجر الاسد : ردد زئيره •
7) الزور : اعلى الصدر • مازال يضم بعضه الى بعض حتى صار عرضه في قدر طوله •
8) السبيل : الطريق • الحضيض ، المنخفض من الارض • يقول كأنه من غيظه يدق بصدره الحجارة فكأنه يطلب طريقا في داخل الارض •



للشاعر ادريس الجاي

الطهر والنور لما المصطفى ولدا ... تألقا من سنى الخلاق فاتقدا
الله امسك فى آزاله قبسا ... وقال كن فاستوت انواره جسدا
لذاك مثل رسول الله ما ولدت ... انثى .. وحتى انقراض الدهر لن تلدا
فهللوا يوم عيد المصطفى فرحا ... وكبروا ملكوت الله قد سجدا
اتى فأحيا موات الارض فازدهرت ... صحراء يعرب .. فالدنيا ومن وجدا
نورا .. وطهرا .. وايمانا .. ومرحمة ... وحكمة .. وحضارات لم تزل جددا
اتى ناحيا موات الارض فازدهرت ... سنابل الخير لا تحصى لها عددا
وجاء يحمل فى يمناه (الكتاب) هدى ... للعالمين وفى اليسرى لمن جحدا
وقام يطفىء نور الله يحجبه ... سيفا اطاح رؤوس الشرك اذ حصدا
تبا لمن كانت اليسرى له رصدا ... طوبى لمن كانت اليمنى له سندا
صلوا عليه..على الهادي الكريم على(م) ... الخلق العظيم به الخلاق قد شهدا
ذاك الذى تمم الاخلاق .. جملها ... واكمل الدين .. دين الحق والرشدا
فكان صحب رسول الله .. ما لبثوا ... اسطورة الخلق الاسمى لمن نشدا
باعوا لربهم .. الدنيا وزخرفها ... لينصروا دينه او يصرعوا شهدا ..
فاسترخصوا فى سبيل الله ما ملكوا : ... الروح .. والمال .. والاصنام .. والولدا
سل عنهم .. يوم بدر .. اوحنين .. وسل ... من بعدهم خلفا للدين كان فدا
يجبك من سجل التاريخ انهم ... قد ارهبوا من عدو الله من عندا
حتى استوت راية الاسلام عالية ... ولن تزال هنا خفاقة ابدا
ما دام سبط رسول الله يرفعها ... من ذا سوى الحسن الثانى أجل يدا ؟

❋

يابن النبي كما احببتنا النبي محضناك(م) ... المحبة .. هاك القلب والعضدا
ان الذي شئت .. شاء الله .. باركه ... فدم كما شاء .. مشكاة .. ودم رشدا
يا باني المغرب الاقصى وحارسه ... من حولك الشعب .. لما ناديته احتشدا

ما ان خطوت خطى .. الا اتبعنا الخطى ... ولا بلغت مدى الا بلغنا المـــدى

وما تكابد من جهد .. ومـن جالـد ... حاشا يضيع بارض الاكرمين ســدى

انا على أهبة .. فى كـل مكرمــة ... حتى نقيم لصرح المغرب العمــدا

حتى تراه (امير المؤمنـين) كمـا ... تشاء .. عزا .. وعيشا طيبا رغـدا

فلا فقير .. ولا محـرم يسلبـه ... رغيفه شره يبتز مـا حصــدا

ولا جهالة فى سهـل ولا جبـل ... ولا مآسي تدمي القلب والكبـدا

وما كثير على من جـده ولــدا ... لتصلح الارض مما فوقها فســدا

كلا .. فانت امير المؤمنيـن تفـي ... بما وعدت .. وفاء الحر ان وعـدا

بمثل همتك القعساء تدرك آمال (م) ... ويصعد للعلياء مـن صعـدا

هذي الحظيرة لولا انت حارسهـا ... لربع قاطنها .. او ضيم واضطهـدا

اف لمـن رام الا مـا رسمت لـه ... من السبيل .. وما تختاره صـددا

فارع الرعية .. عين الله ساهـرة ... عليك .. واسلم .. فكل الاوفياء فـدا

آمالنا فيك ، والاخلاص اجنحـة ... حلق بنا فى سماوات العلا صعـدا

وان تخيم ، حبيب الله تتصبهـا ... امجادنا .. ويظل الاطلس الوتـدا

ان لم يمد لك الغـاوون أيديهـم ... فالتسب قد مد لابن الانبياء اليـدا

ولا عليك .. فانت الحـق منتصـر ... ولا علينا اذا مات العـدى كمـدا

❋

يا آل بيت نبي اللـه حبكـم ... فرض على من اطاع الله اذ عبـدا

ما خاب من بابكم باب النبي نحـا ... وخاب من غيره فى سعيـه قصـدا

اوصى بكم خير خلق الله اشرفهـم ... آمين .. نحن على العهد الذي عهـدا

من لم يصل عليكم لا صلاة لـه ... ولن يزكيها الرحمان مـا سجـدا

لا اعرف الخـير الا فى محبتكـم ... ولا ارى حسنـا الا كـم احـدا

الرباط ـــ ادريس الجائي





للاستاذ عبد المجيد بن جلون

ما كدت أبصر طلعة البحر   حتى غفلت هناك عن أمري
ونسيت أصحابي الذين معي   وسعيت نحو مياهه اجري
وذكرت ايامي التي سلفت   فوق الشواطىء في الصبى النضر
فرمالها الصفراء كم حضنت   جسمي الصغير بساحل البحر
ولكم اقمت عليه من ترع   وبنيت من حصن ومن قصر
وسبحت بين الموج مغتبطا   ببروزه من حيث لا ادري
فاكاد اغرق اذ يفاجئني   واللوذ بالاحجار والصخر
صور على صور قد اندفعت   وتباعثت من سالف العمر
فالبحر خل لست انكره   من بعد طول البين والهجر
بل قد جريت اليه في لهف   لما بدت لي طلعة البحر

❋

يا بحر تلك طفولتي انصرمت   فعلام ذكرى سالف العهد !؟
فوق البسيطة لست أول من   قد ضاع بين المهد واللحد
امواجك الهوجاء قد سحبت   ايامها في الجزر والمد
تعلو على الشطآن مصطخبا   وتعود من بدء الى عود
تعلو وتغمر ما تصادف فيـ   ـها من حضارات ومن مجد
اطفأت شعلتها وبهجتها   في جوفك المتوثب المردى
فيديرك الجبار قهقهة   من نزعة الانسان للخلد
ما اشبه العمران يرفعه الانسـ   ـان في الاجواء كالطود
بالمعقل الرملي ... يرفعه   الاطفال في بشر وفي كد
تعلو عليه ثم تمسحه ...   بيد تشل وتقهر الايدي

❋

أمواجك الزرقاء تخلبني   لكنها يا بحر ترعبني
فلانت مثل الارض مقبرة   لنفائس التاريخ والزمن
في العمق أشلاء مخبأة   مستورة بروائع الفتن

فالمنظر الخلاب ينعشني | والواقع المهوال يفزعني
اني لانصت في الظلام الى | هذا الهدير يكاد يصعقني
فكأن صوت الموج مرثية | جبارة الالحان تجرحني
وارى بها الابدان هائمة | في الماء ابصرها وتبصرني
الحانها في الليل نائحة | مملوءة بالحزن والشجن
والروح فوق الموج تائهة | كالطير باحثة عن البدن
ارواح من غرقوا تطالعني | وانينها بالحزن تملاني

❋

ولقد تثور بمائك اللجب | ارواح غرقى سائر الحقب
تتقمص الامواج هائمة | فاذا جميع البحر في غضب
متقاذفا في الجو محتدما | متحديا للانجم الشهب
فاذا وضعت بها الجبال غدت | في ثورة الامواج كالحصب
وشواطىء المعمور راجفة | تهتز في خوف وفي رهب
والموج كالحيوان مفترس | قد هيجته شدة السغب
واللجة الموجاء مرسلة | برشاشها في اوجه السحب
وكانما الدنيا قد اختلطت | اسرارها في موجك اللجب
يا للطبيعة ..! ليس يدركها | ما يدرك الانسان من تعب
بل ما تزال تتيه يافعة | وتثور في عنف وفي صخب

❋

اني تركت البحر في صغرى | ورجعت ابحث عنه في كبرى
اين احتدامي اليوم من لعبي | بالامس فوق الشاطىء النضر
شخصي القديم — ويا لروعته — | قد ضاع في الاحداث والغير
بل كل ما في الارض منقلب | متغير في كفة القدر
الا مياه البحر فهي كما | كانت هنا من اقدم العصر
ولسوف تاتي بعدنا امم | وتمر مثل الركب بالعمر
فترى مياه البحر زاخرة | فاتت مساحتها مدى البصر
زرقاء ... مرعبة ... محببة | لم تمتثل كالارض للبشر
وترى مياه البحر واحدة | وتكرر الشطآن والصور
تمتد في الافاق في عظم | وتموج بالاسرار والعبر

الرباط — عبد المجيد بن جلون



العيـد عيـدك يا شبـاب ... طابـت لقـاك بـه وطـاب
وزهت بمقدمـه القرى ... وترنمت كل الشعـاب (1)
وعلت بشاشتـه الوجـو ... ه ، وعم زخرفـه الرحـاب ،

*

ابـدى اليـك تشوقـا ... وبدا يتوق الـى الايـاب
هو ذا يؤوب ، فـلا مـلا ... م علـى غريب اذا أناب (2)
كيـف الملام وقد اتـى ؟ ... كيـف الحساب أو العتـاب ؟
هـوذا أتانـا مشرقـا ... غـض المحيـا والاهـاب
هـو ذا اتـانـا زاهيـا ... خصـب الجراب أو الوطـاب
فيـه الجنى الحلـو اللذيـ ... ـذ ، وفيه ما يقضى العجاب !

*

هـو موكـب يحلو لنـا ... ظـره ، فهل له من نظـير ؟
تعلـو البشاشة وجهـه ... يـا حسنه وجها نضـير !
يحـدوه جـوق ماهـر ... انغامـه تحيى الضمـير
حلـو الترانيـم عذبهـا ... فاقـت عذوبتها النمـير
الكـل هاهنـا مسهـم ... بنصيبـه ، حتـى الصغـير
ففراشـة تغـدو ، تـرو ... ح ، تبـارك الصبح المنـير
أم كيـف لا ، والطـير تعـ ... ـلم ، والغصون مع الغدير
ان البـلاد جميعهـا ... تهفـو لعيـد مستنـير

*

عيـد احـب الـى نفـو ... س الشعب من احلى الرغـاب
عيـد المليـك المجتبـى ... عيد المنى ، عيـد الشبـاب

---

1) الشعاب والشعب : الفئات والطوائف .
2) أناب : رجع مرة بعد اخرى .

ملك شديد البـــــأس ، فى — اعمالــه يغـزو الصعــاب
فتـــذل صاغـــرة لـــه — ولرايـــه تعنـــو الرقـاب
ورغـــم ذاك فحلمـــه — قد فاق ، زاد على النصـاب
فلطالمـــا ابـــدى لنـــا — من فيضـه اللـج العبـاب
ولطالمـا يحبـــو البـــلا — د بمـا ترجـى من طـلاب

❋

تلـك الفراشـة حومـــت — فالى هنـاك ، هنـا تطـير
تغـزو الفضـاء بجنحهـا — فكأنها ((كوردون كوبير)) (3)
او كانها (لينـــوف) (4) اذ — يخطـو برجلـه فى الاثـير (5)
وتطـــير جاهدة ، فطـــو — را فى الظـلال او الهجـــير
وتـــؤم ساحـة روضـة — تعطو شذاهـا والعبيـــر
فتحط فـــوق غصونهـا — اكرم بها مهـــدا وثـــير !
حيث الصبابـة والهـــوى — حيث الطيور مـع الغديـر
هاتيـــك تطـرب بالغنـا — ء ، وذاك يعـزف بالخريـر
وغصونهـا تبدي لنـا — مـن فنهـا الرقص المثـير
فعناصر الحسـن استـوت — مـن خضـرة ، ماء نميـر
الكـل هاهنـا منشـد — يشدو ويلهـج كالبشـير :
عيد الشبـــاب يعــود فى — اعطافــه الخـير الوفـــير

❋

هذى المـدارس قد علـت — هاماتهـا نحـو السمـــاء
بسواعد تقوى علـى التـ — ـشييـد فى أوج الفضـــاء
((عمليـــة)) لبـى بهـا — أصحابهـا حر النـــداء
يدعـــو المليـك فكيـف لا — تهفو القلوب لذا الدعــاء ؟

❋

تلـك التجـارة امســت — بقـــرار ملـك ذي دهـــاء
قـد كـان يزجيهـا الغريــ — ــب ، فيستقي منها الثـراء

---

3) الملاح الكوني الامريكي السادس دار حول الارض22 دورة فى 34 ساعة و 20 دقيقة وذلك يومي 15 و 16 مـاي 1963 .
4) اليكس ليئوف : ملاح كوني سوفييتي تمكن مؤخرا ولاول مرة فى التاريـخ من الخروج من سفينتـه (فوسخود 2) فسبح فى الفضاء ثم عاد اليها بعد عشرين دقيقة .
5) الاثير مادة لا تقع تحت الوزن ، ويكون امتداد الصوت والحرارة بوساطة تآوجاتها .

والان هـا هـي حـررت | للمغربـي بـلا عنـاء
فنـراه يربـي تجـارة | ونـرى رباحـه في نمـاء

❋

تلـك الصناعـة ترتـدى | ثـوب النشـاط والاعتنـاء
تبغـي التقـدم والرقـ | ـي ، كذا المتانة والـرواء

❋

هـذا الموظـف يرتجـي | لزيـادة الاجـر السخـاء
وكـذا يـريد رفاهة العـ | ـيش الخفيض ، فلا غلاء

❋

هـذا ، وتلـك ، وهـؤلا | ء ، فكليم يبغـى الهنـاء
بقيـادة الملـك الرشيـ | ـد ، العبقري ، ذى السنـاء
سيـد البـلاد وشهمهـا | اسد الشرى ، بطل الابـاء
لـو سـار مغربنـا علـى | خطواتـه يعلـي البنـاء
لمحـا الكسـاد بهمـة | وبعزمـة افشـى الرخـاء
وحبا شعـوب الارض مـا | تصبو اليه من الزهـاء (6)

❋

اللـه يحفـظ ملكنـا | اللـه يشـرح صـدره
ويعينـه بجلالـه | بهداه يمحـص فكـره
ولتحفظـن بـه صحـة | ربي ، اطل ، اطل عمـره
فبلادنـا بـه تاتسـى | وشبابنـا يقفـو اثـره
ويؤمل الافضـال مـن | نجـل لـه ، نرجو خيـره
اعني الامـير محمـدا | قـد صـان ربـي سـره

❋

العيـد عيـدك يا شبـاب | طابت لقاك بـه وطـاب
وزهـت بمقدمـه القـرى | وترنمـت كـل الشعـاب
وعلـت بشاشتـه الوجـو | ه ، وعم زخرفـه الرحـاب

عبـد الله العمرانـي
استاذ بالمدرسة العليا وفرع كلية
الاداب بتطوان

عيد الشباب
لعام 1965 9 يوليوز

(6) الزهاء : الاشراق والازدهار .



لقد امضى صديقنا الدكتور صالح الاشتر السنة الجامعية الماضية استاذا للادب العربي في فرع كلية الاداب بمدينة تطوان .

فلما دعي هذه السنة الى الانتقال الى فرع الكلية بفاس ، اصاب الوسط الثقافي بتطوان جزع على رحيل الدكتور الاشتر عنها فكان عتاب مس قلب الشاعر ففاض بالحنين الى بلد العيون الخضر « تطوان » عروس الشمال المغربي ، « اذ تطوان بالبربرية معناها العيون » .

ومن هنا ولدت قصيدة « اغنية للرحيل » التي جاءت « اغنية للبقاء » فى البلد الوفي تطوان .

اتزعم ان سرك لا يباح ؟ ... وخمرك اعين مرضى صحاح

شربت الكاس مترعة فباحت ... بما تخفيه السنة فصاح ،

ولو عيي اللسان لكان اولى ... بسرك ان تبوح به الجراح

وخمرك اعين قد عتقتها ... اياد لا تجود بها شحاح

تؤرقك العيون الخضر جفنا ... قريحا لا يريح ولا يراح

وتقضي العمر ليلا سرمديا ... كان الليل ليس له صباح

وقلبك فى الشباك الخضر ينزو ... بلا امل وقد علق الجناح

فانت اسير قلبك حيث حطت ... رحالك والهوى قدر متاح

اذا لم تسل فتنة كل عين ... بتطوان فما عنها براح

❋ ❋ ❋

رويدك ان عزمت على رحيل ... واطلق للاسير غدا سراح

تروح عن العيون وهن ظماى ... اليك الا ينفعك الرواح ؟؟

تقاذفك الدروب بكل ارض ... على ضلل ، وتسلمك البطاح

وعشك ـ والفراخ الزغب فيه ... مفزعة ـ تزعزعه الرياح

وفى تطوان خلفك ذات شوق ... واقداح مهياة وراح

اتسلوهـا اذا مـا جئت فاسـا — وشاقتك الحسـان بهـا الملاح
وندت مـن محاجرهـا لحـاظ — ومـن اسلاتهـا انتضى السلاح
وقلبـك والحنيـن الممض فيـه — ينـوح عليك لـو يجدي النـواح
رويدك ليـس قلبـك من حديـد — ودمعـك ليـس يعوزه انسفـاح

* * *

نصحتك والنصيحـة لا تمـارى — اذا اوحـى بهـا حـب صـراح
تفر مـن العيـون ولا سلـو — يرجى ان فـررت ولا انتـزاح
ستسكـرك العيـون فلا اغتبـاق — يفوتـك ان رحلت ولا اصطبـاح
فان المغـرب الاقصـى ريـاض — عصيـر كرومهـا حـدق صبـاح
فاين رحلت لم تـر غيـر حـور — وتلقـاك البشاشـة والسماح
وتسبيـك الحسـان اذا تثنـت — كان قدودها السمـر الرمـاح
على ان الحنيـن الصـدق فيـه — الـى تطـوان شـوق وارتيـاح
هي البلد الوفي فكـل قلـب — علـى ذكـراك وقـف مستبـاح
حنـاك تلـك اكباد مـراض — وهـن اذا رجعت لهـا صحـاح

تطـوان : صـالـح الاشتـر
استاذ بجامعـة دمشـق
وجامعة محمد الخامـس (حاليا)

على سبيـل التجـربـة

اشتهر مدير احدى الشركات باللبـاقة والتلطف في الحديث ، حتى في احـرج الاوقات . وفي ذات يوم ، اضطر ، لان يفصل من الشركة موظفا لم يكن يـؤدي عملـه كما ينبغي ، فاستدعاه اليـه ، وقـال بلطفـه المعهـود :

ـ لست ادري ، يا بنـي ، كيـف سنمضي في عملنا بدونك ، ولكـن مجلس الادارة قرر ان يجـرب ذلك ابتـداء من اول الشهـر ! .

عصر الثاني

للشاعر محمد البوعناني

بمناسبة تدشين صاحب الجلالة الحسن الثاني لمركب اسفي الكيماوي

أمتي ، حين توارى القمر   وذوى النجم ، وزاغ البصر

وبكى للسقف . طفل جائع   بدموع جافة لا تقطر

وتخلى النهر عن ضفته   وتعرى فى الربيع الزهر

وتنحى الطير عن افراخه   واغانيه .. وبح الوتر

وعلى الوديان لا ورد ، ولا   ورق ، لا عشبة ، لا ثمر

فكأن الارض قبر ظامىء   والمنى فى قعره تنتحر !

وتمطى الشبح الراضع فى   كل ليل ! .. واستبد الكدر

نرتجي الصبح ولا تدركه   ليناغينا الضياء الاشقر

واذا مر ضباب عابس   فلكي ترقد فيه الاشهر

فعلى كل طريق ضائع   وعلى كل ضمير .. حجر !

وعلى كل جبين حفر   وعلى كل لسان شرر

وارتخى الياس على اكتافنا   ولقد كانت دواما تصبر

فاذا الدنيا موات ، مرة   عشش الغم بها والضجر

فيد مكتوفة لا تلتقي   بيد مشلولة لا تقدر

واذا انسل وغنى شاعر   فشبابا وجهه تعتذر

غير ان الله موجود ، وفى   كل درب دعوات تعبر ! ..

ومن الساعين احرار اتوا   بصباح واسع ينتشر

قادهم صوت بآلاف صدى   والدنى تحت صداه منبر

❊ ❊ ❊

امتي ـ وارتفع الصوت بما   يوقظ الميت فينا .. يزار

يخرج الآمال من أقفاصها   وراوبينا القوالي تزهر

فاذا النجم سعيد واذا   النور دان .. واستدار القمر

ولتشمر عن ذراعيك فلا ... امل الا الذراع الاسمر
واذا التاريخ غنى فى غد ... فسيحكي عنك ما ننتظر
عن كبار فجروا التاريخ فى ... دفعة شارك فيها الاصفر
صنعوا مستقبلا ، يكتبه ... عرق الجد ، وجيلا يخطر
ثورة ناجحة من عينها ... يقطر التبر النقي الاصفر
باركتها امهات الشعب فى ... رقصة تهتز منها الانهر
فى الصحاري ، فى القرى ، فى مدن ... افق بحنو ، وشمس تسحر !
بالصناعات سنبني غدنا ... وبها اجيالنا تفتخر
بالصناعات سننسى أنه ... كان فى ابراجنا مستعمر
بالصناعات لنا ما تقتني ... من ربانا ، ولنا ما ننحر
بالصناعات سنحتال على ... بؤسنا ، حتى يطيب العمر
فالرقي الخالص اليوم ، يد ... تقطف الحب ، واخرى تعصر
وعلوم بعدها تجربة ... وشباب ، ضمه مختبر

* * *

عصرنا عصر المثاني : معول ... يفتح الصخر ، وفأس تحفر
عصرنا عصر المثاني : آلة ... تحصد الزرع ، واخرى تبذر
عصرنا عصر المثاني : معمل ... ينتج الخير ، وعين تسهر
عصرنا عصر المثاني : قطر ... تسبق اليوم ، تليها قطر
قدر جاد علينا باسم ... يا مليكي ، انت هذا القدر

محمد البوعناني
الرباط 15 – 6 – 65

دعاء رياضي

دعا بعض الرياضيين ربه فقال :

— اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ، ونهاية العدد اللانهائي ، والجذر الاصم ، اقبضني اليك على زاوية مستقيمة ، واحشرني على خط مستقيم لا منكسر .

وتهادى الاطلس الحر كما — غرد الريف ، وطاب السمر

ثم عام الظل فى اعشابها — وانتشى المرج ، وعام الزهر

واذا كل سحاب ممطر — واذا كل شراب مسكر

وعلى كل طريق سهر — وعلى كل ضمير مجهر

وعلى كل جبين زهر — وعلى كل لسان عبر

واستعاد النهر شطيه وفى — فمه سنبلة تتحدر

واستراح الطير فى منقاره — حبة حبلى ، وشىء عطر

واستحال العش عرسا راقصا — واختفى النسر ، وزال الحذر ..

حينما جند مولانا بايمـ — ـانه معركة تستعر !

ضد نوم البعض ، والجهل وضـ — ـد دموع حارة تنهمر

وهو ان خاض عراكا عرفت — كل دار انه منتصر !

يا مليكي يا مزايا وطني — ومزاياك علينا تظهر ..

انت لطف الله . كم معجزة — بين عينيك ! ، ومنها : الظفر

انت من سدرته مقفرة — خصها الله لمن يستغفر

انت من نور يديه قبس — يبسم الطفل به والاسر

والى التحرير انت المقتفى — والى التعمير انت الاكبر

سنسميك ابا معجزة — ليس يدري منتهاها البشر

يستقيم الخطو فى ءاثارها — ولنا فى كل سير أثر !

* * *

« اسفي » فيك تولى اسفي — بعد ما ازدان عليك المنظر

ثم فجرت ضحانا بفتنه — ونأى عن شاطئينا خطر

انت .. يا انت ضمان الملتقى — والاماني ، والرؤى ، والنظر !

فاجعلي «الفوسفاط» خبزا صافيا، — ولباسا ، وفراشا يثمر ! ..

ركب « الكيمياء » كي يسعى الى — راحتينا معدن ينصهر

وتعيد الارض ما ضاع بها — من جهود ، وتجود الابحر

فلقد ءان زمان ، لترى — ما تضم الارض ما تدخر !

* * *

جمع النصفان : يا « يونيو » ابح — كل نبع !.. وانتفع يا « صفر »

بلدي انت وابناؤك فى — قبضة التصنيع لا تنكسر

فلتبكر راشفا من معهد — كل فصل تشتهيه الفكر

لم تحول مـ   ـسي على شيء نفسي
ايها الدهر وهل د   ـوى الذي القى اذى

★ ★ ★

قد عشقت الألمـا   ليت دهري علمـا
ضل من يعبد بعـ   البينات الصنمـا
ذ ل من يعبد دون   الله جهلا درهما
اضحك للجرح اذا ما   نزف الجرح دمـا
اسخر بالظلم وبالظـ   ـالم اما ظلمـا

★ ★ ★

كوخي القابع بالتلة   يهوى الأنجمـا
تحت غصن السنديـا   ن الوارف الظل ارتمى
لا يهاب الغيث هتـا   تـا اذا الغيث همـا
واذا ما عبست   ريح اليه ابتسما
وعلى التلة دوح   السنديـن انتظما
وقيان الايك مـا   ج الايك منها نغما
ويخال الصاعد التلـ   ـة يسمو للسمـا
تلة يحتاج من يرقـ   ـى اليها سلمـا

★ ★ ★

ابصر الماضي السخيفا   فارى العيش مخيفا
همنا ان نبحث العـ   ـمر رداء ورغيفا
همنا ان نزرع الدنيـ   ـا رماحا وسيوفا
همنا ان يقف الناس لـ   ـقيانا الوفوفا
همنا ان نشبع النـا   س كلاما وحروفا
ونعيش الدهر اسـ   ـادا ولا نفر الصفوفا
قتل الانسان مـ   ـا ابتعه ذئبا مخيفا
يقطع العمر ذليـ   ـلا كل من كان ضعيفا
ويعيش الوقح الوغـ   ـد على الناس شريفا
انما الناس كروض   حضن الزهر صنوفا
منه ما كان خبيثا   منه ما كان لطيفا
لا يغرنك لفيـ   ـف كان بالطهر لفيفا

محمد احمد حيدر



حطم الدهر جناحي   ودنا وقت رواحي
وطوى التاريخ سفرا   من مفاتيل كفاحي
وتلاشى النور في نفـ   ـسي وفي بيتي وساحي
ودجا فجري وراعت   ظلمة البؤس صباحي
جمد اللحن فراحت   تنفث السم جراحي
زورقي حطمه الموج   بعيدا عن رياحي
جفت الأحلام في نفـ   ـسي وضل الكأس راحي
جزت بالآلام حد الـ   ـحد ما معنى كفاحي
صدأ الفكر فضيعـ   ـت مع الوهم سلاحي
كتبي دونها حظـ   ـي واملاها جماحي
امطر في النفس   لم تعرف لها الايام ماح
جف نبع الشعر في   دنياي واصفرت اقاحي
نكرت من دمي المسفـ   ـوح انجاد البطاح
اتلفت سود الدواهي   رغم اقدامي رماحي
غاب نجمي من سماء   ذات ابراج فساح
بت لا اخشى الرزايا   بت لا ارجو صلاحي

★ ★ ★

احكم الدهر وثاقي   وبكى حالي رفاقي
مات في نفسي شعوري   بلغ السيل التراقي
دمي المسفوح لم ترفق   به اكواب ساق
وتولى زهري الفواح   كالدهر اختناقي
والسنى خوله الاجرا   م نارا لاحتراقي
انا والفقر كما كنـ   ـا على غير وفاق
انا اهوى البعد عنه   وهو لا يبغي فراقي
رب محروم له   من قوة الحرمان واق



للشاعر محمد حسن طريبق

عـاد الربيـع ، فلا دنيـا تماثلـه
والارض قد لبست من وشيه حللا
والبت قبلات الفجر وجنتها
هل حسنها قدسبى الاقمار، فاقتبست
ام شعشع الزهر مثل النور فى ترع
مفضض بالسنى تعلو ذؤابته
ترنح الورد فى الوديان من شغف
طاف الفراش به جذلان يلثمه
ويثني الغصن من فرط الحنان اذا
تناقل الطيب فى آفاق ربوتنا
كم يرشف القلب من نبع الغرام وكم
والغيد يملان من تر العيون جرا
ما زلت اذكر اياما قد انصرمت
على رباه ، وفى دنياه ماثلة
عشقت فيها الربيع الطلق والمطر الـ
انا بدونه دامي القلب مولعه
يا نفس هاتي لي القيثار واشرحي

ورددت فرحة اللقيا عنادله
خضراء وانتشرت فيها خمائله
وبادلته .. وما زالت تبادله
منه الصباح وما تحوي غلائله ؟
ولاح كالصبح اذ رقت مشاعله ؟
الانداء مخضلة ، ليست تزايله
والطير حوله قد خفت تساجله
والايك اينع اذ غنت بلابله
طافت على ظهره تشدو زواجله
فافعم القلب بالبشرى تناقله
يعب منه ولم تنضب مناهله
رهن ، والنحل تسبينا قوافله
يكاد يلمحها طرفي تقابله
ومنه طارت الى قلبي تشاغله
غزير حين ينوش الارض حافله
وموحش العمر – مثل القفر – قاحله
مع الربيع ، فلا دنيا تماثله

العرائش : حسن محمد الطريبق



دعوت القلب كي يشدو غناء ... فأضحى صارخا يشكو العناء
بحثت عن السعادة كل حين ... فلم الق السعادة والهناء
ولكني اعيش على جراح ... ولم اجد الدواء ولا العزاء
انا احيا غريبا لا مؤاس ... يؤاسيني ويمحضني الاخاء
واسديت الجميل الى اناس ... لقد جحدوا المودة والصفاء
اقابلهم بورد وابتسام ... وهم يعطونني شوكا وداء
ارى الاضداد فيهم قد تجلت ... فعافوا الحق واختاروا الشقاء
اضحي بالنفيس ولا ابالي ... وابذل مهجتي فيهم فداء
ولكن ليس يقنعهم عطائي ... وان اجزلت عندهم العطاء
لقد راحوا بألسنة حداد ... يبثون الضغينة والعداء
وهم يسقونني سما وصابا ... وما رحموا ولا سمعوا نداء
ثنائي عندهم قد صار ثلبا ... وعندي ثلبهم اضحى ثناء
واستحيي اذا ضجوا وقاموا ... ولا ارجو لهم الا اهتداء
اضيء كشمعة غيري ، واني ... اذوب ، وحرقتي فاضت رثاء
فعلت الخير لا ابغي جزاء ... وعفت الشر لا اخشى قضاء
انكر فطرتي ؟ كلا ! لاني ... ارى في راحة الروح الشفاء
اعيش لغاية عليا ، وابغي ... بمن ساروا الى الخلد اقتداء
فما من نعمة اشهى واحلى ... من النفس التي تهوى الجلاء
وما من موطن اغلى واسنى ... من القلب الذي عشق النقاء
اروم الطهر في معنى وحس ، ... واهوى النور جهرا او خفاء
واصبر كي ارى نصرا مبينا ... وابكي للذي شاء البكاء
اقابل بالسماحة كل خصم ... وادعو للمحبة من اساء
واوقن ان ما حولي هباء ... وان الروح تلتزم البقاء

الرباط ـ محمد العلمي

في المعركة وفقدوا بعض اقربائهم ، قرر اعدام الاسرى الثلاثة بان يجعلوا اهدافا للرماية بالبنادق يتعاورهم رصاص الحاضرين جميعا ، واصدر القائد اعلانا لسكان القرية بان اليوم التالي سيكون ميعاد للرماية ، فعلى كل من فقد قريبا او عزيزا عليه في المعركة ، ان يحضر ويشترك في الرماية ويأخذ بالثأر .

عاش جوآو في طنجة مدة من الزمن ، تعلم العربية خلالها من السكان ، فتمكن من فهم الامر الصادر ، وسمع بأذنيه الطريقة القاسية التي فرضت عليه وعلى صاحبيه ، كي يلقوا حتفهم بها ، واحس ان ليس هناك من بين مآت العيون الناظرة اليه ، من يشفق اصحابها على مصيرهم القاسي ، لذا دخله الرعب ، ووهن من العزم ، رغم ما كان يتمتع به من رباطة الجأش وثبات الجنان .

جيء بكبول حديدية ، فوضعت في اقدام الاسرى ، واقفلت بمفتاح حمله معه القائد نفسه ، لم يكن يوجد في القرية سجن ، لذا تقرر ان يوضع اثنان منهم في سرداب تحت الارض ، يعس عند مدخله حارس يقظ ، اما جوآو الذي كان ينم مظهره وسلوكه على انه كان من طبقة راقية ، فقد صدر الامر بسجنه في اروى دار القائد .

وقبل ان يساق هؤلاء الاسرى الى اماكن حبسهم ، روئي ان تستدعى النسوة المحجبات لمشاهدتهم وقدمت نساء القرية يرفلن في ارديتهن البيضاء (الحايك) ، وانسحب الرجال ليفسحوا لهن المجال ، ولم يبق الا الحرس الضروري ، وتطلعن الى هؤلاء البرتغاليين المتهوكي القوى ، وكان الكثير من النسوة يتفوهن باللعنات والشتائم ، يصببنها عليهم صبا ، وهن يتذكرن مصارع ازواجهن او آبائهن او اخوتهن ، الذين استشهدوا في المعركة ، غير ان جوآو سمع تعابير تنم عن العطف والرأفة ، تصدر عن جماعة من النسوة كن يتطلعن اليه وهو الشاب الجميل الذي حكم عليه ان يموت في الغد تلك الميتة القاسية .

عند ما جن الليل ، ادخل جوآو الى الاروى ، وشدت سلسلة ثقيلة الى كبله ، وربطت السلسلة الى وتد حديدي مغروس في الارض بعمق ، ووضع امامه طبق من الزيتون المخلل وبعض الخبز الخشن المصنوع من الذرة ، كان جوآو متعبا من اثر السفر الطويل ، لذا سرعان ما استغرق في نومة عميقة ارته ان القائد قد وضعه هدفا لاطلاق النار عليه ، وان البندقية التي صوبت نحو قلبه كذبت مرة بعد اخرى ، وان امرأة بدت كالملاك في ثيابها البيضاء ، كانت تقف وراء القائد ، وان هذا الاخير حينما فتح خزان البندقية ليضع فيه بارودا جديدا ، رشت المرأة الماء على البارود ...

رفع جوآو ذراعيه في نومه ، وصاح : « سأموت سعيدا ما دام هناك من يعطف علي هكذا » ، وعند ما قام بهذه الحركة اللاشعورية استيقظ بفزع ، فرأى شكل امرأة ممسكة بمصباح اخضر من الفخار ، ولها عينان براقتان كانتا تشعان نورا عجيبا من خلال تلافيف « الحايك » الذي تلبسه ، وخيل اليه انه تعرف في هذا الشكل ، على واحدة النسوة ، اي تلك التي سمع منها عبارات الرأفة والرحمة منذ قليل ، ظن جوآو انه ما زال يحلم ، ولذا مسح عينيه ، ولكن الشكل لم يبرح مكانه ، بل ظل واقفا امامه ، وفي صوت حلو مرتعش ، سمع جوآو هذه الجملة :

— ايها النصراني ، هل تؤمن بالله واليوم الآخر ؟ .

اجاب جوآو :

— نعم ، اؤمن بالله واليوم الآخر .

واستمر الشكل قائلا :

— اذن ثق به ، انه خالق المسلم والمسيحي معا ، انه رؤوف رحيم باولئك الذين يؤمنون به ، ويحبونه ، اني ابحث عن طريقة لانقاذك ايها النصراني من ميتة قاسية ، لن اكون سعيدة ابدا اذا نفذ فيك والدي حكم الاعدام غدا ، كيف اكون سعيدة ، وقد شاركتنا طعامنا ، واكلت خبزنا ؟ ان والدي لا يأخذ بمشورة احد ، وهو ذو قلب قاس ، لكنه عطوف علي ، رحيم ورؤوف بي لاني طفلته الوحيدة ، انه لا يبخل علي بأي معروف ، ولكني لما التمست منه الرحمة عليك ، اجابني قائلا : (النصارى كفار ، لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، وهم ممقوتون عند الله ، وعند جميع المومنين الصادقي الايمان ، ولذا فهم ملعونون مغضوب عليهم ويجب ان يموتوا كلهم) .

وتنهدت الفتاة في حزن واسى ، ثم بعد فترة صمت واصلت حديثها قائلة :

— ايها النصراني ، لك وجه حنون طيب ، واشعر انك تحب الله ، وان الله يحبك ، واشعر ان تبعة اهدار دمك ستقع على عاتقي ، اذا لم اسع في انقاذك ، لقد مضى نصف الليل ، ووالدي مستغرق في نومه ، ولكن عند ما استلقي على مضجعي ، لن استطيع الراحة ، ولن يغمض لي جفن ، وانا افكر في الميتة القاسية التي تنتظرك ، هل تستطيع الركوب يانصراني ؟ هل تستطيع مواجهة الخطر بشجاعة ؟ .

مسح جوآو عينيه مرة اخرى ليتأكد من انه في يقظة وليس في حلم ، فرأى عينين تشعان بريقا عجيبا من تحت (الحايك) ثم قال :

— نعم ، استطيع الركوب واجيده ، لكني لا اخشى الموت بل احس بمنتهى السعادة ، حيث ان امرأة تحوطني بمثل هذا العطف ، وتحبوني هذا الحنان .

قالت وهي تخرج مفتاحا من صدرها :



(3)

النصر للمومنين ـ الهزيمة للمعتدين ـ الهزيمة للخائنين ... ـ تلك بعض الصيحات التي كانت تتردد بين الفينة والفينة في ارض المعركة ، فكانت تشق عنان السماء ، نعم ، لقد انتصر المسلمون في معركة القصر الكبير ، واحرز المغاربة فخرا لا يدانيه فخر ، وباءت مساعي الملك المخلوع بالفشل الذريع ، فلم ينفعه استنجاده بملك البرتغال ، ولم يجر على نفسه بعمله ذاك غير الخسران المبين .

وحينما حق الانتصار للمسلمين ، وحاقت الهزيمة بالبرتغاليين ، انبعثت صيحة جديدة ، بنغمة جديدة ، على الاذان التي تلقفتها فاستغربتها اولا ثم اعتراها ثانيا مزيج من الحزن والفرح ، من الاسى والسرور ، من الالم والراحة ، راحة الضمير وارتياح البال والاطمئنان الى المستقبل، وكانت الصيحة الجديدة في ميدان المعركة هي : « مات السلطان ـ يعيش السلطان ـ مات فخر الملوك عبد الملك ـ يعيش بطل المعركة احمد المنصور » .

ولصق لقب « المنصور » بالملك الجديد ، الذي سير المعركة في مراحلها الاخيرة ، واستقبل سائر الجنود خبر مبايعة السلطان بصدر رحب ، وفرح شامل ، وتيقنوا ان السلطان الجديد سيعفو ويصفح عن تسرعهم في استيلائهم على مغانم الحرب بطريقة غير مشروعة ، وانه سيمنحهم بعد ذلك ارزاقهم التي يستحقونها في مثل هذه المناسبة ، بيد ان السلطان طالبهم بخمس الغنيمة فعليهم ان يعيدوا ما اخذوا فتقع القسمة من جديد والا فلا حق للجند بما يطلبون من عطايا وارزاق .. ووقع التصالح والتنازل : تنازل السلطان عن خمس الغنيمة الذي يستحقه بيت مال المسلمين ، وتنازل الجند عن ارزاقهم

واطمأن الكل الى ما اخذ من مال او اسرى ، وصار الجميع يركن الى الراحة بعد التعب ، وصار اولوا الامر يعملون على نشر انباء النصر بمختلف الوسائل ، وعمد البعض الى مدينة القصر الكبير والقرى المجاورة للاحتفال بالنصر والى المبيت هناك ، كما فضل البعض ان يبقى معسكرا في الميدان ويتمتع بجو اغسطس البديع ، وبدفء لياليه ، قبل استئناف رحلات العودة الى مسقط الرأس .

★ ★ ★

وعادت كتيبة قرية تمسيلة الى قاعدتها ، وكانت كما هي العادة تحت رئاسة القائد شاشون ، لكنها لم تعد كلها سالمة ، فقد خسرت بعض رجالها ، ومنهم اخو القائد نفسه ، وقد عاد الكثير منهم بالمغانم والاسرى الذين اشترى بعضهم فصاروا ارقاء ، وقد كان من نصيب القائد شاشون ثلاثة اسرى برتغاليين يعرف احدهم باسم جوأو (JOAO) وكان صانع اسلحة ماهـــرا .

سيق جوأو ورفيقاه في الاسر مكتوفي الايدي ، وراء ظهورهم ، واقتيدوا في طريق جبلية مدة يومين ، واصلوا فيها سيرهم الى بني مصور حتى وصلوا الى قرية تمسيلة ، فوجدوا في استقبالهم حشدا من الرجال والنساء والاطفال وهم يصيحون صيحات الفرح بعودة المجاهدين ، وصيحات الاستهزاء باسراهم ثم صاروا يرددون هذه العبارة القديمة المشهورة : « النصارى في الصنارة ، واليهود في السفود » .

ولكي يرضي القائد عواطفه في الانتقام لموت اخيه ، وبعض اصدقائه ، ولكي يرضي عواطف اتباعه الذين اشتركوا

اجابــت :

ـــ يا ابت ، ان عودتك السليمة لتجعلني اسعد مخلوقة في الدنيا ، لكني اشعر الان بأني بائسة جدا حزينة ، لانك اعلنت نيتك في اعدام ذاك النصراني الذي استظل بسقف منزلنا ، وأكل من خبزنــا .

قال الرجل وقد قطب ما بين حاجبيــه ، وعبس عبوســا شديدا صارما :

ـــ يا بنت ! الا تعرفين ان عمــك قد قتل بيد الكفــار البرتغاليين ؟ هؤلاء الاسرى مواطنــون لاولئك وغيــر مومنين بالله ، لذا يجب ان يموتوا ، من اين اتيت بهذه الشفقة الحمقاء؟ الا تدرين ان والدتك ـ رحمها الله ـ كانت شريفة منحدرة من سلالة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وان المرحوم اخاهــا كان شريفا كذلك ؟

ـــ بلى يا ابت ، اعلم ذلك ، لكــن الم يقــل الله تبارك وتعالى : (فاما منا بعد ، واما فداء ؟) الــم يعد النبــي (ص) اولئك الذين آمنوا بالله واليوم الاخر بالثواب ؟ هذا الاسيــر النصراني نزيل اصطبلك الان يومن بالله واليوم الاخر .

صاح والدها في وجهها ، ورفع يده ثم وضعها على كتفها كمن يهم باصدار قرار نهائي لا يحتمل التعقيب غير ان الفتاة التي فر الدم من وجهها ، واستحالت شاحبة اللون مصفرة اجهشت بالبكاء ، وقالت :

ـــ شيئا من الصبر يا ابتاه ، سأقص عليك القصة بتمامها، اني طول حياتي لم اغشك ، ولا اخفيت عنك حتى اشد افكاري امعانا في السرية .

ثم شرعت تحكي له بصوت متلعثم كيف تمت زيارتهــا للاسير ، وما دار بينها وبين جوأو من حديث ، اشتد غضــب الوالد ، وفي نفس الوقت شعر بشي من التسلية ، وبطرافة قصة ابنته المحبوبة ، وبشجاعتها النادرة، كان له قلب قاسي كالحجارة او اشد لكن شفاعة ابنته جعلته يلين شيئا فشيئا وينقاد ليصيــر شفيقا محسنا في النهاية .

واردفت البنت قائلة :

ـــ انظر ، هذا الذي وجدته في حجرة الاسير ، انهــا ورقة تحمل طابع السلطان، قرأ القائد الورقة ، وتغيرت ملامحه، وعلت محياه مسحة من الجد والتفكير العميق ، وبعد فترة صمت قــال :

ـــ حسنا يا رحمة ان هذه الورقة الحاملة لطابع مولانا السلطان ، قد وجدت بالفعل ، لكن ما الذي يدلني على ان اسيرنا هذا هو جوأو صانع السلاح الشهير ؟ اذا استطاع هذا النصراني ان يبرهن على انه هو صانع الاسلحة غفرت لــك اندفاعــك ، وسلوكك الذي لا يليق بفتاة عذراء مثلك ، لكن كوني حريصة في المستقبل فلا تدخلي اي مكان يكون فيه رجل ، كيفما كان مسيحيا او مسلما ، الا معي او مع احد اتباعي .

ـــ انا طوع امرك دائما يا ابتاه ، لكن اذا كنت حريصا على اسعادي فلا تقتل هذا المسيحي ، لا تؤذه ، لقد أكل خبزنا، وهو مومن بالله واليوم الاخر ، وما لم اتأكد من انه في مأمن على حياته فلن اطعم خبزا ولن اشرب ماء .

ـــ اذهبي ايتها الطفلة الغبية الحمقاء واريحي عقلك من هذه الافكار واقسم لك ان جوأو لن يموت هذ اليوم .

وقرأ الوالد المرسوم السلطاني مرة اخرى ، وتمتم مع نفسه قائلا : اذا كان هذا النصراني هو جوأو صانــع السلاح الذي طبقت شهرته الافاق ، فان حظي لسعيد ، ويجب ان احضره الى السلطان في القريب العاجل ، اما اذا اعدمت هذا الكافــر الملعون ، ووصل خبر اعدامه الى مسامع السدة العالية بالله فانني حينئذ اكون قد جازفت بحياتي .. لكن قبل ان اتخذ اي قرار ، يجب ان ابحث الامر بنفسي لاتحقق ما اذا كان جوأو هذا محقا فيما يدعي ، فاذا كان هو صانع البنادق ، ذهبت به الى المشور السعيد بعد غد ، والا اعدمته بالرصاص غير هياب ولا وجل .

وبدأت الاستعــدادات منــذ الصباح الباكــر ، بدأهــا القرويون لوضع النصارى الثلاثة اهدافا للرماية حسبما تم عليه الاتفاق امس ، لقد ذبحوا ثورا ضخما ، واعدوا وليمة كبيرة ، وكانت تسمع اصوات الطبل والغيطة ممتزجــة النغمات عاليــة النبرات ، كما كانت تسمع بين الفينة والاخرى اصوات الطلقات النارية مصحوبة بالرقصات والصيحات التي تصدر من «البواردية» وبزغاريد النساء وصيحات شباب القرية المتحمس في عيد النصر .

اما كبار القرية فقد جلسوا القرفصاء واصطفوا ـ وبنادقهم الطويلة بايديهم ـ في حلقات وصاروا يستعيدون مغامراتهــم وذكرياتهم عن المعركة الكبرى التي حدثت منذ ايام ، وكأنهم كانوا ينتظرون بفارغ الصبــر صدور امــر القائد ، باحضــار النصارى الثلاثة كي يــددوا فوهات بنادقهم نحوهم ، ويطلقوا عليهم النيران ، فيصيروا في مثل لمح البصر جثثا هامدة لا حراك بهــــا .

واصدر القائد امره بان يوتى بالاسيرين المحبوسيــن في السرداب ، فاقتيدا الى المكان الذي سيطلق عليهما فيه الرصاص، اما جوأو فقد احضره من الاروى عبدان شاكيا السلاح اذ كان في يد كل منهما سيف مصلت، كانت يدا جوأو مكتوفتين وكان الكبل والسلسلة الحديدية يحدثان صريرا فوق الارض كلمــا تحرك ببطء تجاه ساحة تنفيذ الاعدام .

وبينما كان متجها نحو الساحة ، خاطب نفسه قائــلا : « اني مائت لا محالة ، وشكرا لله على ان منحني روحا طيبة ،

— انظر يانصراني ، هذا المفتاح سحبته من تحت مخدة والدي النائم ، وهو الذي سيعتقك . . ثم انحنت وفتحت الكبل ، وقالت وهي تشير الى سرج ولجام معلقين في الاروى :

— ضع هذين على الفرس الرمادية اللون ، انها اسرع حيوان في القرية ، بل في القبيلة كلها ، وهاك « جلابة » لتستر بها ثيابك المسيحية ، اتبع الطريق الذي جئت منه ، الى ان تخرج من القرية ، ثم اركض مسرعا تجاه النجوم الغاربة . لماذا تتردد ؟ ليس هناك وقت ليضيع الفرس لن تخذلك ، وسيكون لك السبق على كل من يتعقب ، ترك اتشح بهذا السيف انه سلاح ابي الموثوق به ، الذي لا يخيب .

هز جوأو رأسه واجاب :

— لا استطيع القيام بما من شأنه ان يحرج موقفك أو يجر لك المتاعب ، ولو ان في ذلك انقاذا لحياتي .

داست الفتاة الارض بقدمها الصغيرة واجابت :

— افعل ما امرك به في الحين ، والا فسيحل عليك مقتي وغضبي ، ان والدي يحبني ، ولن يقتلني ولن استعيد سعادتي اذا قتل ضيفنا تلك القتلة الفظيعة .

— يجب الا اقبل ، لن استطيع قبول ما تعرضينه علي ، نعم ، استطيع الان ان اموت سعيدا وفي شجاعة ، ما دمت اشعر بان هناك قلبا لطيفا يعطف علي . ارتعدت البنت من اثر الانفعال وصاحت :

— هل جننت ايها النصراني ، حتى ترفض العرض الذي اقدمه لك ، وتنبذ الفرصة الوحيدة لانقاذ حياتك ؟ .

اجـــاب :

— انصتي ايتها الصبية الحلوة ، لن افعل ما من شأنه ان يعرضك لغضب والدك ، لكن لدي اقتراح ، تقولين ان لك تأثيرا في والدك ، اذهبي اذن واقترحي عليه ان يبعثني في الحال اسيرا الى السلطان الذي استطيع ان اقدم له خدمة عظيمة لن يقتصر اثرها على توظيفي فحسب ، بل سترفع ايضا من مكانة والدك لدى السلطان . . اني انا جوأو صانع الاسلحة البرتغالي الشهير ، سلطانكم المرحوم مولاي عبد الملك كان قد ارسل مبعوثا سريا الى طنجة ، وقدم لي مبلغا هاما من المال ، واجرة عالية اذا قبلت الذهاب الى فاس ، ودخلت في خدمة السلطان .

ثم اخذ من جيب صديريته ورقة وواصل حديثه قائلا :

— انظري ، هنا طابع السلطان الشريف ، وهو حديث العهد ، ويشهد للحقيقة التي اخبرتك بها . . . في الصباح الباكر ، وقبل ان يغادر والدك مضجعه اذهبي اليه وقولي له اني وجدت في المكان الذي حبست فيه ، هذه الورقة ، ودع والدك يقرأها ، والغالب انه سيفضل كسب عطف السلطان على غضبه ، وهذا كاف لضمان سلامتي .

قالـت الفتـــاة :

— حمدا لله العلي القدير — انه رحيم بأولئك الذين يضعون فيه ثقتهم — سأرى والدي مع الفجر ، وسأريه خاتم السلطـــــان .

قـــال جوأو :

— انتظري قليلا ، اعيدي اقفال الكبل ، حتى لا تكون زيارتك لي موضع شبهة .

وحينما انحنت لاحكام الكبل ، انزاح (الحايك) من على رأسها ، فبدت له شابة في مقتبل العمر ، ذات عينين زرقاوين داكنتين وشعر اسود طويل تتدلى خصلاته على كتفيها ، وكانت جميلة الملامح ، حلوة تقاسيم الوجه ، وبشرتها ناعمة رقيقة ، اما قامتها فلم تكن بالطويلة ولا بالقصيرة ، وكانت تلبس قفطانا من (الملف » الازرق ، موشى بحرير اخضر واحمر ، ويتدلى الى ما تحت ركبتيها ، وكان حول خصرها « مضمة » حريرية عريضة ، وكانت حافية القدمين ، وكانت زينتها الوحيدة عقدا من المرجان واساور من الفضة ، واقراطا . . . وبابتسامة رافقتها حمرة الخجل ، امسكت رداءها لتخفي به وجهها .

قـــال جـوأو :

— ايتها الصبية ارجو ان تسمحي لي بالتعرف عليك ، اريد ان اعرف اسم هذه التي تجد في البحث عن طريقة لانقاذ حيـاتـــي .

وعند ما التفتت بسرعة تغادر المكان قالت :

— اسـمي رحمـــة .

واقفلت الفتاة باب الاروى وراءها ، وعادت الى غرفتها واستلقت على مضجعها ، ولكنها لم تستطع النوم ، فسرعان مـا اذن مؤذن الفجر ، وبزغت اشعة الصبـاح الباكر فهرعـت الى حجرة والدها فوجدته مشغولا بالصلاة والتـلاوة ، فقالـت في نفسها : هذا فأل حسن ، والدي دائما يكون في احسن مزاج بعد الصلاة .

وعند ما اتم الوالد صلاته ، وما يليهـا من المعقبـات ، نهض ، ورأى ابنته فلم يملك نفسه ان صاح :

— حسنا يا نور عيني ، اي شيء دعاك الى الحضور هنا مبكرة ؟ انك تبدين شاحبة اللون هذا الصبـاح ، الـم تنامـي جيدا ؟ كنت اعتقد ان عودتـي من المعركـة سالما ، سيجعـل (قمري) أكثر اشعاعا وتألقـا ، وستدخـل على قلبه البهجـة والانشراح ، اجلسي وقصي علي جميع ما حدث ، من الذي اساء اليك ، او كدر عليك صفو حياتك ؟ ما هو ؟ .



يعجبني من خليل رامز سركيس اسلوبه فى معالجة موضوعات الكون والحياة . هذا الاسلوب لا يتجزأ جوهره عن ظاهرات وجوده . وهو ، على بعد غوره ، واضح كالشمس ضحى . ثم هو ، على تركيزه ، لا اثر فيه الكد والجهد ، تراه يغوص فى ظلمات بعضها فوق بعض ، ويصارع انواء عاصفة ، ويظل بعد كل ذلك شفافا

له دقة الاسلوب العلمي وبيانه . ولكن ليس له جفافه وجفوته . فهو ذو نعومة حريرية ورشاقة متناهية

خليل رامز سركيس دائم التوق الى السمو ، شيمة النفس الخيرة الواعية ، كثير الايمان بالانسان . لذلك تهب من قلمه نسمات محيية هي اشبه بنفحات الربيع .

آلمه الواقع المرير الذي يضطرب فيه اغلب الناس بتفاهة وسطحية وتمزق . فحاول فى (من لا شيء) وفى (ايام السماء) ان يشق دربا نحو النجوم . وهو فى كتابه الحديث (ارضنا الجديدة) يتابع سيره فى الدرب الصاعد ، ليعيد الى البشرية المعذبة وجهها المضيء .

وهو فى كل ما يكتب يسعى ان ينفض الغبار عن طاقات الانسان ، ويزيل من طريق تقدمه العراقيل ، ليجعله اكثر عافية وابداعا وافسح رجاء ، وبالتالي اقدر على ممارسة انسانيته .

ولئن كان كثير التطلع الى السماء ، فما لرغبة منه فى النأي عن الارض ، ولا حبا فى الجري وراء الغيبيات ، وانما ليضيف الى الارض الطيبة عنصرا خصبا به تنتعش وتزدهر .

فهو فى (ارضنا الجديدة) يحث باصرار وايمان ، على التحديق الى كل شيء ، الى اعماق النفس البشرية والى اسرار الكون الخفية ، على السواء . فالانسان فلذة من الكون الذي فيه يعيش ذرة مفكرة ، ولذلك كان عليه ان يقيم بينه وبين ذلك الكون وشائج حميمة من اخذ وعطاء ، فاذا انفصل عنه كان كالورقة الهاوية من امها الشجرة لا تلبث ان تذوى فتموت . والكون – هذا العالم العجيب بسحره الذي لا يحد ، وكنوزه التي لا تنفد – فارغ لا جدوى فيه ولا قيم ، ما لم يمد اليه الانسان عينه وفكره ويده . وحين ينهد اليه يفجر طاقاته ، ويكشف عن دفائنه ويستخرج نفائسه ، فيعانيه معاناة ، صميمة ، يزداد به الكون غنى ، كما يزداد هو بالكون عمقا وسعة ورفعة شأن وسمو مصير .

يقول المؤلف : (السنا من انفسنا فى برج تأمل ، ومن الكون على ارض اختبار ؟ نحن لا نكون ما لم نعان الكون ، وقد تأثرنا منه واثرنا فيه . والا فنحن فى غربة عنه ، وكأنا عن انفسنا مغتربون . ليس الكون ، عندنا ، بالحدث الطارىء والظاهر الدخيل ، بل هو من وجودنا فى منتهى الصميم . فاذا تعمقنا فيه ، اصبنا غاية المعرفة فحققنا انفسنا ، واياها راينا فى ما نحن ناظرون)

فالمعرفة والطموح والعمل هي العناصر الثلاثة التي تقودنا الى الارض الجديدة المشتهاة .

واذا كان التامل فى الذات والموضوع يمدنا بالمعرفة والوعي ، فهو يمدنا ايضا بالقلق الذي يزداد كلما نما وعينا .

وضميرا نقيا لم ارتكب ــ بوساطته ــ زلة عن عمد ، ولم اسيء لاي مخلوق » . ثم تذكر الرأفة والحنان اللذين لقيهما من ابنة القائد فتمتم : « وبما اني مائت ، فان تلك الفتاة الحلوة هي وحدها التي ستعتريها الشفقة ، وستحزن على مماتي » .

وشعر بفخر امام هذا الاحتفال ، فسار وسط زحام المتفرجين ، منتصب القامة ، معتز النفس ثابت الخطوات بقدر ما يسمح به القيد والسلسلة الحديدية الثقيلة ، واقتيد الى حضرة القائد الذي كان جالسا فوق رابية بالقرب من المكان الذي اختير لاعدام الاسرى ، كانت صيحات النساء والاطفال المحتشدين على جانبي الطريق ، ترتفع حينا بعد آخر فتكاد تصم اذنيه ، غير انه عند ما مر ببعض النساء الملثمات سمع همسات تقول :

ــ ضع ثقتك في الله ، انه رؤوف رحيم .

فقفز قلبه في صدره من اثر الفرحة ، لانه تعرف في تلك الكلمات على الصوت الحلو لابنة القائد رحمة .. اصطف الاسرى امام القائد واعيان القرية ، فخاطبهم القائد بقوله :

ــ ايها الكفار اعداء الدين ، استعدوا للموت والعقاب الالهي الذي ينتظركم ، ثم التفت الى جوآو قائلا :

ــ لعلك تباهي بانك انت صانع الاسلحة الشهير ، هل هذا المرسوم الشريف مرسوم سيدنا ومولانا السلطان يتعلق بك ؟ (وامسك المنشور بيده رافعا اياه امام الانظار كي يراه جوآو الذي اجاب) :

ــ انا جوآو صانع الاسلحة .
ــ قال الرئيس :

ــ برهن على ما تقول ، قبل ان تمر اربع وعشرون ساعة ، وذلك بان تصنع في هذه المدة ماسورة بندقية مبرومة ، ان حانوت حدادة بما تستلزمه من كير وآلات ستكون جاهزة وفي متناول يدك منذ الان ، فاذا فشلت وعجزت ، فستوضع هدفا وتموت بنيران المومنين، ثم التفت تجاه الاسيرين الاخرين وصاح :

ــ اما انتما يا عدوي الله ، فالدم بالدم ــ ستموتان كلاكما ، وهكذا سياخذ بالثار اولئك الذين قتل الكفار الملعونون اخوانهم .

رأى جوآو ان هذه آخر فرصة سانحة للدفاع عن رفيقيه فقال بصوت عال كي يسمعه الجميع :

ــ اقسم بالصليب المقدس ، انكم اذا آذيتم شعرة واحدة من رأس مواطني هذين ، فاني لن افعل اي شيء بصدد ما اقترحتموه علي ، وليس هناك من داع لان تحكم علينا ايها القائد بالموت ، اللهم الا اذا كنت لا تخشى غضب السلطان ، ولا تحسب لسطوته اي حساب . ثم التفت الى اعيان القرية واردف قائلا بنفس اللهجة الخطابية :

ــ انا جوآو صانع الاسلحة ، صانع المواسير المبرومة ، لقد قدم لي من طرف السلطان مبلغ ضخم من المال كي اكون في خدمة جلالته، ان ايا منكم يستطيع ان يخبر البلاط الملكي باني اسير هنا وان القائد قد هددني بالقتل ، ليتأكد من الحظوة التي سينالها هذا الواحد منكم لدى جلالته الذي يرغب في استخدامي عنده ، وليعرف مدى الغضب والسخط الذي سيصيبه جلالته على القائد اذا ما اقدم على قتلنا . القائد متأكد من رغبة السلطان في استخدامي ، وذلك من خلال الكتاب الشريف الذي هو في حوزته الان ... نحن الجنود البرتغاليين الثلاثة قد اخذنا اسرى في معركة ، ولم نسجن من اجل اقتراف اية جريمة ، القائد يسمينا كفارا ، ولكننا نومن بالله كما تومنون انتم ، ولنا نفس الشريعة الالهية التي لكم ، فيجب الا توافقوا على سفك الدماء البريئة التي حرمتها كل الشرائع السماوية .

واعترت القائد قشعريرة من الحدة والغضب والخوف معا، لقد عرف ان له اعداء في القبيلة وان كثيرا قد قاسوا من استبداده، لذا خشي ان يسرع احدهم الى فاس فيخبر السلطان بوجود هذا الملعون اسيرا ومهددا بالموت ، حينئذ ما ذا سيكون موقفه بل مستقبله .

ثم التفت الى العبيد المكلفين بحراسة الاسرى فقال :

ــ اعيدا الكافرين الى محبسهما ، فسيموتان ميتة اقسى من ميتة الرصاص ، حيث ان هذا النصراني قد تجرأ على تهديدي بمثل هذه الطريقة المتعجرفة .

وارتفعت صرخات الجمهور المحتشد تطالب بوجوب قتل الاسرى في الحين ، وتعالت الصيحات : الدم بالدم ــ النفس بالنفس .

ولكن الكبار الاكثر حصافة في الرأي ، نصحوا للقائد بان جوآو يجب ان يوخذ في الحال الى قصر السلطان كي يستفيد منه المسلمون في صنع الاسلحة التي يحاربون بها اعداء الملة .. وبعد كثير من الجلبة والضوضاء اقتيد الاسرى الى محابسهم ، وعاد القائد الى منزله وهو مصمم على السفر الى فاس كي لا يستهدف لغضب السلطان .

(النهاية في العدد القادم)

تطوان : عبد الله العمراني



تأليف الجندي خليفة

تعليق وتقديم الاستاذ عبد القادر زمامة

منذ فجر النهضة الادبية في العالم العربي والافكار تتجه الى اصلاح الجهاز اللغوي للغة الضاد ، وقواعدها والفاظها وتعابيرها واساليبها .. لكن هذه الافكار لم تكن كلها مخلصة كل الاخلاص كما انها لم تكن عالمة حق العلم بالكيان اللغوي لهذه اللغة والجذور الحية التي تمدها بالنمو والحياة .. فجاء كثير من هذه الافكار متهافتا قطيرا وولد كثير منها ميتا فلم يخلق صدى ولا اثرا ...

ومنذ كتب الاستاذ محمود مصطفى كتابه الجليل = (احياء النحو) سنة 1937 م والانظار تتجه الى نية صادقة في الاصلاح اللغوي ولا سيما والضرورة ملحة لاعادة النظر في قواعد النحو والاملاء لتكون اداة فهم ودراسة للناشئين في مختلف معاهد التعليم .. وليجدوا الطريق سهلة لاخذ لغة سليمة ذات قواعد مضبوطة لا التواء فيها ولا غموض ولا تناقض ..

لكن هذه المحاولة ــ على العادة ــ اشترك فيها من يفهم ومن لا يفهم ومن يملك القدرة على التفكير اللغوي السليم ومن لا يملك .. فكثر الخلاف من جديد وتعددت المناهج والاساليب دون جدوى .. ولو سكت الفضوليون في هذا الموضوع لامكن الوصول الى نتائج مشجعة ومفيدة .. ولكن هذا لم يقنع حتى ليظن المتشائم ان الاصلاح اللغوي لن يتم ابدا ما دامت القضية يشارك في توجيهها توجيها غير لائق كثير من قصرت مداركهم اللغوية فخبطوا خبطا وكان الاولى بهم ان ينصرفوا عن المشاركة في هذا الميدان لعدم الاختصاص .

واليوم نجد بين ايدينا كتابا جديدا في الموضوع سماه مؤلفه : (نحو عربية افضل) على حد تعبير بعض السياسيين ــ نحو عالم افضل ــ و ــ نحو حياة افضل ــ وقد شاء مؤلفه ان يكتب تحت العنوان هذه الجملة :

« ثورة على اللغة القائمة وبناء لعربية جديدة »

ولا شك ان هذا عنوان مغر يدفع الباحث لقراءة هذا الكتاب والتعرف على ما فيه من هذه (الثورة) !!

فما ذا في الكتاب ؟

اول ما نلاحظ على المؤلف انه يتناول هذا الموضوع الخطير الذي ليس فيه شيء من الذاتية وكأنه يحاول ان يكون ذاتيا لا موضوعيا مع ان الموضوعية هي كل شيء بالنسبة لمثل هذا الموضوع العلمي الخطير ..

وقد عرض مشاكل اللغة العربية في الرسم والاملاء عرضا بسيطا لا عمق فيه ولا جديد بالنسبة لما نعرفه في هذا الموضوع .

فاشكال الحروف المختلفة
ومسألة التنقيط
ومسألة الشكل
ومسألة التشابه بين الحروف

كل هذه الاشياء درست وطبخت حتى كادت تحترق .. !
فاعادة الحديث عنها هو تبذير للجهد في البحث والدراسة وقد تناول النقاد من العرب والاجانب هذا الموضوع ولم يتركوا مشكلا ولا ــ عيبا ــ الا وذكروه بما لا مزيد عليه من الشرح والتوضيح .. !

وهذا هو الجانب الاول من الكتاب وهو جانب عرض المشاكل والعيوب .. وينتقل المؤلف بنا الى جانب آخر وهو جانب عرض الحلول و ــ اكتشاف ــ الدواء لكل عيب .. ! !
ويعنون هذا الجانب بقوله :

« الحل بسيط » ؟

نعم الحل بسيط في نظر المؤلف وهو لا يتعدى في مشكلة شكل الحروف العربية ان تتخذ طريقة تمكننا من شكل الحروف

(القلق يزيد ما زاد وعينا وتشعبت اسبابه . القلق في الوجود قديم كالوجود عينه ، بيد ان البشر لم يكونوا يوما اعظم قلقا منهم في هذا العصر . القلق الوجودي المعاصر يعتري جذورنا حتى الاعماق ، وكأن ثمة ما يهددنا كل حين) .

ولكن هل يستطيع هذا القلق الجارف ان يدمر كيان الانسان المؤمن بالغد البهي ، او على الاقل هل يستطيع ان يثبط من عزمه على بلوغ غايته المرجوة ؟

كلا . (فان في الكون ، من خلال ملايين الخلائق والوف الوف السنين ، نظاما يسير بالبشر الى الامام والى فوق ، على قصد معا . وان تحت السماء كثيرا كثيرا من الجديد الطالع ، وان اكتشاف الجديد عمل يستمر ما دامت الحياة) .

فلا مبرر للخوف اذن ، ولا داعي للقنوط . وما على البشر الا ان يشمروا عن ساعد الجد ، لاكتشاف العوالم المجهولة الكثيرة ولتفجير الطاقات الدفينة الهائلة ، وان يتعاونوا على البناء والابداع .

كل فرد من البشر مسؤول عن المساهمة في العمل لرفعة الجنس البشري . فالانسان لم يعد يعيش لنفسه وفي تخوم بلده فحسب ، بل اضحى صوته يدوي في ارجاء الارض النائية . فكانت وحدة الانسانية هدفا ينبغي ان يتجه لتحقيقه لان الانسان هو ، على حد تعبير خليل سركيس ، (لزوم حيوي لسلامة الكون واستمراره) .

ولاشك ان الطريق طويلة ، وان صعابا عديدة قد تعترض سبيلنا . ولكن هذه الصعاب هي التي تشحذ مواهبنا ، وتكشف عن طاقاتنا الكامنة ، وتجعلنا نستمتع بممارستها :

(لسنا نبغي المعرفة ، وبالتالي لسنا نطلب العلم لنزيد معرفة وحسب ، بل كي نزداد وجودا على الخصوص . فكم تحدثنا الحياة بمشكلات اذكت فينا روح الخلق ، فابتكرنا لها حلا) .

ولبلوغ هذه الارض الجديدة المؤملة ، لابد ان ننمي في حنايانا عنصر الحب ، ونشيح بوجهنا عن كل الفوارق والاحقاد ، ونؤمن ان الانسانية على اختلافها ، اسرة واحدة ، ذات جوهر واحد ، غايتها تحقيق وجودها الاكمل وكيانها الامثل في جو من الوئام والسلام : (فلا شيء يعدل الحب ، جامعا مشتركا بين نفسين بل بين اهل بيت واحد ، فبلد واحد ، فوطن واحد ، بل بين اهل الارض اجمعين) .

ولابد ايضا من تآزر جميع القوى الخيرة لاخصاب هذه الارض . فتعاون المادة والروح ، وتضافر العلم والدين ، عمل ضروري لتكون تربة تلك الارض صالحة لنمو الانسان الكامل . واذا كان بعض الماديين يرون ان الدين لا ينسجم مع العلم ، فان خليل رامز سركيس يرى ان الدين يكمل العلم ، كما يكمل العلم الدين لرفع مستوى الانسان : (الصراع بين الدين والعلم امر في المعرفة قديم . الا انه قد جعل يتحول من مرحلة السلب الى طور الايجاب . اذ تبين ان ليس لكليهما غنى عن الاخر . فالعلم لا يجاوز نفسه ، سموا واطراد رقي، ما لم يؤمن بكون جل ما فيه ذو غاية معينة . والعلم ، مؤلفا الطاقة في وحدة عاملة ، يفضي — على ما يرجى — الى وحدة نهائية عاملة من اجل العالم . الدين والعلم ، اذا ، فعل معرفة مشترك يحقق غاية واحدة : الوجود) .

ويقول المؤلف ايضا : (في عالمنا المدجج لا خلاص لنا ما لم نر عمل الله في الخليقة ، وما لم نر الله في حقيقة العالم) .

هذه بعض آفاق الارض الجديدة التي يطمح الى وجودها خليل رامز سركيس ، وكل مصلح في هذه المعمورة محب لخير الانسان وتقدمه .

فما احوجنا جميعا ، في هذا العصر النزق المحموم الى مثل هذه الافكار النيرة الصافية التي تجمع بين بني البشر على صعيد المحبة والتأمل المثمر والعمل الخلاق .

وما احوجنا ايضا الى قلم متميز مثل قلم خليل رامز سركيس ، ليوقظ مشاعرنا النبيلة ، ويذكي فينا اصالة مواهبنا ، فنصنع للانسان غدا يليق بكرامته .

جدة — الدكتور عارف قياسة

---

* (ارضنا الجديدة) طبعة اولى منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت 1962 — وطبعة خصوصية بمنشورات رابطة الكتاب للمجمع المسيحي للشرق الادنى ، بيروت 1963

أنباء ثقافية

★ انعقد بتطوان في اواخر شهر يونيه موءتمرا للمحامين المغاربة التي نظمته جمعية المحامين .

وقام الموءتمر بعدة دراسات عن مشاكل المهنة ، ومشاكل القضاء في المغرب . وقد اشرف على هذا الموءتمر الاستاذ عبد الكريم بن جلون نقيب المحامين بفاس ، والاستاذ المعطي بوعبيد عميد المحامين بالدار البيضاء .

★ نوقشت بنجاح في بداية شهر يونيو امام كلية العلوم الفرنسية بباريز الاطروحة التي تقدم بها الاستاذ السيد حمزة الكتاني في موضوع « اغناء معدن الحديد » .

وقد حصل على هذه الاطروحة على لقب دكتور في العلوم بدرجة مشرف جدا .

وينوي الدكتور حمزة الكتاني عند عودته الى المغرب التفرغ لنقلها الى اللغة العربية .

★ صدر للشاعر الاستاذ محمد الحلوي اول ديوان له بعنوان « انغام واصداء » في 288 صفحة ، في اخراج انيق . نرجو لهذا الديوان صدى بعيدا ، وانتشارا عميما .

★ قدم المركز الجامعي للبحث العلمي رسالة الاستاذ السيد محمد بنشريفة للطبع . وهي رسالة تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب . وموضوع الرسالة « ابن عميرة المخزومي » وتقع في اكثر من 300 صفحة .

★ صدر للاستاذ محمد الفاسي، رئيس جامعة محمد الخامس كتاب « الاكسير في فكاك الاسير » لابن عثمان المكناسي ، وهي تشمل على انطباعات الموءلف حول الرحلة التي قام بها الى اسبانيا في القرن الثامن عشر ، كما سيصدر للاستاذ الفاسي تحقيق المخطوطة « انس الفقير وعز الحقير » لموءلفه ابن قنفد

★ سافر الاستاذ السيد عبد الله كنون الى القاهرة لحضور مداولات مجمع القاهرة للغة .

★ « شروق » مجلة نسائية دورية تعني بشوءون المراءة صدر العدد الاول منها حافلا بالمقالات والقطع الادبية . مديرتها ربيعة بنونة ، وتتكون هياءة تحريرها من : خناتة بنونة ، غيثة بوزبع .

★ اصدرت الكاتبة الجزائرية فضيلة مرابط كتابا عن (المراءة الجزائرية) تناولته بالنقد الكاتبة آسيا جبار فقالت :

(ان الجزائري اذا كان يحتقر المرأ ويتظر اليها على انها لا شيء ، فهو انما يفعل ذلك باعتباره جزائريا لا باعتباره رجلا بشكل عام ، اي ليس باعتباره نتيجة واعية وضحية سلبية للعديد من الشروط التاريخية والاجتماعية والدينية والاقتصادية في حين ان الرجل الجزائري في الحقيقة ــ تقول آسيا جبار ــ لا (يشيء) المراءة الا لانه هو نفسه (شيء) ! .

★ تحدث توماس كانزا وزير الخارجية في حكومة الكونغو الثورية عن الادب والفكر ، فاوضح انه بدأ علاقاته بالكتابة حين شعر بالوحدة مبعدا عن بلاده .

ولتوماس كانزا مجموعة من بينها (احاديث كونغولي ساذج) و (بلا حقد) التي يقول فيه انه اراد ان يبين فيها الموقف الحالي الناجم عن سلسلة من سوء الفهم وعدم الفهم بالاضافة الى هذه الرواية ، هناك رواية اخرى في الطريق تروى حياة الزعيم باتريس لومومبا ..

وتوماس كانزا حاصل على اجازة في علم النفس من جامعة « لوزان » سنة 1956 وهو اول طالب جامعي كونغولي يحصل على هذه الشهادة ..

★ توفى في القاهرة الاستاذ محمد محمود جلال احد زعماء الحزب الوطني المصري قبل ثورة 1952 . عاش الفقيد مناضلا في الحرمان ومات مضورا في النسيان .

★ توفى في القاهرة الشاعر والكاتب الاستاذ مرشد خاطر .

★ احتفلت رابطة الادب الحديث بالقاهرة بالذكرى الاولى للشاعر اللبناني الفقيد محمد علي الحوماني .

★ (مع الشعراء المعاصرين) كتاب يصدر قريبا في القاهرة لعبد الحي دياب وسيتناول فيه شعر : احمد محرم ، وعلي الجارم، وصالح شرنوبي ، وهاشم الرفاعي .

★ اتم محمود تيمور تاءليف رواية جديدة ، استوحاها من فكرة فلسفية فرعونية ، عنوان الرواية (معبود من طين) .

★ منحت وزارة الثقافة المصرية احمد المصري مدير الشوءون الفنية في اوركسترا القاهرة السيمفوني سنتين للتفرغ

التي هي بحاجة الى شكل لاجل الا يلتوي شأنها على القاريء وذلك يقول المؤلف بالطريقة الآتية :

وهي وضع ارقام من (1) الى (5) قبل الحرف المشكول هكـــذا :

رقـــم 1 ــ معناه ان الحرف الذي قبله مرفوع
رقـــم 2 ــ معناه ان الحرف الذي قبله منصوب
رقـــم 3 ــ معناه ان الحرف الذي قبله مجرور
رقـــم 4 ــ معناه ان الحرف الذي قبله مشدد
رقـــم 5 ــ معناه ان الحرف الذي قبله ساكن

وهكذا في نظر المؤلف . تصبح الكلمات العربية اشبه شيء برموز الكيميـاء وذلـك في انتظار وضـع الخط العربـي المنشـــــــود ! !

ويصفق المؤلف لنفسه لهذا الابتكار المفيد وكأنه جاءنا بما عجزت عنه الاوائل .

وقليل من الدراية يجعلنا نقف من هـذا الحـل موقف المتسائـــــل :

هل هذا تسهيل على القـراء ام تصعيـب جديد جاء بـه المـؤلـــف . . . ؟

فما معنى الاستغناء عن الفتحة برقم 2
وعن الكسرة برقم 3 وعن الضمة برقم 1
وهل في ذلك تسهيل على المطبعة او على القراء . . . ؟

ومن البديهي ان هذا اقتـراح لا ترجو منه العربيـة ولا المطبعة ولا القراء ولا الثقافـة اية فائـدة وانما هـو تصعيـب جـديـــــد . . ! !

يضاف الى قائمة التصعيبات والتشويهات التي اقترحـت لتسهيل لغة الضاد . !

اما في قاعدة رسم الهمزة فقد توفق نوعا ما حيـث انـه اقترح ان تكون الهمزة كـسائر الحروف تكتب منفردة من غير الف ولا واو ولا ياء وهذا ولا شك تسهيـل على المطبعـة وعلى الكتاب حيث انهم سيطرحون قاعدة رسم الهمزة التي كثيرا مـا يخطئون فيها .

وتابع المؤلف اقتراحاته لحل مشكلات الرسم العربي وما يرتبه لذلك من حلـول وهـي في كل مرة يتاخـذ صبغة الرأي السطحي الذي هو في الحقيقة آت من عدم تجذر الكيان اللغوي من جهة ومن جهة اخرى آت من حمى التقليد للغات الاجنبية فكل ما هو هناك يجب ان يكون هنا بدون خلاف

ولا ننكر ان المؤلف اتانا بشيء طريف حينما تحدث عن اختزال في اللغة العربية وضرورة استعماله في الحديث عن الاسماء المركبة من عدة كلمات كما هـو الشأن في اللغات الاخرى . . وقد اعطانا امثلة استعملها العرب في اختزال قديم حينما كانوا يقولون ان :

ا . هـ : تعني انتهى .

الـخ : تعني الى آخره .

سامرا : تعني مدينة سر من رأى .

كما لا ننكر ان المؤلف كأن جريئا جراءة غريبة حينما حاول حذف كثير من قواعد النحو والاعراب والاستغناء عنهـا بقاعدة واحدة ورمى الباقي في لجج البحر . . !

وقد كان بامكانه ان يعطي لنفسه مهلة اخرى للبحـث والدرس حتى يخرج بنتائج عملية معقولة والا يقع في هـــذه السطحيات التي افقدت البحث كثيرا من قيمته العلمية . .

ولا يودعنا الباحث التونسـي دون ان ينظـر نظرة في المعاجم ويكرر مع الآخرين اسطوانة ضعفها وعدم دقة تفسيراتها

وكأنه يريد مع الآخرين ان يكتب لـه رجال العصـور الوسطى باسلوب القرن العشرين وقد فاتـه ان تلك المعاجـم اصبحت اثرية تاريخية وان العربية بصدد اخراج معاجم للعصر الحديث وقد فعلت وان المعاجم الجديدة وان لم تبلغ حد الكمال فهي على الاقل خطت خطوات مدهشة نحو التقدم والدقة والتنظيم . . وبذلك ضمنت العربية لنفسها البقاء كما ضمن لها التاريـخ الخلـــود . .

ورغم هذا فكاتبنا التونسي قد حاول في كتابه هـذا ان يبحث في مشكلة خطيرة بالنسبة للعربية ومستقبلها ، ولـه اراء جديدة بالدرس والتمحيص والنقد . .

فاس ــ عبد القادر زمامـة

عثمان . « من المسرح الاسباني » لميجيل دي اوتاموتو ، ترجمة الدكتور محمد الامين محمد . « واحدة تكفي » مجموعة قصص لمصطفى ابو النصر . « رجل نبيل » لفيكتور هوجو ، ترجمة سامي غنيم . « زهور هيروشيما » لاديتا موريس ، ترجمة محمد مصطفى غنيم . « رجال من افريقية » لعبده بدوي ، تقديم حبيب جاماتي . « عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس » في مجلدين لمحمد عبد الله عنان . « ملك عجوز » لشوقي عبد الحكيم ، تقديم يحيى حقي . « قصة الفيزياء » لجورج جاموف ، ترجمة دكتور محمد جمال الدين الفندي . « الدين والميثاق » لاحمد الشرباصي . « من وحي الاسلام » لمحمد تبهي الدين سالم . « جاء الربيع » لماري ويب ، ترجمة السيد وفائي .

★ فقدت سوريا اديبا من اعمق ادبائها اصالة ووعيا بوفاة الاستاذ اورخان ميسر الاديب الشاعر الطليعي اثر اصابته بمرض سرطان الرئة .

★ باشر الاديب السوري محمد عادل زيتوني ترجمة كتاب (عصر الذرة بين الحرب والسلم) وقد وضعه عدد من علماء الذرة الالمان .

★ الاديب السوري سمير عبده يقوم الآن بترجمة اعمال الفيلسوف بيرتراند رسل كاملة للغة العربية . وقد انتهى من ترجمة (الفوز بالسعادة) و (الممارسة والنظرية البلشفية) ويترجم الآن (ترسيخ العلم في المجتمع) و (التربية والنظام الاجتماعي) . وقد سبق ان ترجم له كتاب (التربية) الذي صدر في العام الماضي . وهو يترجم كذلك للكاتب الانجليزي كول ، كتاب (المدخل الى التاريخ الاقتصادي .

★ (وسادة للجفون المتعبة) مجموعة شعرية لطلعت يازجي تصدر قريبا عن مكتبة الشرق بحلب .

★ صدر في حلب (محاضرات حاملي جائزة نوبل في الطب) في المؤتمر المنعقد في ليندا وعام 1963 ترجمها عن الالمانية مع تاريخ حياة المحاضرين والتعليقات ، الدكتور محمد يحيى الهاشمي رئيس جمعية الابحاث العلمية في حلب ويقع الكتاب في 80 صفحة .

★ بكر الشيخ امين نشر مؤخرا خمسة كتيبات ادبية هي : فن القصة ، فن المسرحية ، فن المقالة ، خصائص الشعر العربي الحديث ، خصائص النثر . وهي وفق منهج شهادة الدراسة الثانوية السورية .

★ انتهت الكاتبة السورية السيدة سلمى الحفار الكزبري روايتها الطويلة (عينان من اشبيلية) وكانت قد بدأت بكتابتها في اسبانيا يوم كان قرينها سفيرا لسوريا في مدريد . وستصدر عن دار الكتاب العربي في بيروت . ومما يذكر ان هذه الرواية قد اطلع عليها احد المستشرقين الاسبانيين وهو ينتظر صدورها باللغة العربية لنقلها الى الاسبانية .

★ القى ميخائيل نعيمة محاضرة عن (الادب العربي قديمه وحديثه) في قاعة كلية التربية الوطنية بطرابلس . وقد اقام له ادباء طرابلس حفلة عشاء تكريمية كبرى في فندق المنتزه . وقد اجرى نعيمة بطرابلس اتصالات مع لجنة جبران الوطنية ، لتسهيل مهمة البعثة الفنية الهندية التي ستصل قريبا الى لبنان ، لاخراج فيلم عن حياة جبران خليل جبران ، مأخوذا عن كتاب (جبران) تأليف ميخائيل نعيمة .

★ (اناشيد الالهة) قصة تأليف جوزيف ابي فرحات تقديم حسيب عبد الساتر صدرت حديثا في بيروت .

★ (اللاعائلية) كتاب صدر حديثا في بيروت تأليف خضر نبوه ويقع في 70 صفحة .

★ صدر في بيروت كتاب (الفروسية في الشعر الشعبي السوداني) تأليف الاديب السوداني سليمان خالد عبد المحمود من السفارة السودانية في بيروت .

★ يقوم الدكتور جورج حنا بتأليف كتاب بسيكولوجي عن اللبنانيين يبحث في الشخصية اللبنانية وميزاتها السلبية والايجابية ،وهو كتاب نقد بسيكولوجي واجتماعي .

★ (فارس الخوري وايام لا تنسى) كتاب ضخم يقع في 528 صفحة من الحجم الكبير تأليف الكاتب السوري محمد الفرحاني . صدر مؤخرا في بيروت .

★ دفعت منشورات عويدات في بيروت الى مطبعتها رواية (شتاء البحر اليابس) للروائي السوري وليد اخلاصي .

★ اقامت جمعية الكشاف المسلم في لبنان الشمالي مهرجانا للعلم في طرابلس

★ صدر مؤخرا عن دار الكاتب العربي في بيروت الكتب التالية : (النار والكلمات) مجموعة شعرية لعبد الوهاب البياتي . (طاغور عبقرية الهمت الشرق والغرب) لكريشنا كريبلاني ترجمة حسني فريز . (الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة) لامين سعيد . (اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين) لامين سعيد . (ادباء السجون) طبعة

يعمل خلالهما على وضع (دائرة المعارف الموسيقية العربية) ·
احمد المصري يمتلك 8000 مؤلف موسيقي ·

✶ جرت في الجمعية الادبية بالقاهرة مناقشة كتاب (البير كامي) تأليف الدكتور عبد الغفار مكاوى ، واشترك فيها الدكتور فؤاد زكرياء ، والدكتور عز الدين اسماعيل ، والدكتور وليم الميرى ، وعبد الفتاح الديدي ·

✶ فوزي عبد القادر الميلادي من ادباء الاسكندرية والمستشار المساعد في مجلس الدولة ، صدر له عن الدار القومية بالقاهرة كتاب جديد من تأليفه هو (جولة مع ادباء شمال افريقيا) ·

✶ فقد الادب العربي اديبا من اكبر الادباء في هذا العصر بوفاة الاستاذ صديق شيبوب الذي توفي في الشهر الماضي بالاسكندرية ، وهو شقيق الشاعر الفقيد خليل شيبوب ·

✶ صدر ديوان شعر جديد لحسن فتح الباب اسمه (فارس الامل) وللديوان مقدمة مفيدة ممتعة شرحت جوانب الشعر والشاعر · والديوان عموما تمتاز قصائده بالرؤي الشاعرية ، والموسيقى ، والصدق · وكل الديوان من الشعر اللاعمودي ·

✶ يصادف ظهور الطبعة الثانية من كتاب الدكتور عثمان امين عن رائد الفكر المصري الامام محمد عبده · مرور 60 عاما على وفاته · والكتاب في 320 صفحة ، ومن مطبوعات الانجلو المصرية ، وهو من احسن الكتب التي صدرت عن الامام محمد عبده · تناوله المؤلف في سهولة وواقع ، وعرض تاريخه ، وعصره ، وحياته وفلسفته ·

✶ ترجم فؤاد اندراوس كتاب (بونابرت في مصر) تأليف هرولد وراجعه الدكتور محمد انيس · وستنشره الدار المصرية للتأليف والترجمة ·

✶ نعت القاهرة الكاتب المصري الكبير الدكتور محمد مندور عميد النقاد العرب عن 57 سنة ·

✶ ازاح احمد حسن الباقوري مدير جامعة الازهر الستار عن سر قديم في حياة الامام الشيخ محمد عبده · قال الباقوري : « ان اصدقاء الامام محمد عبده اخبروه ان الآراء التي جاءت في كتاب (تحرير المرأة) هي آراء الشيخ محمد عبده ، لكنه اسندها الى المرحوم قاسم امين ، اذ ان علماء الازهر كانوا لا يستطيعون هضم هذه الآراء في ذلك الوقت ·

✶ تحدث امام اعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة المهندس احمد عبده الشرباصي العضو الجديد في المجمع اللغوي وعدد مآثر احمد لطفي الذي شغل مكانة في المجمع ·

✶ معرض للكتاب العراقي اقيم في القاهرة · يضم المعرض الف كتاب تعرضه 46 دار نشر ·

✶ صدرت في الجمهورية العربية المتحدة الكتب التالية : « العيون الزجاجية » ، مجموعة قصص لحمد الجمل · « مقالات في النقد الادبي » للدكتور محمد مصطفى هدارة · « الفولكلور ماهو » ؟ لفوزي العنتيل · « انت والكتبة » لمدحت كاظم · « المسرح العالمي » للدكتور لويس عوض · « الطبيعة لارسطاطاليس » ترجمة اسحق بن حنين ، تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي · « كتاب الاصنام » عن ابي المنذر هشام بن السائب الكلبي ، تحقيق احمد زكي · « الثقافات الافريقية » وافريقية والارض والناس » ، كتابان للعميد محمد عبد الفتاح ابراهيم · « غرفة على السطح » ، دراما في 3 فصول لعبد العاطي جلال · « رحلة الربيع الى الجزائر » للدكتور شريف شحاته « الفلاح في الادب العربي » لمحمد عبد الغني حسن · « هذا هو الاوركسترا » ، تأليف السابوزيل ترجمة نلي عبد النور « صيد البحر » للواء عبد المنصف محمود · « المتنبي وشوقي » لعباس حسن · «المتوحشة » لجان انوى ترجمة يحيى سعد · « نساء خالدات » لانور احمد · « الفن المعاصر في مصر » لحامد سعيد · « مصادفات سعيدة » لمحمد برانق · « كان هناك طفلان» لابراهيم عزوز واسهان البطراوي · « احمد لطفي السيد » للدكتور حسين فوزي النجار · « تاريخ النقد العربي الى القرن الرابع الهجري » للدكتور محمد زغلول سلام · « معارك اسلامية من امجادنا العربية » للعميد محمد جمال الدين علي محفوظ · « انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها » لابن الكلبي تحقيق احمد زكي · « حدث ذات ليلة » لمحمود البدوي · « اسطورة بروميثوس في الادب الانجليزي والفرنسي » للدكتور لويس عوض · « جولة مع ادباء شمال افريقيا » لفوزي عبد القادر الميلادي · « ديوان حميد بن ثور الهلالي وفيه بائية ابي فؤاد الايادي » تحقيق عبد العزيز الميمني · « اسلحتنا العربية قديما وحديثا » لمحمود بن الشريف · « الارض العالية» مسرحية شعرية لعبده بدوي قراشان ونور مجموعة شعرية للعوضي الوكيل · « ترانيم الليل » مجموعة شعرية لعلي الجندي · «العالم والسوق الاوربية المشتركة » لمحمد عبد العزيز احمد وفاروق حسنين مخلوف تقديم الدكتور طعيمة الجرف · « ابو جعفر المنصور » لعبد السلام رستم · « الاثر العربي في الفكر اليهودي» للدكتور ابراهيم موسى هنداوي · « لغز اللوفر » لارثر بيزنيد ترجمة ميشيل تكلا · « اعلام الادب الانجليزي » لكامل عبد المجيد وفؤاد فهمي · « المطهر » لدانتي ترجمة الدكتور حسن

✭ باشر عبد الله الجبوري امين مكتبة الاوقاف ببغداد طبع كتاب (فهارس البدء والتاريخ) مساعدة من المجمع العلمي العراقـــــي .

✭ (ديوان ليلى الاخيلية) جمع وتحقيق ابراهيم العطية وجليل العطية سيصدر قريبا في بغداد .

✭ انتهى الاديب العراقي عبد الرحمن الربيعي من وضع رواية اسمها (القمر رهن الشباب) وقد كتبها بطريقة اطلق عليها اسم (الكشف المطلق) .

✭ فرغ الشيخ جلال الحنفي من اعداد الجزء الثانـي من كتابه (معجم اللغة العامية البغدادية) وقد دفع به الى المطبعة .

✭ تدرس نخبة من رجال الفكر في السعودية حاليا فكرة انشاء لجنة ادبية للترجمة والتأليف والنشر تقوم بطبع المؤلفات السعودية ونشرها . وكذلك ترجمة الآثار الادبية والعلمية الصادرة باللغات العالمية وتحقيق المخطوطات ونشرها .

✭ صدرت في بيروت مجموعة الشاعر ادونيس الجديدة (كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل) وهذه هي المجموعة الخامسة بعد (قالت الارض) و (قصائد اولى) و (اوراق في الريح) و (اغاني مهيار الدمشقي) .

✭ اعلن الملك فيصل عاهل السعودية تاييده للدعوة الى عقد مؤتمر قمة اسلامي . وذلك في المؤتمر الاسلامي العام الذي انعقد في مكة في دورته الثانية . وكان المؤتمر برئاسة الشيخ محمد بن ابراهيم المفتي الاكبر للسعودية ، واشتركت فيه وفود من مختلف الدول الاسلامية .

✭ قررت الحكومة السعودية دفع مائة الف جنيه استرليني كمساهمة جديدة من الحكومة في تعمير المسجد الاقصى بالقدس

✭ اصدر الشاعر ابراهيم علاف الطبعة الثانية من ديوانه (وهج الشباب) في مطابع مؤسسة مكة للاعلام . كما اصدر ديوانا جديدا عنوانه (الاثام) .

✭ من توصيات المؤتمر الاسلامي العام الذي عقد مؤخرا بمكة المكرمة ما يلي : « ان الاسلام نظام يكفل حل المشكلات الانسانية ، وان مشكلة التخلف الاقتصادي في العالم الاسلامي لا يمكن حلها الا باعتماد على الاسلام . وجاء في التوصيات ايضا فيما يتعلق بالحقوق الفردية بان تكون مصونة ومحترمة ، وفي حدود ما تقضي به الشريعة الغراء ، كما وان للفرد حق البيت في الضمان من البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة ، وفي جميع الاحوال التي يفقد بها المرء وسائل معيشته . كما اقترح الدعوة الى انشاء سوق اسلامية مشتركة .

✭ صرح ميخائيل شولوخوف اكبر كاتب سوفياتي معاصر بانه سيضع كتابا من ثلاثة اجزاء عن الحرب العالمية الثانية ، ويتابع الآن كتابة قصة (لقد دافعوا عن الوطن) التي بدأها عام 1934 وتتحدث هذه القصة عن بطولة الشعب السوفياتي في حربه ضد الفاشستية ، كما صرح شولوخوف بانه سيجرب قوته لاول مرة في كتابة الدراما .

✭ كان مقررا ان يسافر سارتر الى امريكا بدعوة من احدى جامعاتها هناك، ولكنه ، نشر في مجلة (نوفيل اوبسرفاتور) حديثا يشرح فيه سبب رفضه لهذه الرحلة ، ذلك ان امريكا بتوسيعها الحرب في فيتنام تراجعت عن فهمها بان سياستها خاسرة ، وبذلك لا يمكن ان توجد بيننا وبينهم لغة مشتركة ؟

ثم يتحدث سارتر عن اليسار في امريكا فيلاحظ ان وزنه السياسي معدوم للاسف . ثم يؤكد الكاتب الفرنسي الشهير ان الولايات المتحدة الامريكية ليست مركز العالم ، وقد تكون اكبر دولة في العالم ، غير انها بعيدة عن ان تكون مركزه .

✭ ارثر ميللر مرشح لرئاسة نادي القلم في الدورة التي تبدأ في يوليو القادم . انفردت فرنسا بالاعتراض على ارثر ميللر ورشحت كاتبا من جواتيمالا يعيش في ايطاليا الآن هو : ميجل استوريا .

✭ معروض في عواصم العالم (سفر الرؤية) من الكتاب المقدس . وزن الكتاب 210 كيلو جرامات . غلاف هذا الكتاب من البرنز المطعم باللؤلؤ والماس . اللوحات الداخلية من رسم سلفادور دالي . بلغ عدد الذين رأوا هذا الكتاب حتى الآن سبعة ملايين شخص .

✭ ستصدر اليونيسكو باللغة الانجليزية كتابا عن الشعر البيلوروسي . وسيوزع هذا الكتاب في عدد كبير من بلدان العالم . وتوجد في الكتاب قصائد 77 شاعرا ، منها قصائد قديمة وقصائد في البطولة والغزل واغاني الفرح والاعراس ، وملحمة لشاعر مجهول في القرن التاسع عشر (غارس على بارناس) ويعطي الكتاب لمحة عن ابداع الشعراء الديمقراطيين في بيلوروسيا زمنا يعكس تطور الشعر بعد ثورة اكتوبر عام 1917

✭ اضيفت ترجمتان انجليزيتان جديدتان مؤخرا الى المجموعة الهندية ، وهما : « كافيتاڤالي » لطولس ، وهو ديوان من الشعر الصوفي يرجع تاريخه الى مطلع القرن السابع عشر ، و « باتشاطاتطرا » وهي مجموعة من القصص القديمة التي تصور المبادىء التي يرتكز عليها الحكام .

منقحة ومزيدة لعبد العزيز الحلفي . (متى ينتهي الليل ؟) مجموعة قصص لمحمود سيف الدين الايراني .

★ تألفت في باريس رابطة باسم (الاتحاد الدولي للكتاب الفرنسي) قوامها 14 دولة . وقد مثل احمد عويدات صاحب منشورات عويدات ، لبنان في هذه الرابطة ففاز بنيابة الرئاسة للاتحاد وكانت ، الرئاسة من نصيب كندا .

★ اعلن محافظ البقاع نصري سلهب عن انشاء (جائزة زحلة للشعراء) وهي جائزة سنوية قيمتها الف ليرة لبنانية تبرع بها خليل فرحات ونجيب حنكش .

★ وجه الدكتور غالب شاهين وزير التربية في لبنان كتابا الى وزير البريد والبرق ، يرجو فيه اصدار طابع تذكاري يخلد اشهر الادباء اللبنانيين وطابع آخر يخلد العالم اللبناني الفقيد حسن كامل الصباح .

★ صدر مؤخرا في منشورات عويدات ببيروت (دراغانا) وهي رواية تجري حوادثها في وسط السلك الدبلوماسي في يوغسلافيا ، وقد كتبها النائب اللبناني محمد البرجاوي باسلوب مرن وبيان رفيع .

★ الشاعر بولس سلامة صدرت له ملحمة (عيد الستين) من 582 بيت شعر .

★ كتب الاديب الهندي (اندرج تان) القصة الكاملة لجبران خليل جبران . وسوف تتحول القصة الى فيلم سينمائي يتم تصويره في كل من بيروت ، وبوسطن ، ونيويورك ، وباريس ..

★ انتهى الباحث العراقي الدكتور صفاء خلوصي من ترجمة تاريخ الادب العربي للبروفسور نيكلسون .

★ (اسرار الماسونية او السر المصون في شيعة الفرمسون) تأليف الاب لويس شيخو سيصدر عن دار البصرة في بغداد في 50 صفحة مع الصور الموضحة .

★ (الرجل في الشعر النسوي العراقي) عنوان دراسة لاحمد فياض المفرجي . وقد سبق له ان اصدر دراسة عن (المرأة في الشعر العراقي المعاصر) .

★ (الالتزام الثوري ، في الشعر العربي المعاصر) عنوان الكتاب الذي اعده عادل مهدي حسين ويصدر قريبا في بغداد بتقديم محمد جميل شلش .

★ فرغ عبد الجبار داود البصري من كتابة دراسة مسهبة عن شاعرية بدر شاكر السياب .

★ اقامت جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين حفلا تأبينيا بمناسبة مرور ثلاثة اشهر على وفاة الشاعر .

★ (الملحق الصحفي) عنوان الكتاب الذي اعده للطبع خالص عزمي مدير الصحافة الاجنبية في وزارة الثقافة ببغداد .

★ صدرت في بغداد الطبعة الثانية من كتاب (علماء المستنصرية) في جزئين تأليف ناجي معروف وفيه زيادات كثيرة في التراجم والاستدراكات .

★ اصدر نوري حمودي القيسي المدرس بكلية الآداب بجامعة بغداد رسالته التي نال عليها الماجستير في الآداب من القاهرة وعنوانها (الفرسية في الشعر الجاهلي) .

★ الشيخ محمد حسن آل ياسين يطبع الآن في بغداد (ديوان الصاحب ابن عباد) .

★ يصدر قريبا في بغداد : « اشجار الطاعون » ، مسرحية لنور الدين فارس . (جذور الصهيونية) للكتاب التركي المعاصر (ضياء اويغور) في سلسلة الكتب المترجمة لوزارة الثقافة . (فهارس البدء والتاريخ) للمقدسي .

★ وضع عبد الله الجبوري بمساعدة المجمع العلمي العراقي مجموعة قصصية لعبد الوهاب الامين .

★ ديوان الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي المقيم في القاهرة (النار والكلمات) منشورات دار الكتاب العربي في بيروت ، منع دخوله الى العراق .

★ فرغ الشاعر العراقي شاغل طاقة من ترجمة مجموعة للشاعر الصيني (تو ، فو) 712 ـ 770 م عن الانجليزية .

★ اسست فوزية شندي اول فرقة مسرحية نسائية في العراق . وقد نشرت الصحف البغدادية نظامها الداخلي ، واطرف ما تضمنه : « ان الفرقة لا تقبل اي رجل ! ولا تقدم اية مسرحية تضم رجالا » .

★ يقوم الآن في بغداد ماجد صالح السامرائي لجمع رسائل الشاعر العراقي الفقيد بدر شاكر السياب بغية نشرها في كتاب مستقل . وقد كتب الى الكثير من اصدقاء الشاعر الراحل يسألهم تزويده بما لديهم من رسائل الشاعر .

★ نظم المركز الدولي للدراسات العليا الصحفية (بستراسبورج) ندوته الدولية التاسعة وكان موضوعها العام : « الاعلام الاقتصادي والمالي » . وتضمن المشتركون في هذه الندوة والبالغ عددهم 35 شخصا ، صحفيين واساتذة ، ومتخصصين في الشؤون الاقتصادية من اوربا وبعض البلاد القليلة النمو . وقد دارت مناقشات الندوة حول المشاكل التالية : تقديم المعلومات الاقتصادية في الصحافة اليومية المنتشرة على اطار واسع الاعلام الاقتصادي في الراديو والتليفزيون ، ووجهة نظر الاقتصاديين ورؤساء المؤسسات والنقابين عن الاعلام الاقتصادي ثم اعداد الصحفيين في الشؤون الاقتصادية .

★ نظم المركز الدولي للدراسات العليا الصحفية الذي انشيء في كيوتو تحت رعاية اليونيسكو ، اربع حلقات دراسية دولية خلال العام الحالي موضوعها : الوضع الحالي للتعليم الصحفي ووسائل الاعلام » وقد انعقدت الحلقة الاولى في ميدان (بكولومبيا) من 8 الى 22 يناير واشترك فيها صحفيون واساتذة وخبراء من كولومبيا ، والاكوادور ، وبنما ، وبير وفنزويلا . اما الحلقة الثانية فانعقدت في مدينة مكسيكو من 22 فبراير وساهم فيها اشخاص وفدوا من كوستاريكا ، والجمهورية الدومينيكية ، وسلفادور ، وجواتيمالا وهاييتي ، وهوندوراس والمكسيك ، ونيكاراجواي . وستنعقد الحلقة الثالثة في بيونيس ايرس بالنسبة للارجنتين ، وبوليفيا ، وشيلي ، وباراجواي ، واوروجواي . في حين ستنعقد الحلقة الرابعة في ريو دي جانيرو بالنسبة للبرازيل وحدها .

★ اصدرت اللجنة الوطنية مؤخرا بمناسبة عام التعاون الدولي والعيد العشرين لهيئة الامم المتحدة نشرة مصورة من 40 صفحة بعنوان « انتبه لعالمك » وهي موجهة لجميع الاشخاص في الولايات المتحدة الامريكية الذين يرغبون في تحسين معرفتهم للعالم ولمشاكله وسكانه ، وللذين يودون كذلك الاشتراك في بعض نواحي النشاط الدولي .

★ عقد في بلغراد مؤتمر اشتركت فيه 18 دولة اوربية ، وضم مندوبين عن مجلاتها الادبية ، بحثوا خلاله وضع الادب الغربي الحديث ، وطالبوا بتعاون اوثق على صفحات المجلات الادبية بين مختلف التيارات الادبية .

★ صدر في لندن المجلد الثالث من تاريخ الغرب للسير جون باغوت (غلوب باشا) المجلد الجديد (تاريخ امبراطورية) ويقارن السير غلوب باشا بين اضمحلال الامبراطورية العربية السابقة واضمحلال الامبراطورية البريطانية في العصر الحديث .

★ المستشرق المجري الدكتور عبد الكريم جرمانوس يعد باللغة الانكليزية كتابا عن الادب العربي في المهاجر الامريكية .

